وشى الربيع بألوان البديع

فى ضوء الأساليب العربية

دكتورة عائشة حسين فريد

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب

وشي الربيع بألوان البديع

في ضوء الأساليب العربية

الكتـــــاب : وشى الربيع بألوان البديع
في ضوء الأساليب العربية
المؤلـــف : د . عائشة حسين فريد
تـاريخ النشـر : ٢٠٠٠

النـاشـــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
عبده غريب
شركة مساهمة مصرية
الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز ـ عمارة برج آمون
الدور الأول ـ شقة ٦
ت ، ف: ٢٤٧٤٠٣٨ ت: ٢٤٦٢٥٦٢
التـــوزيـع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)
المطـــابـــع : مدينة العاشر من رمضان
المنطقة الصناعية (C1)
ت: ٠١٥/٣٦٢٧٢٧
رقـم الإيـداع : ٩٩/١١٢٢٣
الترقيم الدولى : ISBN
977 - 303 - 186 - 1

الإهـــداء

إلى كل من أحب العلم وتعلَّمه وأعان عليه،

إلى كل من يريد معرفة وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم

أهـــدى ...

ثمـرة عملـى وجهـدى خالصـة لوجـه اللـه.

د. عائشة حسين فريد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا.

والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله أفضل خلق الله جميعا، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه واقتدى بسنته إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فيسعدنى أن أقدم هذه الدراسة فى ـ علم البديع ـ فى تمهيد وفصلين وخاتمه توخيت فيها عمق البحث، ودقة التحليل، ونقاء العبارة، وجمال اللفظ، إلى جانب الحفاظ على القواعد والأصول البلاغية، وقد تخيرت الأساليب الأدبية الرفيعة، المتحلية بالشواهد الناصعة من كتاب رب العالمين، وحديث سيد المرسلين، وأرباب الفكر القويم، حتى تكون عونا على تذوق البلاغة، التى هى أشرف علوم العربية غاية، وأعلاها منزلة، وأسماها مكانة، لأنها إلى جانب أنها ترشد الذوق الفنى إلى الكمال، توقفنا على موطن السر من إعجاز القرآن الكريم، عن إيمان ويقين.

والله أسأل أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن تكون لى ذخرا فى صحيفتى يوم الدين.

وما توفيقى إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

د. عائشة حسين فريد

مدينة نصر فى: ٨ من صفر ١٤١٧هـ

٢٤ من يونية ١٩٩٦م

تمهيد

تتميز لغتنا العربية بالجمال، وروعة الأداء، وتمثل قمة الإبداع اللغوى لما تحويه من فصاحة وبلاغة، تتمثل فى مفرداتها وإتقان تراكيبها، وزخرف أشكالها، وجمال موسيقىّ فى جرسها.

وسأتناول هنا الحديث عن علم البديع. الذى نبأ عن جمال اللغة العربية وموسيقيتها، وكان سببا للإحساس بالجمال.

ولقد كثرت البحوث والكتب التى تعالج هذا العلم وتنظم مسائله وأبوابه، ولكل جماله بقدر توفيق الله لمن يبحث ويكتب ويوضح.

كان علم البديع، كغيره من العلوم، يتطور وينضج، حتى صار علماً قائماً بذاته، وكان قديما يشمل البلاغة بعلومها، "معانى وبيان وبديع".

وأول من حاول وضع مصطلحات بديعية هو الشاعر العباسى مسلم بن الوليد، الذى وضع مصطلحات لبعض الصور البيانية والمحسنات اللفظية والمعنوية من مثل الطباق والجناس.

وتوسع الجاحظ قليلا فى ذكر البديع دون أن يضع فى كتابه " البيان والتبيين" تعريفات أو مصطلحات، بل بقى البديع عنده، يعنى الصور والمحسنات اللفظية والمعنوية معاً.

وبدأت علوم البلاغة بالاستقلال، بعضها عن البعض الآخر، أيام الخليفة ابن المعتز الذى ألف كتاب " البديع" فكان بحق مؤسساً لما يعرف اليوم بهذا الاسم.

وجاء بعده قدامة بن جعفر فى كتابه " نقد الشعر " ليزيد علم البديع توضيحا، وليضيف إلى مصطلحاته وفنونه جديداً، فيلتقى مع ابن المعتز فى خمسة محسنات بديعية، كان قد عرّفها ابن المعتز، مع اختلاف فى التسمية، ويزيد قدامة إليها تسعة محسنات جديدة لم يذكرها ابن المعتز.

وبعد قدامة بن جعفر نلتقى بأبى هلال العسكرى فى كتابه " الصناعتين: الشعر والنثر" الذى عقد فيه باباً خاصا لشرح البديع والإبانة عن وجوهه وحصر أبوابه وفنونه.

وإذا كان ابن المعتز قد توصل إلى معرفة ثمانية عشر نوعا من أنواع البديع، زاد عليها قدامة تسعة أنواع، فإن أبا هلال العسكرى قد بلغ بها واحداً وأربعين نوعاً، أى بزيادة أربعة عشر نوعا على ماكان عرف قبله.

وفى القرن الخامس الهجرى، تزداد علوم البلاغة استقلالا وتحديداً إذ يبدو من خلال بعض المؤلفات فى هذا القرن، أنه بدأ يستقر فى الأذهان أن البيان شىء، والبديع شىء آخر. فقد أورد ابن رشيق القيروانى (ت ٤٦٣) فى كتابه الشهير " العمدة" أبواباً خاصة لمباحث علم البيان، وأخرى تهتم بدراسة علم البديع. وقد ذكر فيه تسعة وعشرين نوعاًمن أنواع البديع، منها تسعة أبواب لم يسبقه إليها غيره ممن تقدموه فى هذا المضمار، وبذلك يصبح عدد الأنواع البديعية المعروفة إلى أيامه، خمسين نوعا.

ويعتبر عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١هـ) ، فى هذا القرن الخامس الهجرى، واضع علم المعانى فى كتابه دلائل الإعجاز. كما أنه يعد صاحب نظريات علم البيان فى كتابه ــ أسرار البلاغة ــ دون أن يحاول وضع نظرية لعلم البديع، وإن كان قد تكلم عن أنواع منه، بقدر اتصالها بعلم البيان فقط. أما فى القرن السادس الهجرى، فنلتقى بالزمخشرى والوطواط، وبأسامة بن منقذ.

فقد أكمل الزمخشرى (ت ٥٣٨) فى تفسيره "الكشاف" مابدأه الجرجانى، بإضافات جديدة بثها فى ثنايا كتابه.

أما الوطواط فقد حاول تطبيق قواعد البلاغة العربية على الأدب الفارسى فى حين ألف ابن منقذ "البديع فى نقد الشعر" الذى جمع فيه ما تفرق فى كتب العلماء المتقدمين المصنفة فى نقد الشعر، وذكر محاسنه وعيوبه، ويتكون كتاب البديع من خمسة وتسعين باباً، وذكر فيه جملة من أبواب البلاغة، ليست مرتبة كالترتيب الذى انتهت إليه علوم البلاغة فى عصرنا الحاضر،كما أنه لم يستغرق جميع هذه الأبواب(١).

ويحمل الراية بعد هؤلاء، نفر من علماء القرن السابع الهجرى الأفذاذ، منهم الرازى والسكاكى، وضياء الدين ابن الأثير، والتيفاشى المغربى وابن أبى الإصبع المصرى، وعلى بن عثمان الاربلى وبدر الدين بن مالك.

---

(١) انظر البديع لابن منقذ ص ٤ ــ مكتبة الحلبى.

وقد أولى هؤلاء البديع عناية خاصة، فيما ألفوه من كتب وتصانيف. وإذا ما انتقلنا إلى القرنين الثامن والتاسع الهجريين، نجد أنهما قد امتازا بإيلاء العلماء والشعراء والأدباء علم البديع عناية ما بعدها عناية، وإن جاز أن نقول إنهم تفرغوا له وجفت قرائحهم إلاّ منه.

وتميز بعض الشعراء والأدباء في هذين القرنين، بنظم " البديعيات"[1] التي تعتبر بحق دراسات في هذا المجال تكاد لاتعدوه، ومن هؤلاء: يحيى بن حمزة العلوى صاحب كتاب "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز" والتنوخي محمد بن عمرو صاحب كتاب "الأقصى القريب في علم البيان" وابن قيم الجوزية صاحب كتاب[2]" الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان" وصفي الدين الحلي (ت ٧٥٠) الشاعر المشهور صاحب البديعية الشهيرة التي تبلغ مائة وخمسة وأربعين بيتا من الشعر، قالها في مدح النبي ﷺ معارضا بها بردة البوصيري محاكيا لها في وزنها ورويها وغرضها، وزاد عليها الاحتفال بالبديع، وجعل في كل بيت منها مثالاً لنوع أو أكثر من البديع، وقد أشار إلى أنه استعان بسبعين كتاباً في تأليف بديعيته.

وقد تناول كل ألوان البلاغة تحت اسم "البديع" ولم يفصل بين علومه البلاغية كما فعل السكاكي.

---

(١) البديعيات: قصائد اشتمل كل بيت منها على لون أو أكثر من ألوان البديع، تمثيلا فقط، أو مضموماً إليه التزام التورية باسمه، فهي منظومات في " البديع" تشبه ألفية ابن مالك في النحو، أو الشاطبية في القراءات.

وأول من سبق إلى هذه البديعيات هو شاعر مصرى أشار إليه الكتبي [ت ٧٦٤ هـ] صاحب فوات الوفيات وهو على بن عثمان بن على بن سليمان الإربلي الصوفي الشاعر [ت ٦٧٠هـ].

انظر: فوات الوفيات ٥٧/٢

انظر: خزانة الأدب ٨/١.

(٢) وقد طبع هذا الكتاب تحت عنوان: مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن للإمام أبي عبدالله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي الشهير بابن النقيب والمتوفى ٦٩٨هـ والمطبوع خطأ بعنوان: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم الجوزية.

كشف عنها وعلق حواشيها د/ زكريا سعيد على ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ط١ ١٩٩٥م.

ومطلع بديعيته:

إن جئت سُلعا فسل عـن جيرة العلـم | وأقر السلام على عُربٍ بذى سلم

ثم بديعية ابن جابر الضرير الأندلسى نشأة وثقافة، والذى رحل إلى البلاد المصرية وهو معاصر لصفى الدين الحلى، ونظم بديعيته المسماة:

"الحلة السيرا[1] فى مدح خير الورى" وهى فى مائة وسبعة وعشرين بيتا بدأها بقوله:

بطيبـة انـزل ويمـم سـيد الأمـم | وانثر له المدح وانشر طيب الكلـم[2]

وقد سرد فيها ابن جابر المحسنات البديعية حسب ما أورده الخطيب القزوينى.

وقد شرحها صاحبه ومعاصره أبو جعفر الغرناطى شرحا سماه:

"طراز الحلة وشفاء الغلة"

وتتميز بديعية ابن جابر عن غيرها من "البديعيات" باقتصاره على أبواب البديع التى ذكرها الخطيب فى كتابه التلخيص والإيضاح، وتنحية المسائل التى عرفت عنده وعند السكاكى باسم (علم البيان) عن بديعيته، وقد فصل ابن جابر بين ألوان البديع اللفظية والمعنوية، ولم يخلط بينهما كما صنع أصحاب البديعيات جميعاً.

ثم نلتقى بعز الدين على بن الحسين الموصلى (ت ٧٨٩هـ) صاحب البديعية التى عارض فيها بديعية الصفى الحلىّ، وزاد عليه فيها بأن ذكر فى كل بيت منها لفظة تدل على اسم النوع البديعى الذى استخدمه فيه[3].

وقد نظم الموصلى ـ لأنه كان من أهل الموصل بالعراق ـ بديعيته فى مدح النبى ﷺ فى مائة وأربعين بيتا استهلها بقوله:

براعـة تسـتهل الدمـع فـى العلـم | عبـارة عـن نـداء المفـرد العلـم

وهو أول من شرّع للبديعيات التقيد بالتزام التورية باسم النوع البديعى فزاد ذلك الالتزام ثقلا إلى ثقلها.

---

(١) السيراء: نوع من البرود فيه خطوط صفر أو يخالطه حرير.

(٢) انظر : خزانة الأدب ١/٨.

(٣) خزانة الأدب ١ / ٨.

ثـم نصـل إلى القـرن التاسـع الهجـرى، وفيـه ابـن حجـة الحمـوى نشـأ بحمـاة ت(٨٣٧ هـ) الأديب البارع، والـذى نظـم بديعيتـه علـى طريقـة شـيخه عـز الديـن الموصلى وسماها "تقديم أبى بكر" وشرحها شـرحًا حـافلا سماه "خزانـة الأدب وغايـة الأرب" والبديعية فى مدح الرسـولﷺ، وعـدّ فيهـا مـن أنـواع البديـع مائـة واثنـين وأربعين نوعا استهلها ببراعة الاستهلال، فقال:

لى فى ابتدا مد حكم يا عُرب ذى سلم   براعـة تسـتهل الدمـع فـى العلـم[1]

ولم يميز ابن حجة الحموى بين البديع وغيره مـن علـوم البلاغـة، وقـد حـاول مجاراة صفى الدين الحلىّ فى رقة الشعر وجمال النظم والسلاسة.

ومازالت نزعة البديعيـات غالبـة علـى الشـعراء حتـى زمـن النهضـة الحديثـة، فالشاعر المصرى المولد النشأة محمود صفوت الشهير بالساعاتى (ت١٢٩٨هـ) نظـم بديعية اشتملت على مائـة وخمسـين نوعـا مـن ألـوان البديـع فـى مائـة وأربعـين بيتـا، معارضاً بديعية ابن حجة، ملتزما ما التزمـه مـن التوريـة باسـم النـوع البديعـى، ومـن أولها: فى براعة الاستهلال:

سـفح الدمـوع لذكـر السـفح والعلـم   أبـدى البراعـة فـى اسـتهلاله بـدم

وقـد شـرحها الأديـب عبـد الله باشـا فكـرى وزيـر المعـارف المصريـة (ت ١٣٠٧هـ) شرحا وافياً.[2]

وتعد البديعيات، صناعة أضعفت من الشعر، وأوردته موارد التكلف، وجردته من روعته وروائعه، وقد ذهبت بالبديع مذاهب التشعيب فعـاد عليـه بذهـاب قيمتـه والتقليل من شأنه، والبديعيات وإن بذل العلماء فى شرحها الجهد الكبير، فقد عـدوا من البديع مالا يصح أن يكون منه، وأكـثروا منـه إلى حـد الإمـلال حتـى رسـخ فـى الأذهان أن أنواعه لا تقف عند حدّ فصار اسم البديع يحمل إلى أذهاننا معنى التكلـف الـذى يدفـع بعـض الشـعراء إلى الإغـراق فـى اسـتخدام ألوانـه حتـى يصبـح المعنـى مستغلقاً، وحتى يصبح همه الإتيان بأكثر ما يستطيع من هـذه الألـوان، فتضيـع قـوة

---

(١) المرجع السابق ١ / ٩.

(٢) انظر : البديع د. عبد الفتاح لاشين ص ٢٠٥.بتصرف.

الشعر، ويختنق معناه، وتبرد عاطفته، مما أدى إلى صرف الناس عن حبّه والتقليل من قيمته، وليس في ذلك كله عدل وإنصاف للحق، فليس الذنبُ راجعاً إلى البديع، ولكنه راجع إلى الذين أساءوا استخدامه وحاولوا أن يجعلوا شعرهم تطبيقاً على قواعده، لأن الطبيعة الفنية الموهوبة تنقصهم، أما علم البديع فليس بأكثر من محاولة للكشف عماً في الأسلوب من جمال آسر، وحسن ساحر، نجده في المثل الأعلى للأساليب العربية، وهو القرآن الكريم، وشعر الرعيل الأول من الجاهليين وغيرهم من شعراء العصور الزاهرة للغة العربية .

وتحسن المحسنات البديعية إذا طلبها المعنى واستدعاها المقام، وكانت غير متكلفة ولا متراكمة بعضها بجوار بعض، وإذا أكسبت الكلام سحراً بأن تشوق السامع، وتقرب المعنى منه، وكانت في موضعها الملائم من الأسلوب وإذا لم تستوف المحسنات البديعية شروط حسنها كانت قبيحة مملولة، توضح المعنى وتقربه أو تشوق إليه، بل تخفيه وتبعده، وتجعل السامع يمل من سماع الكلام.

وإذا كثرت المحسنات البديعية في الكلام جنت على المعنى وقللت من جمال الأسلوب وروعته، ولم تفد السامع كبير فائدة.

وإنما تستحب المحسنات إذا تصرف فيها الأديب بذوقه وطبعه فجاءت قليلة رائعة.

ولهذا فستجد أيها القارئ الكريم فيما ستقرؤه من شواهد كتاب البديع بذوراً صالحة تعرف بها بعض خصائص الأسلوب الجميل، وإنه لمن الخير دراسة هذه البذور التي اهتدى إليها السابقون بتجاربهم وأذواقهم الأدبية السليمة، وإيضاح ما فيها من حسن البديع وجمال تأثيره في المعنى واللفظ، لنبني عليها جزءاً من بناء نقدنا الحديث.

ويحفل الكتاب بتلمس الأسباب التي تزين الأسلوب وتكسبه الجمال والروعة. ولا يقف حديثي عن البديع عماً يجمل به الأسلوب ويرقي التعبير بألوان الجمال مما يدخل معظمه في أبواب علم البديع، ولكنني عرضت لما ينقص من جمال القول ويضع من شأنه، وقمت بذكر عنوان اللون البديعي وذكرت تعريفه وبعضاً لما تيسر لي من تاريخ تسميته والعلماء الذين تناولوه، ثم أكثرت من الأمثلة بدأتها بأمثلة من القرآن الكريم، ثم بما قد يكون من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم أمثلة من شعر البلغاء أو نثر الفصحاء.

وكانت عنايتي بألوان البديع في القرآن الكريم، وجهتـي إلى استخراجها من الكتاب الكريم، وبيان سـر أصالتها فـي الجملـة وملاءمتها للأسلوب ومزيتها فـي المعني، فليس وجودها في القرآن الكريم حلية مزينـة، ولا عرضا يُستغنى عنـه، ولا تابعاً ذليلا لما هو أصل له، بـل يتضـح أن البديـع أصـل ويختـل المعنـى بزوالـه، ويتـأثر الأسلوب باختلاله.

وإنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب، ونظر في أشعارها وحكمها وأمثالها وخطبها، فاتضح بذلك مايكون من بعض أسباب إعجازه.

علـم البديـع

البديع لغة: يطلق البديع فى اللغة على المبتدع أو المخترع على غير مثال سابق، يقال أبدع الشىء اخترعه لأعلى مثال، وأبدع الله الخلق إبداعاً خلقهم لاعلى مثال سابق، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(١) أى مبدعهما ومنشئهما على غير مثال، والبديع: الجديد والطريف والعجيب.

جاء فى اللسان: بدع الشىء يبدعه وابتدعه: أنشأه وبدأه، والبديع والبدع: أى الشىء الذى يكون أولاً، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾(٢) أى ما كنت أول من أرسل، فقد أرسل قبلى رسل كثير، والبديع: المبتدع وشىء بدع ـ بالكسر ـ أى مبتدع، أبدع الشاعر: جاء بالبديع(٣).

البديع اصطلاحاً: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة(٤).

والمحسنات البديعية نوعان: معنوية ولفظية.

فالمعنوية: هى التى يكون التحسين بها راجعاً إلى المعنى أولاً ويتبعه تحسين اللفظ ثانيا ولكنه غير مقصود، أى بدون تكلف.

والمحسنات اللفظية: هى التى يكون التحسين بها راجعاً إلى اللفظ أولاً ويتبعه تحسين المعنى ثانيا ولكنه أيضاً غير مقصود أى يأتى عفواً.

هذا والحق أن جمال الألفاظ فى تعلقها بالمعانى، وأن حسنها فى اتصالها بالتراكيب وقد أجمع العلماء والنقاد على أن هذه المحسنات لا تقع موقعها من الحسن إلاّ إذا طلبها المعنى، واستدعاها فى المقام بحيث لايجد الشاعر أو الناثر مندوحة عنها، كذلك لا يحمل الاسترسال فيها، والولع بها، المعانى لاتدين للألفاظ فى كل موضع ولاتنقاد لها فى كل حين.

---

(١) البقرة الآية ١١٧
(٢) الأحقاف الآية ٩
(٣) لسان العرب مادة "بدع"
(٤) الإيضاح ٤/٦

إن البديع بحق ـ إذا كان عفواً ـ كان صفوا، وكان بمثابة القلادة الثمينة التي تعلق في جيد الحسناء، أما كان متكلفا، فإنه يكون بمنزلة الدر الذى يعلق في أعناق الخنازير.

ولمّا كانت المعاني هي الأصل والألفاظ توابع وقوالب لها، فسأبدأ بدراسة المحسنات المعنوية.

الفصل الأول

المحسنات المعنوية

الطبـــاق

ويسمى المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ.

وهو محسن بديعي معنوى، ويقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد. فهو مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان كما قال الرماني. وذكر الجاحظ أن كلمة التطبيق وردت بمعنى إصابة الكلام الغرض المسوق له.

وفى الكامل للمبرد كلمة المطابقة بمعنى الجمع بين الشيء وما يقابله فى الكلام. ووافق ابن المعتز قول المبرد، وسماه قدامة بن جعفر: التكافؤ. فالمطابقة لها معنيان: مساواة المقدار، والجمع بين الشيء وضده وأول من سماه هذا الاسم هو الأصمعى مريدا منه المعنى الثانى.

والمطابقة أن يذكر الشيء وضده كالليل والنهار، وتسمى الطباق والتضاد أيضاً[(١)]

فالطباق فى اللغة: مأخوذ من طابق البعير فى مشيه إذا وضع خف رجله موضع خف يده، والطباق والمطابقة " يُشعران بالتماثل بدليل قوله تعالى " سبع سماوات طباقا[(٢)] أى متساويات، ومنه طابقتُ النعل أى جعلته طاقات مترادفات[(٣)].

وفى اصطلاح البلاغيين: هى الجمع بين الشيء وضده فى الكلام، أو الجمع بين معنيين متقابلين فى الجملة. [(٤)]

وعلى هذا لاتوجد مناسبة بين المعنيين؛ اللغوى والاصطلاحى، لأن اللغوى يفيد الموافقة بين الأشياء والمعنى الاصطلاحى يجمع بين الأمور المتضادة والمعانى المتقابلة.

---

(١) انظر: الايضاح ٦/٦

(٢) سورة الملك : ٣

(٣) الطراز ٣٧٨/٢

(٤) شروح التلخيص ٢٨٦/٤، جوهر الكنز "تلخيص كنز البراعة فى أدوات ذوى البراعة" لابن الأثير تحقيق محمد زغلول سلام ص ٨٤ طبعة منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨٠.

ولكن يقال إن الضدين قد وافقا على أن يقفا فى جملة واحدة مع ما بينهما من البعد والتضاد، وبهذا تتضح المناسبة التى تربط بينهما.

وينقسم الطباق إلى قسمين:

الأول: حقيقى: وهو ماكان بألفاظ الحقيقة اسمين أوفعلين أو حرفين أو مختلفين

فالذى طرفاه اسمان كقوله تعالى:

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ (الكهف ١٨).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالْبَصِيرِ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِى الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ﴾ (فاطر ١٩ ـ ٢٢).

وما طرفاه فعلان، كقوله تعالى:﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ (النجم ٤٣ ـ ٤٥).

وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ (آل عمران ٢٦).

فالمطابقة بين تؤتى وتنزع، وبين تعز وتذل وفى الآية الكريمة تصوير قدرة الله فى أوسع معانيها، وبيان سلطان الله عز وجل فى أشمل مظاهره وأكملها.

فيجلب الطباق فى الآية الكريمة الراحة النفسية للقارئ أو السامع حين يقرأ المعنى وضده الذى يخطر بباله فيتأكد المعنى فى ذهنه لإيراده باللفظ الدال عليه أولاً، ثم بضده ثانيا، فيصير المعنى جميلاً ويتمكن من النفس.

وكقول الرسول ﷺ:

"إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع".

وكقول الهذلى:

أما والذى أبكى وأضحك والذى ... أمات وأحيا والذى أمره الأمر

وقول بشار:

إذا أيقظتك حروب العدى فنبه ... لها عمراً ثم نم

وما طرفاه حرفان:

كقوله تعالى : ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة ٢٨٦) فالطباق بين لها وعليها، وهما يوضحان ما للنفس من خير كسبته، وما عليها من شر اكتسبته.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة ٢٢٨) فالطباق بين الحرفين في لهن وعليهن في الآية الكريمة بين ما للنساء من حقوق، و"عليهن" تبينّ ما عليهن من واجبات، وهذا يعطي السامع معانيَ كثيرة وعميقة الأثر نتيجة معرفة الحقوق والواجبات وذلك من خلال الحرفين المتضادين.

وقول قيس مجنون ليلى:

على أنني راض بأن أحمل الهوى ... وأخلُص منه لاعليَّ ولا ليا[1]

وما طرفاه مختلفان:

فقد يكون بين فعل واسم: كقوله تعالى: ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (آل عمران ٤٩).

وكقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (البقرة ٢٦٠)

فطابق بين تحيي وهو فعل، والموتى وهو اسم.

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ (الزمر ٣٧)

طابق بين يهدى وهو فعل، ومضل وهو اسم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر ٢٣ ، ٣٦، غافر ٣٣)

طابق بين "يضلل" وهو فعل، و"هاد" وهو اسم

وقول طفيل الغنوى في وصف فرسه:

بساهم الوجه لم تقطع أباجله ... يصان وهو ليوم الروع مبذول [2]

(١) جاء الطباق بين الحرفين: على واللام، لأن على فيها معنى التضرر، واللام فيها معنى الانتفاع.

فطابق بين الفعل يصان، والاسم فى قوله مبذول

وقد يكون الطباق بين مختلفين: اسم وفعل:

كقوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (الأنعام ١٢٢)

فطابق بين الاسم: ميتا، الفعل : "فأحييناه"

وقول الحسن رضى الله عنه: "إن مَنْ خوّفك حتى تبلغ الأمن خير ممن يؤمنك حتى تلقى الخوف".

فقد طابق بين: "خوفك" وهو فعل و "الأمن" وهو اسم، وطابق بين يؤمنك وهو فعل، والخوف وهو اسم.

والقسم الثانى من الطباق هو الطباق المجازى:

وهو ما كان طرفاه غير حقيقيين أى مستعملان فى المجاز ، مثل قوله تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ (البقرة ١٦)
فإن اشتراء الضلالة وبيع الهدى مجاز ولايكون على سبيل الحقيقة.

وكقول الله عز وجل : ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾(الأنعام ١٢٢) .

أى ضالاً فهديناه، فالموت والإحياء لفظان مجازيان ومعناهما متضادان، والضلالة والهدى، وهما حقيقتا اللفظين متضادان أيضاً.

وكقول على رضى الله عنه:

"احذروا صولة الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع"

وهنا ليس الجوع والشبع ما يعرفه الناس من امتلاء المعدة وخلوها، والمراد: احذروا صولة الكريم إذا ضيم وامتهن، واحذروا صولة اللئيم إذا كرّم وعظم.

---

(٢) ساهم الوجه: أى متغير الوجه من كثرة الجرى. الأباجل: جمع أبجل وهو عرق فى الفرس والبعير بمنزلة الأكحل من الإنسان. الروع: الفزع والحرب، انظر الإيضاح ١٠/٦، والبيت فى الصناعتين ص: ٣٠٣.

وكقول الشاعر:

لقد أحيا المكارم بعد موت   وشاد بناءها بعد انهدام

فالإحياء والموت، والشيد والإنهدام معانيها متقابلة فى ألفاظها الحقيقية والمجازية، والمراد أعطى فى وقت قل فيه العطاء.

الطباق المعنوى:

كانت الصور السابقة للطباق بين الألفاظ حقيقية أو مجازية، والأمثلة الآتية توضح الطباق المعنوى الذى يكون فى المعنى وليس فى اللفظ كقوله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام ١٢٥)

فقوله تعالى: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَه﴾ بمعنى يوسعه بالإيمان ويفسحه بالنور، وقوله تعالى : ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ يضيقه بالكفر ويجعله مظلما به، فقوله يشرح صدره مع قوله يجعل صدره ضيقا حرجا طباق بين المعنيين.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ (البقرة ٢٢)

فالبناء ارتفاع والفراش عكسه.

وكقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاّ تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ (يس ١٦،١٧).

معناه: ربنا يعلم إنا لصادقون. (١)

وقد أطفؤا شمس النهار وأوقدوا   نجوم العوالى فى سماء عجاج (٢)

فالشاهد فى قوله أطفؤا وأوقدوا.

والعوالى جمع عالية وهى أعلى الرمح، أو النصف الذى يلى السنان.

والعجاج: الغبار

(١) تحرير التحبير ١١٥

(٢) انظر الإيضاح ٦/١٠

الطباق الظاهر والخفى:

الطباق الذى مرّت بنا أمثلته طباق ظاهر.

وقد يكون الطباق خفيا كقوله تعالى:

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾(نوح ٢٥) جمع بين الماء والنار وهما متضادان لأن من صفات الماء الإغراق، فكأنه جمع بينها وبين النار، وهى أخفى مطابقة فى القرآن الكريم كما قال ابن منقذ (١) .

وقوله تعالى: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ (النحل ٥٨).

لا تستعمل [ظلّ] إلا نهاراً، فإذا لمح مع ذكر السواد كأنه طباق بذكر البياض مع السواد.

وكقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ (البقرة ١٧٩).

فالقصاص: القتل، وهو سبب فى الإبقاء على الحياة.

وقوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النار﴾ (غافر ٤١)

أدعوكم إلى النجاة معناه: أدعوكم إلى الجنة وهو ضد النار.

وقوله تعالى : ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح ٢٩)

فجمعت الآية الكريمة بين معنيين: الشدة والرحمة وهما غير متقابلين، ولكن أحدهما وهو الرحمة مسببة عن اللين المقابل للشدة، ولوكان التعبير باللين لتوهم فى الصحابة الضعف، وهو غير مراد، لأن المراد اللين الذى يؤدى إلى الرحمة وليس اللين الذى يؤدى إلى الضعف.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ (القصص ٧٣).

---

(١) البديع فى نقد الشعر ٣٦

فإن ابتغاء الفضل لا يقابل السكون، ولكنه يستلزم الحركة المضادة للسكون، وعَدل القرآن الكريم عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الرزق، لأن الحركة تكون إما لمصلحة وأخرى لمفسدة، والمراد المصلحة.

وقول الشاعر:

وجهه غاية الجمال ولكن فعله غاية لكل قبيح

فالجمال ضده الدمامة، والدمامة تستلزم القبح، فكان الطباق خفياً.

ويلحق بالطباق ما يسمى: إيهام التضاد:

كقول الشاعر :

لا تعجبي يا سلم من رجل

ضحك المشيب برأسه فبكى

فضحك وبكى يوهمان التضاد بحسب الظاهر للمعنى الحقيقى لهما، ولكن المراد من ضحك المشيب: ظهور الشيب برأسه فبكى، وظهور الشيب لا يقابل البكاء، لكن الشاعر عبر عن ظهور الشيب بلفظ "ضحك" على طريق الاستعارة التبعية، ليقابل بين ضحك وبكى فى البيت. ويقول عنه ابن أبى الإصبع: إنه بيت يجمع بين سهولة سبكه وخفة ألفاظه وكثرة الماء فى جملته ويجمع بين لفظى التكافؤ والطباق معاً [1]

أقسام الطباق: طباق الإيجاب وطباق السلب:

١ ـ طباق الإيجاب:

أن يكون المعنيان المتضادان أو المتقابلان غير مختلفين فى الإيجاب أو السلب، وذلك بأن يكونا موجبين معاً أو سالبين (أى منفيين) معاً.

فمثال الموجبين معاً قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (النجم ٤٣، ٤٤).

وقوله تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (البقرة ٢٥٧)

---

(١) تحرير التحبير ١١٣.

وقوله تعالى ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا﴾ (البقرة ٢٥٦).

وقوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ . (البقرة ٢٤٥).

ومثال السالبين معاً قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلا الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلَا الأَمْوَاتُ﴾ (فاطر ١٩ ــ ٢٢).

وكقول الفرزدق في هجاء جرير وقومه:

لعن الإله بني كليب إنهم ... لا يغدرون ولا يفون لجار

يستيقظون إلى نهيق حمارهم ... وتنام أعينهم عن الأوتار[١]

فطابق في البيت الأول بين لا يغدرون ولا يفون، وطابق في البيت الثاني بين يستيقظون وتنام، وكلها أفعال.

وفي البيت الأول تكميل[٢] حسن إذ لو اقتصر على قوله " لا يغدرون" لاحتمل الكلام ضربا من المدح، إذ تجنب الغدر قد يكون عن عفة، فقال : لايفون، ليفيد أنه للعجز كما أن ترك الوفاء للؤم، وفيه إيغال [٣] مع هذا، لأنه لو اقتصر على قوله لا يغدرون ولا يفون، ثم المعنى الذى قصده، لكنه لما احتاج إلى القافية أفاد بها معنى زائدا حيث قال ــ لجار ــ لأن ترك الوفاء للجار أشد قبحا من ترك الوفاء لغيره.

٢ ــ طباق السلب:

وهو ما كان فيه أحد أطراف الضدّ مثبتا والآخر منفيا أو أحدهما أمر والآخر نهى كقوله تعالى : ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ

---

(١) الإيضاح ٦ / ١٠.

(٢) التكميل ويسمى الاحتراس أيضا وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم. وهو نوعان: نوع يأتي في آخر الكلام كقوله تعالى: ﴿اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء غير سوء"، نوع يأتي في وسط الكلام كقوله الشاعر:

فسقى ديارك ــ غير مفسدها ــ ... صوب الغمام وديمة تهمى

انظر الايضاح ٢٠٨/٣ : ٢١٢

(٣) الإيغال: هو ختم الكلام بما يفيد فائدة يتم المعنى بدونها. وسمى بذلك لأن المتكلم قد تجاوز حدّ المعنى. انظر الايضاح ٢٠٢/٣، حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص ٢٢٠/٣.

مَعَهُمْ﴾ (النساء ١٠٨) فيستخفون الأول مثبت والثانى منفى.

وقوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم ٦،٧)

فطابق بين لا يعلمون، يعلمون، والأول منفى والثانى مثبت.

وقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ (الزمر ٩).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ (الأنفال ١٧)

وقول البحترى:

يقيض لى من حيث لا أعلم النوى ... ويسرى إلى الشوق من حيث أعلم(١)

فيكتب على الشاعر الفراق والبعاد فلا يعرف سبب ذلك، ويغمره الشوق ويغالبه وهو يعرف مصدره ومبعثه.

ومن طباق السلب ما جمع بين الأمر والنهى مثل قوله تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ (المائدة ٤٤) فطابق بين قوله لا تخشوا وهو نهى وبين "واخشون" وهو أمر

وقوله تعالى: ﴿فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (إبراهيم ٢٢).

وقوله تعالى: ﴿فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ (الإسراء ٢٣) طابق بين قوله لاتقل وهو نهى ، قل ، وهو أمر.

ويلاحظ أن التقابل فى طباق السلب ليس بين طرفى الطباق وإنما هو بين النفى والإثبات، (السلب والإيجاب).

ومن كل ما تقدم من أمثلة يبرز دور الطباق فى إكسابه المعنى وضوحاً وقوة وجزالة، ويجمع بين أطراف الموضوع سلبياته وإيجابياته. وفيه إيقاع التوافق بين ما هو فى غاية التخالف.

والطباق أو التضاد من الأمور الفطرية التى لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام، إذ الضد أقرب خطوراً بالبال عند ذكر ضده، فالطباق ينقل غرض المتحدث ويبرزه فى صورة قوية مؤثرة.

---

(١) انظر الإيضاح ١٢/٦ ولقد ذكر البيت بدون تعليق عليه.

التـــــدبيـــــج

ذهب ابن أبى الإصبع[1] إلى أنه من اختراعاته، وأنه لم يسبق إليه، والحقيقة أنه مسبوق إليه من علماء البديع، وهو ما سماه ابن سنان ـ المخالف ـ وألحقه بالطباق، فابن أبى الإصبع لم يكن له إلا الاسم فقط.

وهو من دبجَ الأرض أى زيّنها، ودخل التدبيج فى تعريف الطباق لما بين الألوان من التقابل، فنقول دبج المطر الأرض بألوان النبات ـ إذا زينها وفى الاصطلاح: أن يذكر الشاعر أو الناثر أغراضا شعرية بقصد الكتابة بها أو التورية من المدح أو الوصف أو النسيب أو الهجاء أو غير ذلك من الفنون أو لبيان فائدة الوصف بها كقوله تعالى:

﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (فاطر٢٧) فالمراد والله أعلم، الكناية عن المشتبه والواضح من الطرق، لأن الجادة البيضاء وهى أوضح الطرق وأبينها، ودونها الحمراء، ودون الحمراء السوداء التى كأنها فى الخفاء والالتباس ضد البيضاء فى الظهور والوضوح، فالطرف الأعلى فى الظهور هو البياض والطرف الأسفل فى الخفاء هو السواد، والأحمر بينهما على حكم وضع الألوان فى التركيب، وألوان الجبال لاتخرج عن هذه الألوان الثلاثة، والهداية بكل علم نصب للهداية.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (آل عمران ١٠٦ ، ١٠٧). فبياض الوجوه كناية عن الفرح بالجنة لإيمانهم، وسواد الوجوه كناية عن سوء العاقبة ودخول النار لكفرهم وتقابل الألوان على هذه الصورة يسمى تدبيجا.

ومن تدبيج الكتابة قول أبى تمام:

---

(١) انظر تحرير التحبير ص ٥٣٢، الطراز ٧٨/٣، الإيضاح ١٢/٦ ،
خزانة الأدب ٤٥٣، معاهد التنصيص ١٧٨/٢ ،
مواهب الفتاح ٢٩٢/٤

تردى ثياب الموت حمراء فما أتى لها الليل إلاّ وهى من سندس خضر

فقد كنى عن القتل بلبس الثياب الحمر، وعن دخول الجنة بخضر السندس إذ هو من شعار أهلها وجمع بين الحمرة والخضرة تدبيجا.

وقول أبى الشيص:

فأوردها بيضاَ ظماءً صدورُها وأصدرَها بالرىّ ألوانُها حُمْرا

ولا يخفى مافى البيت من تدبيج الطباق والألوان،

ومثل قول عمرو بن كلثوم:

بأنّا نورد الرايات بيضا ونُصدرهن حمرا قد روينا

فالرايات البيض كناية عن السلام وعدم القتل، والرايات الحمر كناية عن القتل واحتدام المعارك، وتقابلها يسمى تدبيجا.

ومثل قول البحترى :

تحسنت الدنيا بعدلك فاغتدت وآفاتُها بيضٌ وأكنافُها خضر

وتدبيج التورية كقول الحريرى صاحب المقامات المشهورة:

"فمذ أزورّ المحبوب الأصفر، واغبرّ العيش الأخضر، أسود يومه الأبيض وابيض فودى الأسود، حتى رثى لى العدو الأزرق فيا حبذا الموت الأحمر " فالمعنى القريب للمحبوب الأصفر إنسان ذو صفرة والبعيد[1] الذهب وهو المراد هنا، فيكون تورية، وأما بقية العبارة فكناية، فاخضرار العيش كناية عن طيبه ونعومته، والاغبرار كناية عن ضيقه أو نقصانه، وازورّ: بعد وأعرض، واسود كناية عن الحزن، أبيض الفود: كناية عن الضعف من كثرة الأحزان، والفودان شعر جانبى الرأس مما يلى الأذنين. والعدو الأزرق: كناية عن جبروته وشدته وقوته والزرقة فى الماء تدل على صفائه، فكنى

(١) التورية: هى أن يكون للفظ معنيان: قريب وبعيد، ويراد به البعيد، وفى ذكر كلمة الأصفر تورية، حيث يتبادر إلى الذهن المعنى القريب غير المراد وهو الإنسان، ولكن المراد هنا الذهب الأصفر وهو المعنى البعيد، فالتورية إذا جاءت فى لون من الألوان كانت تدبيجا.

بالزرقة عن مطلق الصفاء الصادق بصفاء العداوة الذى هو شدتها، وحمرة الموت: كناية عن قسوته وشدته. هذا ولا يلزم أن تكون جميع الألوان فى العبارة الواحدة من قبيل تدبيج الكناية أو من قبيل تدبيج التورية، بل يجوز أن يكون بعضها من تدبيج الكناية والبعض الآخر من تدبيج التورية كما ظهر من عبارة الحريرى السابقة، حيث أراد باللون الأصفر التورية، وأراد بباقى الألوان الكناية.

يقول العلوى: (١)

وللتدبيج موقع عظيم فى البلاغة، وهو يكسب الكلام بهاء، ويزيده حلاوة، ويقول فى موضع آخر، وله أصل فى البلاغة وفرع فى الفصاحة باسق شامخ.

---

(١) الطراز ٣/ ٧٨، ٧٩.

المقابلة

هى لون من ألوان المحسنات البديعية المعنوية[1]، أدخلها جماعة فى المطابقة ـ كما يذكر ابن حجة الحموى[2] وهو غير صحيح، فإن المقابلة أعم من المطابقة، وهى التشبيه بين شيئين فأكثر وبين ما يخالف وما يوافق، بالقول: وما يوافق، صارت المقابلة أعم من المطابقة، فإن التشبيه بين ما يوافق ليس بمطابقة، وهذا مذهب ابن أبى الإصبع[3] فقد ذكر أن صحة المقابلات عبارة عن توخى المتكلم بين الكلام على ماينبغى، وعلى ذلك فالمقابلة هى:

أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثم يؤتى بمايقابل ذلك على الترتيب فى نوع من الطباق إلاّ أنها تختلف فى العدد، فالطباق يكون بين ضدين اثنين فقط، وهى تكون بين أكثر من اثنين، فأقل الجمع فيها أربعة ألفاظ، اثنان فى الأول يقابلهما اثنان فى الآخر، ولابد فيها من الترتيب، فإذا انعدم الترتيب انعدمت المقابلة، وتبلغ المقابلة إلى الجمع بين عشرة أضداد: خمسة فى الصدر وخمسة فى العجز، وتكون المقابلة بالأضداد وغير الأضداد، ولكن الأضداد أعلى رتبة وأعظم موقعا. والمقابلة عدة صور:

١ ـ مقابلة اثنين باثنين كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ (القصص ٧٣) .

فمجيء الليل والنهار ـ وهما ضدان ـ فى صدر الكلام ثم قابلهما فى عجز الكلام بضدين وهما السكون والحركة على الترتيب، فعدل عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة، وابتغاء الفضل هو حركة للمصلحة دون المفسدة، وهى تشير إلى الإعانة بالقوة وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل وسلامة الحس، والآية الشريفة سبقت للاعتداد بالنعم، فوجب العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ هو ردفه ليتم حسن

(١) انظر : الايضاح ١٦/٦، مختصر السعد ٢٩٧/٤، الطراز ٣٧٨/٢
معاهد التنصيص ٢٠٧/٢، كفاية الطالب ١٦٧، الصناعتين ٣٣٧، تحرير التحبير ١٧٩.
(٢) خزانة الأدب ١٢٩/١
(٣) انظر تحرير التحبير ١٨٠، ١٨١.

البيان، فتضمنت هذه الكلمات التى هى بعض آية فيها المنافع والمصالح التى لو عدت بألفاظها الموضوعة لها لاحتاجت فى العبارة عنها إلى ألفاظ كثيرة، فجعل الله عز وجل العلة فى وجود الليل والنهار، هى حصول المنافع للإنسان حيث قال: لتسكنوا ولتبتغوا بـ ـ لام التعليل ـــ فجمعت هذه الكلمات من أنواع البديع: المقابلة والتعليل والإشارة والإرداف وائتلاف اللفظ مع المعنى، وحسن البيان، وحسن النسق ولذلك جاء الكلام متلائماً آخذا بعضه بأعناق بعض.

ثم إن الله عز وجل أخبرنا بأن جميع ما عدده من النعم باللفظ الخاص، وما تضمنته العبارة من النعم التى تلزم من لفظ الإرداف، بعض رحمته، حيث قال بحرف التبعيض: ومن رحمته، وهذا كله فى بعض آية عدتها عشر كلمات، ففيها من البلاغة والفصاحة ما يظهر بدقة ووضوح.

وقوله تعالى ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (التوبة ٨٢) قابل " فليضحكوا" و " قليلاً" بـ " يبكوا" و " كثيراً" .

وقوله تعالى: ﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتاكم﴾ (الحديد ٢٣)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (الانفطار ١٢،١٣) قابل الأبرار فى نعيم بالفجار فى جحيم.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ (الأنعام ١٢٥). قابل يهديه ويشرح بـ: يضله وضيقا.

وقوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ (البقرة ٢١٦)، فأتى أولاً بلفظين متوافقين وهما تكرهوا وخير، ثم أتى بضديهما وهما: تحبوا وشر.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن لله عباداً جعلهم مفاتيح الخير، مغاليق الشر".

وقوله صلى الله عليه وسلم: "عليك بالرفق ياعائشة فإنه ماكان فى شىء إلاّ زانه ولا نزع من شىء إلاّ شانه".

قابل: وجود الرفق والزين، بنزع الرفق والشين.

وقال أحد الناس لرجل مريض: إن أعلك ا الله فى جسمك، فقد أصحك من ذنوبك.

وقال المنصور: لاتخرجوا من عز الطاعة الى ذل المعصية.

فقابل العز والطاعة، بالذل والمعصية.

ومن لطيف المقابلة عن قاضى المدينة محمد بن عمران الطلحى إذ قال له المنصور: إنك لبخيل. فقال يا أمير المؤمنين: ما أجمد فى حق، ولا أذم فى باطل[1].

وكقول النابغة الجعدى:

فتى كان فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

فقابل يسر، وصديقه، بيسوء والأعادى.

وقال أبو تمام:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلى الله بعض الأقوام بالنعم

قابل ينعم والبلوى بـ يبتلى بالنعم.

٢ ـ مقابلة ثلاثة بثلاثة كقوله تعالى:

﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف ١٥٧) فقابل يأمرهم بينهاهم، والباء بعن، والمعروف بالمنكر، فهذه ثلاثة بثلاثة.

وقابل "ويحل لهم الطيبات" بـ "ويحرم عليهم الخبائث" وهى ثلاثة بثلاثة أيضاً.

وقول أبى دلامة الذى انشد البيت الآتى بعد سؤال المنصور له عن أشعر بيت فى المقابلة:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

قابل بين أحسن وأقبح وبين الدين والكفر والدنيا والإفلاس.

---

(١) انظر خزانة الأدب ١/١٣٠ ،
الإيضاح ٦ / ١٨ وفيها .. ولا أذوب فى باطل.

وقول البحترى: وهو من حسن المقابلة.

فـإذا حاربــوا أذلــوا عزيــزاً وإذا ســالموا أعــزوا ذليــلا [1]

قابل : حاربوا وأذلوا عزيزاً بسالموا وأعزوا ، ذليلا

٣ ـ مقابلة أربعة بأربعة: كقوله تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (الليل ٥ ـ ١٠).

فالمقابلة بين قوله : أعطى واتقى وصدق واليسرى: ببخل واستغنى وكذب والعسرى. الأولى للأولى والثانية للثانية على الترتيب.

وفى هذه الآية قابل اتقى باستغنى لأن المراد باستغنى أنه زهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتق أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق[2].

وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (النحل ٩٠).

مقابلة بين الأمر وما يتبعه والنهى وما يتبعه، فأمر بثلاثة ونهى عن ثلاثة وهذه أربعة بأربعة.

وكقول أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فى وصيته عند الموت: هذا ما أوصى به أبو بكر، عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها، وأول عهده بالآخرة داخلا فيها.

فقابل أولاً بآخر، والدنيا بالآخرة، وخارجاً بداخل، ومنها بفيها.

وقال علماء البديع،كلما كثر عدد المقابلة كانت أبلغ ـ وفى اعتقادى أن ذلك للأدباء ـ وما أظن الذوق السليم يرى ذلك ، فلا نجد فى القرآن الكريم مقابلة تتعدى أربعة بأربعة فليس فيه خمسة بخمسة، ولا ستة بستة، ولا نجد شيئاً منها فى الحديث الشريف.

(١) معاهد التنصيص ٢/٢٠٧

(٢) انظر الايضاح ٦/ ١٨، خزانة الأدب ١/١٣١

٤ ـ فمن مقابلة خمسة بخمسة:

كقول عليّ رضى الله عنه لعثمان:

"إن الحق ثقيل مرى والباطل خفيف وبى وأنت رجل إن صدقتك سخطت وإن كذبتك رضيت"

فقابل الحق بالباطل والثقيل المرىء بالخفيف الوبىء[1] والصدق بالكذب والسخط بالرضا فهذه خمس مقابلات.

وقال أبو الطيب المتنبى:

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وانثنى وبياض الصبح يغرى بى

قال الخطيب إن النهار ضد الليل وليس الصبح، والشطر الأول كله يقابل الشطر الثانى كله.

ويقول ابن حجة[2] إن المقابلة الخامسة بين بى ولى، فيها نظر لأن الباء واللام صلتا الفعلين ورجح بيت أبى دلامة[3] المتقدم على بيت أبى الطيب بجودة المقابلة، ولكن القافية مستدعاة، فإن الذى ذكره مختص " بالرجل" وبغيره، والمعنى قد تم بدون "الرجل".

قال ابن أبى الإصبع[4] لو كان ماذكر صحيحاً لما اضطر إلى القافية التى أفاد بها معنى زائدا، بحيث يقول بالبشر لكان البيت نادراً، وعلى كل تقدير فبيت أبى دلامة أفضل من بيت المتنبى، لصحة المقابلة، لأنه قابل بالأضداد والمتنبى بغير الأضداد، والمقابلة بالأضداد أفضل، وهو مذهب السكاكى، فإنه قال: المقابلة تجمع بين شيئين متوافقين فأكثر ثم إذا شرطت هناك شيئاً أى ـ فى المتوافقين فأكثر شرطت هنا ـ أى فى الأضداد ـ ضده، وبيت المتنبى أفضل بالكثرة عند غير السكاكى.

---

(١) الباطل وبىء : لاتحمد عاقبته، وهو من الوباء: المرض، مرى: يسهل بلعه.
(٢) خزانة الأدب ١٣١/١.
(٣) سبق ذكره ص ٣٢.
(٤) تحرير التحبير ١٨٢

٥ ـ مقابلة ستة بستة:

كقول شرف الدين:

علــى رأس عبـد تـــاج عـــزّ يزينـــه   وفــي رجــل حــر قيـــد ذل يشـــينه

فكل كلمة فى الشطر الأول تقابل ضدها فى الشطر الثانى.

وهذه المقابلة التى سبق توضيحها تزيد المعانى وضوحاً فى الفكر، ورسوخاً في النفس، وذلك أن تقابل المعانى يؤكدها خير تأكيد ويصورها فى الذهن فتزداد عمقاً فى الفهم.

مـراعــاة النظيــر (١)

يسمى هذا النوع التناسـب والتوفيـق والائتـلاف والتلفيـق والمؤاخـاة (٢) ويؤخذ من معناه وجه التسمية.

وفي الاصطـلاح: أن يجمـع فـي الكـلام بـين أمـر ومـا يناسـبه أو بـين أمريـن متناسبين أو أمور متناسبة مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة، وسواء كانت المناسبة لفظا لمعنى أو لفظا للفظ أو معنى لمعنى، إذ القصد جمع شيء إلى ما يناسـبه مـن نوعـه وما يلائمه من أحد الوجوه.

ولَمّا كان في هذا الجمـع رعايـة الشـيء مـع نظـيره أى شـبهه أو مناسـبه سمـي مراعاة النظير والجمع يكون بين أمرين متناسبين مثل قوله تعـالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (الرحمن ٥) فقد جمع القرآن الكريم بين الشمس والقمـر لأن بينهمـا مـن التناسبِ مالايخفى حيث إنهما جسمان سماويان نورانيان، وأنهمـا آيتـان تـدلان علـى قدرة الله تعالى، فتضيئان بنظام معلوم مقدر، ويتخذهما الناس ميقاتا للسـنين والأيـام والحساب.

وقد يكون ذلك الجمع بين أمور ثلاثة كقول البحترى يصف إبلا بأنهـا هزيلـة ضعيفة:

كالقسـي المعطفـات بـل الأسـ ـهم مبريـة بـل الأوتـار (٣)

فقد شبه الشاعر الإبل النحيلة بالقسى فى ضعفها ثم شبهها بالسهام التـى هى أدق وأرق من القسى، ثم أضرب عن ذلك وشـبهها بالأوتـار التـى هـى أدق من السهام.

وبذلك جمع بين أمور ثلاثة متناسبة ومتآخية في الذهن وهـى القسـى والسـهام والأوتار وراعى فى ذلك التدرج من القوة إلى الضعف، فالقسى أغلظ والسـهام أدق منها، والأوتار أدق من السهام.

---

(١) انظر الإيضاح ١٩/٦ : شروح التلخيص ٣٠١/٤، معاهد التنصيص ٢٢٧/٢

(٢) انظر خزانة الأدب ٢٩٣/١، مواهب الفتاح ٣٠١/٤

(٣) القسى: جمع قوس، المعطفات: المنحنيات، الأسهم: جمع سهم. مبريـة: منحوتـة، الأوتـار: جمـع وتر وهو الخيط الجامع بين طرفى القوس.

وقول ابن عنقاء الفزاری فی المدح:

كـأن الثريـا عُلّقـت فـي جبينـــه   وفى خدّه الشعرى وفى وجهه القمر

فقد جمع بين الثريا والشعرى والقمر، وهى كواكب سماوية.

وقد يجتمع أربعة أمور متناسبة كقول أحد الناس للمهلبى الوزير:

أنت أيها الوزير اسماعيلى الوعد، شعيبى التوفيق، يوسفى العفو، محمدى الخلق" ، فقد جمع بين أربعة أنبياء: إسماعيل وشعيب ويوسف ومحمد. عليهم الصلاة والسلام. وقد جمع بين الوعد والتوفيق والعفو والخلق، وكلها أخلاق متوافقة متناسبة.

وقد يجتمع أكثر من أربعة أمور متناسبة كقول ابن رشيق.

أصح وأقوى ما سمعناه فى الندى   من الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث ترويها السيول عن الحيا   عن البحر عن وجود الأمير تميم [1]

فقد جمع بين الصحة والقوة والسماع والخبر المأثور والأحاديث والرواية، وهى أمور متناسبة متآلفة.

وجمع بين الحيا والسيل والبحر وكف تميم، وهى أمور متناسبة مراعيا فى ذلك التدرج من الضعف إلى القوة، فالسيل أصله المطر، والمطر أصله البحر والبحر أصله كرم الأمير "تميم" على سبيل المبالغة.

فالعنعنة في البيت الثانى محكمة متآلفة تفيد أن الرواية لصاغر عن كابر وآخر عن أول كما يقع فى سند الأحاديث.

ومما يستحسن فيما جاء من حسن المناسبة فى مراعاة النظير قول شاعر فى مليح معه الخادم يحرسه:

ومن عجب أن يحرسوك بخادم   وخدام هذا الحسن من ذاك أكثر

عذارك ريحان وثغرك جوهر   وخدك ياقوت وخالك عنبر

هذا الأديب المتمكن ناسب بين العذار والثغر والخد والخال، إذ الوجه لمصابيح

---

(١) خزانة الأدب ٣٦٨/١

هذه المحاسن جامع وبين ريحان وجوهر وياقوت وعنبر، للملاءمة في أسماء الخدّام فلو ذكر شيئاً عن غير تناسب كان نقصاً وعيباً، وإن كان جائزاً فإنهم عابوا على أبي نواس قوله:

وقـد حلـفت يمينـا ... مـبرورة لا تكـذب

بـرب زمـزم والحـو ... ض والصفـا والمحصـب [1]

فالحوض هنا لا يناسب إلا الصراط والميزان وما هو منوط بيوم القيامة، ولأنه لا يلائم المحصب والصفا وزمزم.

ومثله في عدم المناسبة قول الكميت:

وقـد رأينـا بهـا حـوراء منعمـة ... بيضا تكامل فيها الدل والشنب [2]

فالدلال لا يناسب الشنب، فالشنب من لوازم الثغر، فلو ذكر معه اللعس[3] لناسب ذلك ولخلص من النقد.

ومن بديع مراعاة النّظير وحسن المناسبة قول بعضهم في آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أنتـم بنـو طـه ونـون والضحـى ... وبنـو تبـارك والكتـاب المحكـم

وبنـو الأبـاطح والمشـاعر والصفـا ... والركـن والبيـت العتيـق وزمـزم

فإنه أحسن المناسبة في البيت الأول بين أسماء السور، وفي البيت الثاني بين الجهات الحجازية.

---

(١) المحصب: مكان في وادي منى، وكل ما ذكر في هذا البيت أسماء لشعائر الحج، ما عدا الحوض فانه في الجنة.
(٢) انظر خزانة الأدب ١/ ٢٩٥، الشنب: رقة الأسنان وشدة بياضها.
(٣) اللعس: هو السواد المستحسن في الشفة

تشـابــه الأطـراف [1]

أن تكون نهاية الكلام تتناسب مع أوله في المعنى وذلك بأن تكون النهاية علة للأول أو دليلا عليه.

وتشابه الأطراف نوع من مراعاة النظير لأن مراعاة النظير تجمع بين أمور متناسبة مطلقا سواء أكان في الأول أم في الوسط أم في الآخر.

فالشاعر يعيد لفظة القافية في أول البيت الذى يليها، فتكون الأطراف متشابهة.

أويعيد الناثر سجعة القرينة الأولى في أول القرينة التي تليها، وجاء ذلك في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الروم ٦،٧).

فأعيدت فاصلة الآية الأولى في أول الآية الثانية، كما وقع في غير الفواصل كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ (النور ٣٥).

وفي قوله تعالى: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام ١٠٣)

فقوله تعالى: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ يناسبه "اللطيف"

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ يناسبه "الخبير" لأن من يدرك شيئاً لابد أن يكون خبيراً به عالماً.

وفي قوله تعالى: ﴿اللطيف﴾ هذا إذا كان اللطيف مشتقا من اللطافة، أما إذا كان مشتقا من اللطف أى الرأفة، وهو المراد هنا فلا يظهر إلاّ أن نقول إن بين "اللطيف" و﴿لاتدركه الأبصار﴾ إبهام تناسب [2] .

---

(١) ، (٢) الايضاح ٢٢/٦ وبالهامش . إبهام التناسب: هو الجمع بين معنيين غير متناسبين في أنفسهما بلفظين لهما معنيان متناسبان باعتبار أصليهما ولكن أحد المعنيين غير مراد هنا، كقول الله عز وجل "الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان". انظر مراعاة النظير ص ٣٦ من هذا الكتاب.

وكقوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الحج ٦٤) فقوله تعالى: ﴿الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ لينبه على أن ماله ليس لحاجة بل هو غنى عنه جواد به، فإذا جاء به حمده المنعم عليه.

وقد يكون تشابه الأطراف خفيا بعض الشيء لأول نظرة، ولكن عند التعمق فى فهم المعنى يزول الخفاء ويظهر الهدف المقصود، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة ١١٨). فربما يتوهم القارئ أن ظاهر سياق الآية يقتضى أن يختمها بالغفور الرحيم مكان العزيز الحكيم، ولكن بالتأمل والتدقيق فى فهم المعنى يظهر أن " العزيز الحكيم هو المناسب لما بدنت به الآية لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يتحدث عن عصاة مذنبين آثمين يستحقون العقاب على جرمهم، والعفو عنهم يقتضى العزة والقوة، فلا يعفو عنهم إلاّ صاحب العزة والغلبة الذى لا يسأل عما يفعل، وعفوه عنهم لحكمة لا يعلمها الناس.

فكأنه قال: إننى أعفو عنهم بعزتى وقدرتى وسطوتى وعفوى عنهم لحكمة لا تعلمونها ومن أجل ذلك كان العزيز الحكيم هو المناسب للآية الكريمة.

ومن أمثلة تشابه الأطراف الشعرية قول ليلى الأخيلية تمدح الحجاج:

إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة ... تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذى بها ... غلام إذا هز القناة سقاها

سقاها فرواها بشرب سجالها ... دماء رجال يحلبون ضراها

وهذا اللون البديعى يدل على قوة عارضة الشاعر، وتصرفه فى الكلام، وإطاعة الألفاظ له، يحسن ذلك فى السمع، وفيه دليل على قوة الطبع، فيرتبط المعنى ويتلاحم بعضه ببعض حتى يصير الأبيات الثلاثة معنى واحداً.

ومن تشابه الأطراف نوع آخر يناسب المعنى وهو أن يبتدئ المتكلم كلامه بمعنى ثم يختمه بما يناسب ذلك المعنى الذى ابتدأ به، فيعد قسماً من مراعاة النظير، كقوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾ (السجدة ٢٦ ، ٢٧).

ففى صدر هذه الآية التى هى للموعظة: أولم يهد لهم، ولم يقل أولم يروا لأن الموعظة سمعية وقد قال بعدها: أفلا يسمعون. وقال عز وجل فى صدر الآية التى موعظتها مرئية: أولم يروا، وقال بعد الموعظة البصرية أفلا يبصرون .[١]

ومثله قوله تعالى:﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة ٢٠٩).

فلم يقل عز وجل فى نهاية الآية إن الله غفور رحيم، بدلا من عزيز حكيم لأن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه.

إبهام التناسب: وهو يلحق بمراعاة النظير، وقد عرّفه البلاغيون بأنه: الجمع بين معنيين غير متناسبين بلفظين لهما معنيان متناسبان باعتبار أصليهما ولكن أحد المعنيين غير مراد هنا[٢].

وذلك كقوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ[٣] وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (الرحمن ٥ ـ ٦) فالشمس والقمر بينهما تناسب ومراعاة نظير كما سبق بيانه، ولكن بينهما وبين النجم "ايهام تناسب" لأن النجم فيه تورية، فله معنيان أحدهما قريب، وهو النجم السماوى، وهو بهذا المعنى القريب يتناسب مع الشمس والقمر، فيقترن بهما فى الذهن والخيال، لأنه جسم سماوى نورانى كالشمس والقمر، ولكن هذا المعنى القريب غير مراد هنا.

وثانيهما: بعيد وهو النبات الذى ينجم أى ينبت من الأرض لا ساق له كالبقول مثلاً، وهذا المعنى البعيد هو المقصود من لفظ "النجم" وبهذا المعنى البعيد لا

---

(١) انظر : خزانة الأدب ٣٦٧/١.

(٢) انظر : الإيضاح ٢٣/٢٢/٦

(٣) النجم: النبات الذى ينجم من الأرض أى ينبت منها ولا ساق له كالبقول، والشجر: النبات الذى له ساق. يسجدان : ينقادان ويخضعان لله سبحانه وتعالى فيما خلقا له من الانتفاع بهما فسجودهما مجاز عن خضوعهما وانقيادهما.

يكون بينه وبين الشمس والقمر مناسبة، ومن أجل ذلك سمى " ايهام التناسب" ونتوهم المعني باعتبار ما يتبادر إلى الذهن من معنى النجم القريب.

وبهذا تتضح سلاسة الأسلوب وسهولته، فكل لفظ يسكن إلى جاره، ويطمئن إليه فيرز الكلام كحبات اللؤلؤ المتناسقة، نظراً لتآخي وتوافق وتناسب الكلمات بجانب بعضها البعض، فعندما يعرض الإنسان لموضوع من الموضوعات، وتتداعى له المعاني وتتسابق إلى ذهنه ووجدانه، فإن هو رتبها، ونظمها، ونسقها، وراعى نظائرها، جاء الأسلوب محكما لا ثغرة فيه، وإن فرقها، ولم يقرن اللفظ بما يناسبه، والمعنى بما يلائمه، فإن أسلوبه يأتى قبيحاً، يجمع شتاتاً من الألفاظ المتعادية المتنافرة.

التفـــويــــف

اشتقاقه من قولهم بُرْدٌ مفوف، وهو الذى يكون على لون ثم يخالطه لون أبيض، رقيق، وأصل الفوف: البياض الذى فى أظفار الأحداث، والحبة البيضاء فى النواة، وهى التى تنبت منها النخلة، الفوفة: القشرة البيضاء التى تكون على النواة،

والفوف: الشيء وقطع القطن، فكأن المتكلم خالف بين جمل المعانى فى التقفية كمخالفة البياض لسائر الألوان، لأن بُعده من سائر الألوان أشد من بُعْد بعضها عن بعض، إذ هو بسيط بالنسبة إليهما وكلها مركبة بالنسبة إليه، لأنه قابل لجميع الألوان، وجميع الألوان تقبل التغير إلى لون آخر بحسب التركيب والشدة والضعف إلاّ السواد، فإنه لايقبل تركيبا ألبتة، فهو ضد البياض ونقيضه والجمع فى الكلام بينهما يسمى مطابقة بخلاف بقية الألوان (١)

وفى اصطلاح البلاغيين:

إتيان المتكلم بمعان شتى، من المدح والغزل وغير ذلك من الفنون والأغراض، كل فن فى جملة من الكلام منفصلة عن أختها، مع تساوى الجملة فى الوزنية، ويكون بالجملة الطويلة أو المتوسطة أو القصيرة، وأحسنها وأبلغها وأصعبها مسلكا القصار (٢)

وبناء على ماسبق فإنه لاصلة بين تعريف التفويف لغويا واصطلاحيا، وقد فرق ابن أبى الإصبع بين التعريف بالتفويف وبين جمع المؤتلف والمختلف(٣) إذ أن جمع المؤتلف والمختلف هو الجمع بين فنون وأغراض شتى، ومعنى التفويف عند ابن أبى الإصبع هو ذلك، ولكن حقيقة التفويف التى نلمسها من الأمثلة التى أتى بها، أنه للمخالفة بين جمل المعانى فى التقفيه كمخالفة البياض سائر الألوان المدلة على قدرة الشاعر وتذليله صعب الألفاظ، بخاصة ماكان بالجمل القصيرة منها.

---

(١) انظر تحرير التحبير ٢٦٠.

(٢) خزانة الأدب ٢٤٦

(٣) قد سبق ابن أبى الإصبع أبو هلال العسكرى فى وضع التفويف تحت اسم المؤتلف والمختلف ــ انظر الصناعتين ص ٤٠١

فمن التفويف المركب من الجمل الطويلة قول الله عز وجل:

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ الشعراء ٧٨ ــ ٨٢.

ومنه قول النابغة:

وأعظم أحلاما وأكبر سيدا وأفضل مشفوعا وأكرم شافع

ويذكر ابن أبى الإصبع أن أول من نطق بالتفويف المركب من الجمل الطويلة عنترة فقال:

إن يلحقوا أكرُر، وإن يُسْتَلْحَموا

أشدُدْ، وإن نزلوا بضنكٍ أنزلِ

والمعنى: إذا طلب قومه النجدة يكون أسرع الفتيان إلى نجدتهم فهو معهم أينما كانوا وفى جميع أحوالهم، فإذا خرجوا للحرب خرج، وله حملات شرسة على العدو.

والشاهد فى البيت: اجتماع الجمل الثلاث.

ومثال ما جاء من التفويف فى الجمل المتوسطة قوله تعالى:

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ من الميت وتخرج الميت من الحى﴾ (آل عمران ٢٧).

ومثل ذلك من الشعر قول ابن زيدون :

تـه احتمل، واحتكم أصبر، وعِزَّ أَهُن

ودِلَّ أخضع، وقل أَسْمَعْ، ومُرْ أُطِعِ (١)

والشاهد فى البيت اجتماع الجمل الست، كل ثلاثة فى شطر من البيت.

---

(١) ته: تكبر، عز: صر عزيزا، دل: أمر من الدلال.

ويقول ديك الجن:

احل وامرر، وضر وانفع، ولن واخـ ـشن ورش وابر، وانتدب للمعـالى [1]

والشاهد فى البيت اجتماع الجمل الخمس.

ومما جاء من التفويف بالجمل القصيرة قول المتنبى:

أقِلْ أَنِـل أَقْطِـع اَحْمِـل عَـلِّ سَـلِّ أَعِـدْ . زِدْ هَـشَّ بَـشَّ تفضَّـلْ أُدْنُ سُـرَّ صِـلِ

أقل: من الإقالة فى العثرة، أنل: من الإنالة والإعطاء، أقطعَ: من الاقطاع .

أحمل: من قولهم حمله على فرسه، عل: من الاستعلاء والعلو، اسل: من السلو.

أعد : أى أعدنى إلى موضعى من الجوائز، زد: أى زدنى مما كنت أعهده منك.

هش: من الهشاشة وهى التهلل، والبشر: من بشَّ البشاشة وهى البشر، وطلاقة الوجه.

تفضل: من الإفضال، أدن: أى قربنى إليك، وقوله سُرَّ : من التسرى وهو أن يعطيه جارية يتسراها، صل من الصلة، والذى عقد هذا البيت من الشعر هو إتيان كل كلمة فيه فعل أمر، ولم يأت مثل هذا فى القرآن الكريم، ولقد نسج أصحاب البديعيات على مثل هذا المنوال كقول الشيخ عز الدين :

فوف أزف انظم أنشر خص عم أفد اعتب أدر أبرق ارعد اضحك ابك لم

ونقد ابن حجة هذا البيت فقال عنه: هذا البيت بيت ما نحت من الجبال، ولكن الجبال نحتت منه [2] .

ويذكر العلوى [3] أن التفويف فى علم البديع فى الذروة العليا وقد يرد التفويف تارة من جهة لفظه وتارة من جهة معناه، فمن يكون راجعاً إلى الألفاظ مايأتى بجمل مقطعة كقول من يصف السحاب:

---

(١) راش: أصلح والمراد أعن وأغن، ابر: من برى السهم نحته والمراد أفقر، انتدب: دعاه فأجاب.

(٢) انظر خزانة الأدب ص ٢٤٧.

(٣) انظر الطراز ٣/٨٤:٨٧

تســربل وشــيا مــن حريــر تطــرزت

مطارفُهــا لَمْعــاً مــن الــبرق كالتِّــبر

فوشــيٌ بــلاَ رقْــم ونقــشٌ بــلا يــدٍ

ودَمْــعٌ بــلا عــين وضحــكٌ بــلا ثَغْــر

تسربل: يعود الفاعل فيه على السحاب، والوشي: الثياب المنقوشة، الخزوز: جمع خز وهو الحرير، المطارف : جمع مطرف: وهو رداء من خز ذو أعلام وطرز: جمع طراز، والطراز: ما ينسج من الثياب للسلطان، الطراز أيضاً: الجيد من كل شيء، ورقم الثوب: خططه، والدمع استعارة للمطر، والضحك استعارة للبرق.

والشاهد في البيت الثاني: ففيه أربع جمل متساوية المقادير ومتلائمة المعنى ومقطعة الأوزان في العروض.

والراجع إلى المعنى ضابطه أن تصف الممدوح بما يدل على مدح من صفات المكارم وسمات المحامد، ثم نورد صفات دالة على ذمه، لكن اقترن بها مايرشد إلى كونها مدحاً، فالتفويف داخل في هذه الجهة، ومثل ذلك قول جرير:

هــم الأخيــارُ منسكــةً وهدْيــا ... وفــي الهيجــا كــأنهمُ صُقــورُ

بهــم حَــدِبَ الكــرامُ علــى المعــالى ... ومنهــم عــن مســاويهم فُتُــور

خلائــق بعضهــم فيهــا كبعــض ... يــؤم كبــيرَ هــم فيهــا الصــغير

عــن النكــراء كلهــم غبــيٌّ ... وبــالمعروف كلهــم بصــير

فُقِدَ بيتٌ من هذه الأبيات قد تضمن مايرشد إلى الذم لكنه اقترن به ما أخرجه إلى المدح فقوله (كأنهم صقور) صفة ذم لأن من شأن الصقور الخطف والبغي، لكنه لمّا اقترن بقوله (الهيجا) كان مدحا؛ لأن الإنسان إذا كان في الحرب كالصقر، يغلب غيره ويسلبه، فهو مدح لا محالة، وهكذا قوله (وفيهم عن مساويهم فتور) لأن الفتور هو الضعف والعجز وهما ذمّان، خلا أنه اقترن بقوله (بهم حَدِبَ الكرامُ على المعالى) فصّيره مدحا لأن الإنسان إذا كان عظيم الولوع بالخصال السامية، والمراتب

العالية؛ وكان ضعيفا متكاسلا عن المساوى، ففيه نهاية المدح، وهكذا قوله (يؤم كبيرهم فيها الصغير) فإنه يكون ذمًّا، لأنه لا خير فى الكبير، إذا كان مقتديا بالصغير، وإنما المدح هو عكسه لكنه لمّا اقترن بقوله (خلائق بعضهم فيها كبعض) أفهم أن الصغير والكبير فيهم سواء فى فعل المعروف والإحسان، وهكذا قوله (من النكراء كلهم غبى وبالمعروف كلهم بصير) فإن الغباوة صفة ذم، خلا أنه لما اقترن به قوله (وبالمعروف كلهم بصير) كان دليلاً على المدح.

هذا ويرى الخطيب القزوينى أن ما يسميه الناس " التفويف" بعضه يرجع إلى مراعاة النظير كما فى أبيات وصف السحاب، وبعضه من المطابقة كما سبق فى قول ديك الجن (١)

ومما يوافق قول الخطيب، أن مراعاة النظير دعوة للخيال أن يكون منظماً متئدًا، فلا ينتقل فجأة من منظر إلى منظر، ومن واد إلى واد، فيرهق السامع أو القارئ، إذ يجد أنه قد انتقل مثلاً من وصف السماء إلى وصف الأرض، ثم عاد إلى السماء من وصف المطر والبرودة إلى وصف منظر حفل، أو ماشاكل ذلك، أو يختم الموضوع بما لا يناسب أوله.

ولذا نرى فحول الأدباء يراعون هذه الظاهرة فتضيف إلى أسلوبهم رونقا وبهاء .

---

(١) انظر: الإيضاح مع البغية ٤/٢٠،٢١، وانظر القول عن المطابقة ماجاء فى تحرير التحبير ص ٢٦٠، وما سبق من هذا الكتاب

الإرصاد أو التسهيم [1]

سمى هذا اللون البديعى توشيحا لكون معنى أول الكلام يدل على لفظ آخره فيتنزَّلُ المعنى منزلة الوشاح، ويتنزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللّذين يجول عليهما الوشاح.

وهو أن يجعل المتكلم فى كلامه مايدل على نهايته إذا عرف حرف الروى[2] ويسمى أبو هلال العسكرى هذا النوع التوشيح ويقترح له اسماً آخر هو التبيين فيقول: سمى هذا النوع التوشيح وهذه التسمية غير لازمة بهذا المعنى ولو سمى تبييناً لكان أقرب، وقد سماه قدامة بن جعفر أيضاً التوشيح [3] .

وهو أن يكون مبتدأ الكلام ينبئ عن مقطعه، وأوله يخبر بآخره، وصدره يشهد بعجزه، حتى لو سمعت شعراً أو عرفت رويه ثم سمعت صدر بيت منه وقفت على عجزه قبل بلوغ السماع إليه. [4]

ومن أعظم الشواهد ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم: كان يقرأ قوله ا لله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾. (المؤمنون ١٢ ـ ١٤).

فلما بلغت قراءة النبى صلى الله عليه وسلم: إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾. قال عبد الله بن أبى سرح: "فتبارك الله أحسن الخالقين" فقال النبى صلى الله عليه وسلم: كذلك أنزلت.

---

(١) الإرصاد: هو نصب الرقيب فى الطريق من رصدته أى رقبته.

(٢) الروى: الحرف الذى ينى عليه أواخر الأبيات، وأواخر الفقر، ويجب أن يتكرر فى كل منهما.

(٣) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ١٦٨.

(٤) انظر الصناعتين ص ٣٧٣، انظر الايضاح ٢٥/٦، تحرير التحبير ٢٢٨، خزانة الأدب ٢٢٢، الطراز ٧٠/٣.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ النَّـاسُ إِلاَّ أُمَّـةً وَاحِـدَةً فَـاخْتَلَفُوا وَلَـوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (يونس ١٩).

فالإرصاد في قوله تعالى: (فاختلفوا) فلو وقف القارئ على قوله تعـالى " فيمـا فيه" عرف السامع أن بعده "يختلفون" لما تقدم من الدلالة عليـه والإرصـاد لـه بقولـه: "فاختلفوا"

وكقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَـى آدَمَ وَنُوحًـا وَآلَ إِبْرَاهِيـمَ وَآلَ عِمْـرَانَ عَلَـى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران ٣٣)فإن اصطفـاء المذكورين، مـا يعلـم منـه الفاصلـة.، لأن المذكورين نوع من جنس العالمين.

وكقوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُـمْ مُظْلِمُـونَ﴾ (يـس ٣٧) فمن يحفظ تلك السورة يفطن إلى أن مقاطع فواصلها النـون، فمـن يسـمع الآيـة السابقة علم أن الفاصلة "مظلمون" فإنه متى انسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال.

وكقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِيـنَ اتَّخَـذُوا مِـنْ دُونِ اللَّـهِ أَوْلِيَـاءَ كَمَثَـلِ الْعَنْكَبُـوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ (العنكبوت ٤١).

فإذا وقف السامع على قوله تعالى" ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ فإنه يعلم لامحالـة أن بعده (بيت العنكبوت) فدل المتقدم منه على المتأخر.

ومثل ذلك قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت ٤٠)

فاذا سمع قوله تعالى (ولكن كانوا) عرفت الفاصلة وعلـم أن بعـده ذكـر ظلـم النفوس، لأن، كلام الأول فيه مايدل دلالة ظاهرة .

وكقوله تعالى:

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ (سبأ ١٧)

فإذا وقف السامع على قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِى﴾ بعـد علمـه بمـا تقـدم مـن الكلام فانه يعلم بالضرورة أن بعدها لايكون ﴿إِلاَّ الْكَفُورَ﴾.

وكقوله تعالى:

﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ (الرحمن ٦٠).

فإن السامع يتحقق بعد ذكر قوله تعالى ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ﴾ لا يكون إلاّ ﴿الإِحْسَانُ﴾ لمافى ذلك من الملاءمة الشديدة والتناسب الواضح.

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ (الواقعة ٦٨).

فذكر الماء يدل على المطر الذى ينزل من السحاب بقدرة الله عز وجل.

ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"فما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار إلاّ الجنة والنار".

فإن السامع إذا وقف على قوله ﴿فما بعد الدنيا من دار﴾ تحقق أنه لا محالة أن بعده (إلا الجنة والنار) لما بينهما من شدة الملاءمة وعظيم المناسبة.

ومن ذلك قول زهير:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكننى عن علم مافى غد عم

فالأزمنة ثلاثة، ماض وحاضر ومستقبل، فلما ذكر حكم الماضى والحاضر، عرف أنه لابد من ذكر المستقبل وحكمه، وهو الجهل بما يقع فيه، ولأجل ذلك كان الإرصاد فيه سابقاً معلوما وهو أنه: عن علم مافى غد عم.

ومن هذا قول البحترى:

فإذا حاربوا أذلوا عزيزا ... وإذا سالموا أعزوا ذليلا

فإن صدر البيت ينبئ عن عجزه، فإذا وقف السامع على قوله وإذا سالموا وفد إلى ذهنه أنهم أعزوا ذليلاً.

ومن ذلك قول زهير أيضاً:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولاً ـ لا أبالك ـ يسأم

فالإرصاد فى قوله: (سئمت) لأنه يدل على أن عجز البيت من هذه المادة وهى (يسأم)

ومن ذلك قول معدى كرب:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع[1]

فالإرصاد فى قوله: إذا لم تستطع. لأنه يدل على أن مادة العجز من مادة الاستطاعة المثبتة، إذ لايصح أن يقال: إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى مالاتستطيع، أو جاوزه إلى كل ماتشتهى أو نحو ذلك. والذوق السليم شاهد صدق على ذلك ومعرفة الروى تدل على أن تلك المادة تختم بعين قبلها ياء، وليس ذلك إلاّ لفظ تستطيع وهو ظاهر[2].

وكقول البحترى أيضاً:

أحلت دمي من غير جرم، وحرمت بلا سبب يوم اللقاء كلامى

فليس الذى حللته بمحلل وليس الذى حرمته بحرام

فالإرصاد فى "فحرمته" يدل على أن العجز (حرام) إذا عرف أن الروى "الميم"، وأن القافية على وزن فعال كسلام وكلام، فلو لم يعرف أن القافية مثل سلام وكلام لربما توهم أن العجز بمحرم.

وسمى هذا النوع "بالإرصاد" لأن السامع يرصد ذهنه للقافية بما يدل عليها فيما قبلها، وسمى أيضاً "التسهيم" لأن المتكلم يصوب ما قبل عجز الكلام إلى عجزه، والتسهيم تصويب السهم إلى الغرض.

وعلى هذا فإن المتكلم الذى يجعل فى أثناء كلامه شيئاً يدل على نهايته يكون على مقدرة بلاغية حيث يستطيع أن يفهم السامعين كلامه بتمامه وكماله إذا وصل إلى الكلمة التى ترشد إلى عجز الكلام ونهايته، كما أنه يجعل السامع مرهف الحس شديد التذوق للكلام الذى يسمعه، فيتابع القارئ ويفهم ما يقوله، فإذا وصل إلى

(١)انظر: معاهد التنصيص ٢/٢٣٧

(٢) انظر: مواهب الفتاح ٤/٣٠٨

سمعه الكلمة التى فيها الإرصاد سبق ذهنه، وأسرع خاطره إلى المادة التى يختم بها المتكلم كلامه.

ويقول عبد الله بن المقفع مادحاً الشعر الذى فيه الإرصاد أو التسهيم:

"ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذى إذا سمعت صدره عرفت قافيته"[1]. تلك كانت الإشارة الأولى إلى هذا المحسن البديعى المعنوى.

ويقول أبو هلال العسكرى:

وخير الشعر ما تسابق صدوره وأعجازه، ومعانيه وألفاظه، فتراه سلساً فى النظام، جاريا على اللسان، لا يتنافى ولا يتنافر، كأنه سبيكة مفرغة،، أو وشى منمنم، أو عقد منظم من جوهر متشاكل، متمكن القوافى غير قلقه، ألفاظه متطابقة، وقوافيه متوافقة، فإذا نقض بناؤه، وحل نظامه، وجعل نثرا لم يذهب حسنه، ولم تبطل جودته فى معناه ولفظه، فيصلح نقضه لبناء مستأنف، وجوهره لنظام مستقل[2]

هذا وقد جاء فى العمدة: أن قدامة يسمى هذا الباب التوشيح.. وقيل إن الذى سماه تسهيماً على بن هارون المنجم، وأما ابن وكيع فسماه المطمع، وسر الصنعة فى هذا الباب أن يكون معنى البيت مقتفيا قافيته، وشاهدا بها دالاً عليها.

ويظن ابن رشيق تسمية هذا بالتسهيم من تسهيم البرود، وهو أن ترى ترتيب الألوان فتعلم إذا أتى أحدها ما يكون بعده.

وأما تسميته توشيحا فمن تعطُّفِ أثناء الوشاح بعضها على بعض وجمع طرفيه، ويمكن أن يكون من وشاح اللؤلؤ والخرز، وله فواصل معروفة الأماكن، فلعلهم شبهوا هذا به ولاشك أن الموشحات من ترسيل البديع وغيره إنما هى من هذا، وبعض الناس يقول: إن التوشيج بالجيم، فإن صح ذلك فإنما يجيء من "وشجت العروق" إذا اشتبكت، فكأن الشاعر شبك بعض الكلام ببعض .. فأما تسميته المطمع فذلك لما فيه من سهولة الظاهر، وقله التكلف، فإذا حووِلَ امتنع وبَعُدَ مُرامة[3].

---

(١) انظر الصبغ البديعى د/ أحمد ابراهيم موسى ص ٣٧٣.

(٢) الصناعتين ص ٣٧٢، ٣٧٣

(٣) العمدة لابن رشيق ٣١/٢: ٣٤ بتصرف.

ويفرق ابن أبي الأصبع بين التسهيم والتوشيح من ثلاثة أوجه:[1] أحدهما أن التسهيم يعرف به من أول الكلام آخره، ويعلم مقطعه من حشوه من غير أن تتقدم سجعة النثر ولا قافية الشعر، والتوشيح لاتعرف السجعة والقافية منه إلاّ بعد أن تتقدم معرفتهما. والآخر أن التوشيح لايدلل أوله إلاّ على القافية فحسب، والتسهيم يدل تارة على عجز البيت وطوراً على مادون العجز، بشرط الزيادة على القافية.

والثالث[2] أن التسهيم يدل تارة أوله على آخره، وطوراً آخره على أوله بخلاف التوشيح، وقد جاء من التسهيم في الكتاب العزيز قوله تعالى:

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ إلى آخر الآية الكريمة (الواقعة ٦٣ ـ ٦٥ ، ٦٨).

فلننظر إلى اقتضاء أول كل آية آخرها اقتضاء آخرها اقتضاءً لفظيا ومعنوياً، وائتلاف الألفاظ مع معانيها، ومجاورة الملائم بالملائم، والمناسب بالمناسب، لأن ذكر الحرث يلائم الزرع، وذكر الحطام يلائم التفكه ومعنى الاعتداد بالزرع يقتضي الاعتداد بصلاحه وعدم فساده، فحصل التفكه، وكذلك في بقية الآيات.

(١) تحرير التحبير ص ٢٦٧
(٢) هذا هو الفرق بين تعريف ابن أبي الإصبع وتعريف من سبقه للتسهيم.

المشـــاكلـــة

المشاكلة فى اللغة هى المماثلة، ويقول ابن أبى الإصبع:

هى أن يأتى المتكلم فـي كلامـه أو الشـاعر فـى شعره باسـم مـن الأسمـاء المشتركة فى موضعين فصاعداً من البيت الواحد، وكذلك الاسم فى كل موضع من الموضعين مسـمىً غـير الأول، تـدل صيغتـه عليـه بتشـاكل إحـدى اللفظتـين الأخرى فى الخط واللفظ، ومفهومهما مختلف.

ويذكر محقق تحرير التحبير، أن التبريزى تكلـم عـن المشـاكلة وعرفهـا بمـا ذكره ابن أبى الإصبع وأدخلها فى التجنيس[1]، ويقصد ابن أبى الإصبع غير مـا قصده التبريزى إذ يقصد المشاكلة المعنوية، وكل من أتى بعده من علماء البديـع سار على طريقـة التـبريزى، ولذلـك انفـرد ابـن أبـى الإصبـع بهـذا اللـون لهـذا الباب[2].

وجاء فى الإيضاح عن المشاكلة:

هى ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقاً أو تقديراً [3]

١ ــ فمثال التحقيقى قوله تعالى:

﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (آل عمران ٥٤)

فالمكر الأول حقيقى، والمكر الثانى يقصد به الجزاء علـى المكـر الأول، ولكـن أطلق عليه اسم المكر من بـاب المشـاكلة لوقوعـه فـى صحبـة المكـر الأول، وليشـير القرآن الكريم إلى أن وبال المكر راجع عليهم ومختص بهم.

---

(١) وكذلك الرمـانى أدخلهـا تحـت عنـوان: التجـانس وجعلـه علـى وجهـين: مزاوجـة ومناسـبة، فالمزاوجة تقع فى الجزاء كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ البقـرة ١٩٤ أى جازوه بما يستحق على طريق العدل، إلاّ انه استعير للثانى لفظ الإعتـداء لتـأكيد الدلالـة علـى المساواة فى المقدار، فجاء على مزاوجة الكلام لحسـن البيـان، ومـن ذلـك مسـتهزئون، ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾(البقرة ١٥) أى يجازيهم على استهزائهم. انظر: النكت للرمانى ـ باب التجانس.

(٢) تحرير التحبير ص ٣٩٣، خزانة الأدب ٢٥٢/٢ بتصرف.

(٣) الإيضاح ٢٧/٦

وقوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (النساء ١٤٢)

أى مجازيهم على خديعتهم ووبال الخديعة راجع عليهم، لأن الخداع الثانى يراد به الجزاء على الخداع الأول الحقيقى.

ومثل ذلك قوله عز وجل ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى ٤٠).

فالسيئة الأولى حقيقية، أما السيئة الثانية فهى الجزاء على السيئة الأولى، والجزاء لا يسمى سيئة، وإنما أطلق عليه ذلك من باب المشاكلة اللفظية لوقوعه فى صحبة السيئة الأولى الحقيقية، والعقاب بالسيئة الثانية يسوء المذنب وهى بالنسبة له سيئة وذلك نتيجة لذنبه الذى اقترفه وكان سيئاً والله أعلم

وأرى أن القرآن الكريم قد أتى بهذه الألفاظ " المشاكلة" ليحمل معنى ويوحى إلى القارئ بما لايستطيع أن يوحى به، ولا أن يدل عليه ما قالوا: إنه الأصل المعدول عنه، فتسمية جزاء السيئة سيئة لأن العمل فى نفسه سوء وهو يوحى بأن مقابلة الشر بالشر وإن كانت مباحة، سيئة يجدر بالإنسان الكامل أن يترفع عنها، وكأنه بذلك يشير إلى أن العفو أفضل وأولى، وعلى هذا النسق تماماً قوله تعالى:

﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ١٩٤).

فالاعتداء الأول حقيقى، والاعتداء الثانى ليس حقيقيا، وإنما المراد به "القصاص" ، والقصاص لايسمى اعتداء، ولكن أطلق عليه اسم الاعتداء لوقوعه فى صحبة الاعتداء الأول، تحقيقا من باب المشاكلة اللفظية.

والسر فى إعادة لفظ الاعتداء بعينه، الدلالة على المساواة فى الجزاء أى جاوزه بما يستحق طريق العدل (١) .

وبذلك فقد اشتملت الآية الكريمة على محسن بديعى معنوى وهو المشاكلة، وأفادت العدالة والمساواة فى القصاص والجزاء.

---

(١) انظر ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ٩٩

ومثل ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (الجاثية ٣٤).

فالنسيان بمعناه المعروف لا يجوز على الله سبحانه وتعالى، وإنما المراد به أن الله يجازيهم ويعاقبهم على إهمالهم وغفلتهم، ولكنه سمي نسيانا لوقوعه فى صحبة غيره تحقيقاً من باب المشاكلة. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة ١٤،١٥).

فالاستهزاء الأول حقيقي، أما الثاني فلا يجوز على الله سبحانه وتعالى، وإنما أراد بذلك أنه يعاقبهم ويجازيهم على استهزائهم، وذكر العقاب والجزاء بلفظ الاستهزاء لوقوعه فى صحبة الاستهزاء الأول من باب المشاكلة.

ومعنى استهزاء الله عز وجل هو إنزال المهانة والحقارة بهم، لأن المستهزئ غرضه طلب الاستخفاف والزراية بمن يهزأ به وادخال الهوان عليه، وقد كثر التهكم ـ فى كلام الله ـ بالكفرة، والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم، والدلالة على أن مذاهبهم لا يليق بها إلاّ أن يسخر منها الساخرون ويضحك عليها الضاحكون.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (المائدة ١١٦)

أى تعلم حقيقة ذاتي وما انطوت عليه ولا أعلم حقيقة ذاتك وما احتوت عليه من صفات الكمال، إنك أنت العالم بالخفايا والنوايا وعلمك محيط بما كان وما سيكون وما هو كائن.

والأصل تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ماعندك، فلفظة "النفس" لا تستعمل فى حق الله تعالى، إلاّ أنها استعملت هنا مشاكلة لما تقدم من لفظ "النفس"

ومثل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، فعليكم من الأعمال بما تطيقون، فإن الله لايمل حتى تملوا"

معناه أن الله لايمنع عنكم ثوابه وفضله حتى تنقطعوا عن سؤاله، فقد وضع "لايمل" موضع "لايقطع عنكم ثوابه وفضله"، وذلك لوقوعه فى صحبة غيره من باب

المشاكلة، أى أنه عبر عن قطع الثواب بالملل، لوقوعه فى صحبته، وهو مما وقع فيه لفظ المشاكلة أولاً.

وقوله صلى الله عليه وسلم:

"أد الأمانة إلى من ائتمنك ولاتخن من خانك" أى لاتعاقب من خانك، فوضع "لاتخن" موضع "لاتعاقب" لوقوعه فى صحبة غيره تحقيقاً .

ومثل ذلك قول الشاعر فى قاضٍ شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته وأنكر الهلال:

أترى القاضى أعمى أم تراه يتَعامى

سرقَ العيَدَ كأنَّ العِيدَ أموالُ اليتَامَى

فهو يقول: أنكر القاضى وجود الهلال، كما سرق أموال اليتامى. فوضع "سرق" موضع "أنكر" لأجل المشاكلة.

وكقول جابر الأندلسى:

قالوا اتخذ دهنا لقلبك يشفه قلت: ادهنوه بخدها المتورد

فأراد الشاعر أن يقول: متعوا قلبى بخدها المتورد، فوضع "أدهنو" مكان "متعوا" لوقوعه فى صحبة غيره.

وكقول أبى الرقعمق:

قالوا: اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت: اطبخوا لى جبة وقميصا

فأراد الشاعر أن يقول "خيطوا لى" جبة وقميصاً، لأنه فى حاجة إلى الملابس، فوضع اطبخوا لى مكان خيطوا لى لأجل المشاكلة.

ومثال التقديرى قوله تعالى:

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (البقرة ١٣٨)

أى ما نحن عليه من إيمان هو دين الله الذى صبغنا به وفطرنا عليه فظهر أثره علينا كما يظهر الصبغ في الثوب، ولا أحد أحسن من الله صبغة أى دينا، ونحن نعبده ولا نعبد سواه.

فقد وضع "صبغة الله" مكان "تطهير الله" وذلك لأجل المشاكلة لوقوع صبغة الله في صحبة (صبغة النصارى) المقدرة، لأنهم كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه "المعمودية" فإذا وضع الواحد منهم ابنه فى هذا الماء صار نصرانيا، وصار طاهرا ـ فى اعتقادهم ـ فأمر المسلمون بأن يقولوا إن الله صبغنا بالإيمان، وطهرنا به تطهيراً، لا مثل تطهيركم، فالإيمان هو الذى يطهر النفوس.

وقد عبر بالصبغ للمشاكلة التقديرية، لأن صبغة النصارى ليست مذكورة وإنما هى مقدرة.

ومما هو جدير بالذكر أن المشاكلة التى فى آيات القرآن الكريم عدّها قوم من مسائل علم البيان فهى مجاز مرسل علاقته السببية: من إطلاق السبب على المسبب.

والمجاز المرسل يحتل مرتبة عليا فى البلاغة، لأن فيه إيجازا بديعا والبلاغة الايجاز، وفيه تصوير للمعنى المجازى بدقة وإحكام، وتقوية له وتقرير فى الأذهان لأنه كدعوى الشيء بالبينة والبرهان والدليل.

وبعض أمثلة المشاكلة صالحة لأن تكون استعارة وذلك كقول الشاعر أبى الرقعمق السابق:

قالوا: اقترح شيئا نجد لك طبخه   قلت: اطبخوا لى جبة وقميصا

فقوله: اطبخوا: يجوز أن يكون مشاكلة كما سبق توضيحه ويجوز أن يكون استعارة فقد شبه الخياطة بالطبخ بجامع العناية والرعاية فى كل منهما، ثم ادعى أن المشبه من جنس المشبه به واستعيرت الطباخة للخياطة، واشتق من الطباخة بمعنى الخياطة اطبخوا لى، بمعنى خيطوا لى، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية فى الفعل.

والمعلوم أن الاستعارة تسمو فى مدارج المراتب البلاغية، لأنها تصور المعانى تصويراً مجسماً يشاهده الإنسان، وتؤدى المعنى المطلوب بإيجاز بديع، إلى جانب

تثبيت المعنى المراد بالدليل فيتقرر فى الأذهان، ويستقر فى الوجدان، لأن الاستعارة من المجاز اللغوى، والمجاز كدعوى الشىء بالبينة والبرهان.

ومن أجل هذا فالمشاكلة تضفى على الأسلوب سحراً وجمالاً وثوباً قشيباً لأن أمثلتها تتنوع بين المجاز المرسل والاستعارة وهما يحتلان منزلة سامية فى البلاغة العربية.

ولقد عدها آخرون من مسائل علم المعانى، من حيث مخالفتها لمقتضى الظاهر، وهى الآن من مسائل علم البديع، من حيث إنها توجب تغير اللفظ، فهى من المحسنات البديعية المعنوية.

الاستطـــراد

الاستطراد: يخرج المتكلم من الكلام الذى هو مسترسل فيه إلى غيره ـــ باستدعاء مناسبة ـ ثم يرجع الى ماكان فيه، وهو قريب من الاعتراض؛ غير أن الاعتراض منه ما يقبح ويحسن، بخلاف الاستطراد فهو حسن كله.

قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ باللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ به عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ(١)﴾.

فقد وقع الاستطراد من وصية لقمان لابنه إلى وصية الله عز وجل لعباده، لما بينهما من المناسبة فالمجال واحد وهو التوصية بالخير ومكارم الأخلاق ـ وهى المناسبة ـ، ثم عاد إلى ما كان عليه من وصية لقمان لابنه حيث قال تعالى: (يابنى إنها إن تك مثقال ...... إلى آخر الآية الكريمة) ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا، وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ (٢) .

فقوله تعالى: (وقرآن الفجر ......مشهوداً) من الاستطراد، فقد خرج من ذكر الليل إلى ذكر قرآن الفجر، ثم عاد بعده إلى ذكر الليل.

ومنه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا﴾(٣).

---

(١) لقمان ١٣: ١٦ وانظر إلى الآية رقم ١٩

(٢) الإسراء ٧٨، ٧٩.

(٣) سورة المزمل الآية ١ ـ ٦

فقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾استطراد لأنه وسَّطه بين أوصاف الليل وماذكره من أحكامه، ثم رجع إلى حال الليل بعد ذكره آية الاستطراد " إنا سنلقى ...." ومنه قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (١)

قال الزمخشرى: (٢) هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوءات وخصف الورق عليها إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى.

والاستطراد يسميه بعض علماء البديع حسن الخروج، فيقول ابن رشيق. ت ٤٥٦هـ " حسن الخروج هو عندهم شبيه بالاستطراد، وليس به لأن الخروج إنما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل ثم تتمادى فيما خرجت إليه" (٣)

"والاستطراد أن يبنى الشاعر كلاماً كثيراً على لفظه من غير ذلك النوع، يقطع عليها الكلام وهى مرادة دون جميع ما تقدم، ويعود إلى كلامه الأول، وكأنما عثر بتلك اللفظة من غير قصد" (٤). فحسن الخروج على هذا الرأى هو حسن التخلص، ويقول ابن رشيق: ومن الناس من يسمى الخروج تخلصاً وتوسلاً، وعلى هذا الرأى سار ثعلب ت ٢٩١هـ في كتابه قواعد الشعر وهو أول من لقبه هذا اللقب(٥) وقد سار ابن المعتز ت ٢٩٦هـ على نهج ثعلب ـ في اللقب ـ وعرفه بأنه حسن الخروج من معنى إلى معنى(٦) وذكر ابن المعتز أمثلة يتضح فيها الاستطراد كقول الشاعر :

إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه ... فليس به بأس وإن كان من جرم

ويعرض ابن المعتز أمثلة أخرى واضح فيها حسن التخلص كقول الشاعر:

(١) سورة الأعراف الآية ٢٦
(٢) الكشاف ٧٦/٨
(٣) العمدة لابن رشيق ٢٠٦/١
(٤) المرجع السابق ٢٠٨/١
(٥) انظر قواعد الشعر الثعلب ص ٢٢
(٦) انظر: البديع لابن المعتز ٦٩٢

وأحببـــت مـــن حبهـــا البـــاخلين حتـــى وقعـت ابـــن سـلم سـعيدا

فالظاهر أن ابن المعتز يريد بحسن الخروج ما يشمل التخلص والاستطراد، وعلى أي حال فالاستطراد قريب من التخلص.

ولقد أشار الجاحظ ت ٢٥٥هـ في "البيان والتبيين" إلى الاستطراد دون أن يلقبه هذا اللقب، فيقول عنه: هو ضرب من البديع، يظهر الشاعر أنه يذهب لمعنى فيعنّ له آخر، فيأتي به كأنه على غير قصد، وعليه يبني وإليه كان مغزاه .(١)

ومن أمثلة الاستطراد: قال جرير:

لمّا وضعت على الفرزدق ميسمي وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل

فلقد أراد هجاء الفرزدق والبعيث، فاستطرد إلى هجائه للأخطل فقد أجهز عليه فلم تعد له كرامة للتغلب عليه، وكسر أنفه، حيث قضى هجاؤه عليه قضاءً مُبرماً.

وقال السموءل:

إنــا أنــاس مــا نــرى القتــل سـبةً إذا مـــا رأتـــه عـــامر وســـلول

يقــرب حـــبُّ المـوتِ آجـالاً لنـــا وتكرهـــه آجــــالهم فتطــــول

فالقصيدة في الفخر وبيان المآثر والأمجاد، ولكنه استطرد من ذلك إلى هجاء قبيلتي عامر وسلوك، ثم عاد لغرضه المقصود.

ولاعجب فإن ترابط الأسلوب هو غاية البلاغة العربية، لذلك كان حسن الانتقال من معنى إلى معنى، ميداناً خصيبا يتبارى فيه الأدباء، ويتفاضل فيما بينهم ولذلك نوّه البلاغيون به.

---

(١) انظر البيان والتبيين ١/٢٠٥، ٢/١٣٨

المــزاوجــة

المزاوجة: والازدواج هى في اللغة: زاوج بين الشيئين إذا قارب بينهما قال ابن حجة:

إذا تزاوج ذنبى وانفردت له ... بالمدح منّ ونجانى من النقم

وفي الاصطلاح: أن يزاوج المتكلم بين معنيين فى الشرط والجزاء. (١)

أى يجعل معنيين واقعين في الشرط والجزاء مزدوجين: في أن يرتب على كل منهما معنى رتب على الآخر، كقول ابن معصوم:

إذا تزاوج اثمى، فاقتضى نقمى ... حققت فيهم رجائى، فاقتضى نعمى

زاوج بين تزاوج الإثم وهو الشرط، وبين تحقيق الرجاء وهو الجزاء، بأن رتب عليهما اقتضاء شىء هو اقتضاء النقمة أو النعمة. وقال الشيخ عز الدين:

إذا تزاوج خوف الذنب فى خلدى ... ذكرت أن نجاتى فى مديحهم

ومثله قول البحترى:

على أنها ماعندها لمواصل ... وصالٌ، ولا عنها لمصطبر صبر

إذا ما نهى الناهى فلجَّ بى الهوى ... أصاخت إلى الواشى فلج بها الهجر

يصور الشاعر ـ فى البيت الثانى ـ حاله مع محبوبته من أنه لا يزيده نهى الناهى عن حبها إلاّ تمكيناً فى الهوى وثباتاً فى الحب، أما هى فسرعان مايصرفها الوشاة عن حبها، فتسرف فى القطيعة وتمعن فى الهجر، فشتان بين اللجاجين.

وقد جمع الشاعر بين الشرط ـ نهى الناهى ـ والجزاء ـ إصاختها إلى الواشى ـ ورتب عليهما لزوم شىء وهو ـ لجاج الهوى ـ ولجاج الهجر، فكما أن حبه لها لازم ثابت لايزيده النهى أو اللوم إلاّ قوة، كذلك هجرها لاتزيده الوشاية إلاّ شدة فى الهجر وعنفاً فيه.

---

(١) انظر الايضاح ٦/٣٣

ولا يخفى مافى ترتب زيادة الهوى وتعلقه بها على نهى الناهى واللائم، من المبالغة فى الحب والتمكن فى العشق.

كما لا يخفى مافى ترتب شدة الهجر على وشى الواشى من المبالغة فى أن حبها ضعيف وعلى شفا جرف، إذ يزيله مطلق الوشاية، فكيف يكون الحال لورأت عيبا ؟

ومثل ذلك قول الشاعر:

إذا مابدت فازداد منها جمالها نظرتُ لها فازداد منى غرامها

فقد زاوج الشاعر بين الشرط: ظهورها والجزاء ـــ نظره ـــ ورتب عليهما لزوم شيء: وهو ازدياد الجمال وازدياد الغرام.

ومثله قوله البحترى:

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرتِ القربى ففاضت دموعها

زاوج بين الاحتراب، وتذكر القربى، الواقعين فى الشرط والجزاء، فى ترتب فيضان شيء عليهما، فيضان الدماء أو الدموع.

وهذا هو معنى المزاوجة، وليس معناها كما يسبق إلى الوهم: أن يجمع بين معنيين فى الشرط ومعنيين فى الجزاء كما جمع فى الشرط بين الاحتراب وفيضان الدماء، وفى الجزاء بين تذكر القربى وفيضان الدموع، والمعنى اذا تحاربت هذه الفرسان وتقابلوا فاضت دماؤها التى سكبوها فى القتال، ثم إذا تذكرت مابينهم من القرابة الجامعة لهم، فاضت دموعها على من قتل اشفاقا على قطيعة الرحم، فزاوج بين الاحتراب وتذكر القربى الواقعتين فى الشرط والجزاء فى ترتب فيضان شيء عليها، فالمترتب على الشرط فيضان الدماء المترتب على الجزاء فيضان الدموع.

وقال آخر:

رب ساق كأنه غصن بان طاب فى روضة الملاحة غرسا

وإذا مابدى فأخجل بدرا لمعت كأسه فأخجل شمسا

فقد زاوج الشاعر بين ظهوره ولمعان كأسه في الشرط والجزاء، ورتب عليهما الخجل. من أجل هذا فقد أشاد عبد القاهر الجرجانى إلى جمال المزاوجة فى قوله:

"واعلم أن مما هو أصل فى أن يدق النظر، ويغمض المسلك، فى توخى المعانى التي عرفت أن تتحد أجزاءُ الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج فى الجملة إلى أن تضعها فى النفس وضعًا واحدًا ، وأن يكون حالك فيها حال البانى يضع بيمينه ها هنا فى حال ما يضع بيساره هناك، نعم وفى حال مايبصر مكان ثالث ورابع، يضعهما بعد الأُولَيْن، وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حدّ يحصره، وقانون يحيط به فإنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة"(١)

ولا يخفى علينا ما اتضح فى أبيات الشعر السابقة من أن جمال المزاوجة يكمن فى ترابط الأسلوب وكأن البيت كلمة واحدة ولذلك جعله الشيخ عبدالقاهر الجرجانى من النظم الذى يدق فيه الصنع .

(١) دلائل الإعجاز ص ٧٥.

العكــس والتبــديــل

هو أن نقدم في الكلام جزءا ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت(١).

ويقع العكس على وجوه:

الوجه الأول: أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه ذلك الطرف مثل: عادات السادات سادات العادات.

والمعنى أن: العادة الصادرة من أفعال سادة الناس هي الحسنى التي تستحق أن تكون سيدة العادات، وعادات السادات من حيث الإعراب:

عادات: مبتدأ وهي مضاف والسادات مضاف إليه ، وهذا أحد طرفي الجملة، وقد وقع العكس بينهما فقدم لفظ " السادات على العادات، أي قدم ما كان مؤخراً منهما، وأخر ما كان مقدماً، فقدم العادات على السادات أولاً ثم قدم لفظ السادات على العادات ثانياً، فصار الطرف الأول الذي هو المبتدأ مضافاً إليه في الخبر، وصار المضاف إليه أولاً هو المضاف الذي هو الخبر، فصارت الجملة: عادات السادات سادات العادات ومثل ذلك قولهم: كلام الإمام إمام الكلام.

الوجه الثاني: أن يقع بين متعلقي فعلين أو مافي معناهما في جملتين مثل قوله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾(٢).

فقدم الله عز وجل الحيّ على الميت أولاً، ثم قدم الميت على الحيّ ثانياً.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾(٣) وكلمة (مخرج) في معنى الفعل يخرج، وقيل المراد: إخراج النخلة من النواة، والنواة من النخلة، والحبة من السنبلة، والسنبلة من الحبة.

---

(١) الإيضاح ٣٤/٦

(٢) سورة يونس الآية ٣١

(٣) سورة الأنعام آية ٩٥

وقوله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ (١)

أى يدخل الله عز وجل ما نقص من الليل أو النهار من أحدهما فى الآخر، أو تعاقبهما ويكون بزوال أحدهما ولوجاء فى الآخر.

يقول الشاعر:

رمى الحدثان نسوة آل حرب	بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا	ورد وجوههن البيض سودا

فنرى الشاعر قدم " السود" على البيض أولاً ثم قدم البيض على السود ثانياً، والضمير فى شعورهن ـ لنسوة آل حرب فى قوله فى البيت الذى قبله.

الوجه الثالث:

أن يقع العكس بين لفظين موجودين فى طرف جملتين كما فى قوله تعالى:

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾(٤).

فقدم أولاً الضمير "هن" على "هم"

وفى الثانية جملتان فى كل منهما لفظان هما الضميران، أحدهما ضمير جمع الذكور "هم" والآخر جمع الإناث "هن" وقد وجد ما للإناث منهما فى الطرف الأول الذى هو المنسد إليه من الجملة الأولى، ووجد ما للذكور فى الطرف الثانى، الذى هو المسند من تلك الجملة.

---

(١) آل عمران ٢٧.
(٢) البقرة ١٨٧.
(٣) الممتحنة ١٠.
(٤) الأنعام ٥٢.

وفي الثالثة جملتان، قدم " ماعليك: في الجملة الأولى على " من حسابهم من شيء" وفي الجملة الثانية قدم ﴿مِنْ حِسَابِكَ﴾ على ﴿عَلَيْهِم مِنْ شَيْءٍ﴾ .

ومن ذلك قول الشاعر:

إن الليالي للأنام مناهل ... تطوى وتنشر دونها الأعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة ... وطوالهن مع السرور قصار

فواضح أن العكس في البيت الثاني، فقد قدم "فقصارهن" على "طويله" في الشطر الأول وفي الشطر الثاني قدم "طوالهن" على "قصار".

وقول أبي الطيب:

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قال مجده

فواضح أن الشاعر قدم المجد على "المال" في الشطر الأول، وفي الشطر الثاني، قدم المال على المجد.

ومثل ذلك قول الحسن البصرى: "إن من خوفك حتى تلقى الأمن خير ممن آمنك حتى تلقى الخوف".

قدم الخوف على الأمن في الجملة الأولى وفي الثانية قدم الأمن على الخوف.

وقوله أيضاً: اللهم أغنني بالفقر إليك، ولا تفقرني بالاستغناء عنك"

قدم الغنى على الفقر، ثم قدم نهي الافتقار على الاستغناء عن الله عز وجل وفي ذلك: من جمال التعبير مالايخفى على كلّ ذى قلب، حيث يتلون الأسلوب بجمال المعنى الناتج عن عكس وتبديل كل جملة مع أختها فتبرز جمال الطلب وأهمية الاحتياج لله عز وجل.

يقول الأخطل:

قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال آخر:

وربما فات بعض الناس أمرهم ... مع المتأني وكان الحزم لو عجلوا

ومن هذا ما قاله أحد الشعراء:

إذ ما رأيت فتى ماجداً ... فظن بعقل أبيه السخف

فقد يلد النجيب غير النجيب ... وهل يلد الدر إلا الصدف

وشاعر آخر يصف الأبناء بالذكاء والآباء بالسخف، فيأتي شاعر آخر ويعكس هذا المعنى فيصف الآباء بأنهم أمجاد، والأبناء بأنهم مجردون عن الفضائل فيقول:

إذا ما رأيت فتى ماجدا ... فكن بابنه سيء الاعتقاد

فلست ترى من نجيب نجيبا ... وهل تلد النارُ غير الرماد

وهذا اللون البديعي يعمل على تعميق المعنى، فيجعل السامع يعمل عقله، ويتشوق لعكس المعنى وتبديله مما يضفي عليه جدة وطرافة.

الـــرجـــوع

هو أن يرجع الأديب إلى نقض الكـلام السـابق وابطالـه لنكـة بلاغيـة [1] كإظهار التحسر والتحزن.

قال زهير:

قــف بالديــار التـى لم يعفهـا القــدم   بلـــى وغيرهـــا الأرواح والديـــم[2]

يريد الشاعر أن ديار محبوبته لم يستر آثارها قدم عهـد أصحابهـا لقـرب زمـان انتقالهم عنها، وهذه أمنية، لأن قرب الأثر مما تستنشق منه رائحة المحبوب، ويقرب بـه وقت اللقاء، ولكن الشاعر رجع عن هذا مظهراً أنـه متيـم بـالحب، حتـى أخـبر بغـير الواقع للرغبة فيه، وفي ضمن ذلـك التحسـر والتحـزن علـى فواتـه، وأنـه ماعـاد إلاّ كارهاً بدليل أن الصورة التى فى ذهنه ونطق بهـا أولاً هـى المرغـوب فيهـا، ثـم نـراه أبطلها متأسفاً على عدم قرب لقاء أحبته.

هذا وإبطال الكلام السابق تارة يكون بلفظ " بلـى" وتـارة يكـون بلفـظ "لا" وتارة يكون بلفظ "استغفر الله"

مثال ذلك من يقول: " أف لهذا الدهر لابل لأهله"

ومثل للرجوع، لنقض الكلام السابق قوله:

تــنزه طرفـــى فـــى تعابـــيرك الغـــر   وجال بها فكرى من السـطر للسـطر

فمـــا خلتهـــا إلاّ حدائـــق بهجـــة   مكللـــة الأرجـــاء بـــالزهر والزهـــر

ولكنهـــا اســـتغفر الله نســـخة   مزينـــة الأرقـــام بـــالدر والتـــبر

طربـــت بهـــا لمـــاّ فهمـــت نقوشـــها   كما يطرب النشوان من لـذة الخمـر

---

(١) انظر الايضاح ٣٧/٦

(٢) الأرواح: جمع ريح والديم: جمع ديمـة وهـى السـحابة ذات المطـر الغزيـر وسميـت بذلـك لدوامها غالبا.

وقال الشاعر:

أليس قليلاً نظرةٌ إن نظرتها إليك وكلاً ليس منك قليل

فرجع عن رأيه لأن أى شيء من محبوبته فهو كثير لرضائه منها "بكل" بأى شيء يناله ولو كان نظرة يرمقها بها.

ومثل ذلك، فقد أخذ المعنى ابن هَرْمة فقال:

ليت حظى كلحظة العين منها وكثير منها القليل المُهنّا

ومثله قال آخر:

إنَّ ما قلَّ منك يكثرُ عندى وكثيرٌ ممّن تحبُّ القليلُ

وقال آخر:

وما بى انتصار إن غدا الدهرُ ظالمى علىّ، بلى إن كان من عندك النصرُ

وقال آخر، وهو مذموم المعنى لأن الاستخارة تكون لله وليس لإنسان حيث يقول:

إذا شئت أن تلقى القناعة فاستخر حُذامَ بن عمر وإن أجاب حُذامُ

ومثل ذلك قول آخر:

رضيت وهل أرضى إذا كان مُسخطى من الأمر ما فيه رضا من له الأمرُ

التــوريــة

وتسمى الايهام أيضاً، وهى فى اللغة مصدر: ورى الخبر أى ستره وأخفاه.

قال تعالى ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (١) .

أى أن ابن آدم، لما قتل أخاه، ولم يستطع ستر أخيه فى التراب، أرسل الله غراباً فأرشده إلى الطريقة التى يستر بها أخاه.

وسميت التورية بهذا الاسم لأن المتكلم بها يستر المعنى البعيد بالقريب ومعناها فى اصطلاح البلاغيين:

أن يذكر المتكلم لفظا له معنيان، أحدهما قريب ظاهر وهو غير مراد، وثانيهما: بعيد خفى وهو المراد(٢).

مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٣)

فلفظ استوى له معنيان: أحدهما قريب وهو الجلوس الحسى والاستقرار فى المكان.

---

(١) المائدة ٣١

(٢) فى قولهم لفظ له معنيان: سواء أكانا حقيقيين أو مجازيين أو أحدهما حقيقياً والآخر مجازياً فلا يعتبر بينهما لزوم وانتقال من أحدهما إلى الآخر وبهذا تمتاز التورية عن المجاز والكناية وفى قولهم معنى قريب: أى هو قريب للفهم لكثرة استعمال اللفظ فيه، والبعيد بعكسه، فكأن المعنى القريب سائر للبعيد، والبعيد به صارت التورية محسناً معنويا فلو كان المعنيان متساويين لم يكن تورية بل اجمالاً.

ويراد بالمعنى البعيد منهما " أى من المعنيين القريب والبعيد" اعتماداً على قرينة خفية لأجل أن يذهب الوهم قبل التأمل إلى المعنى القريب، فلو كانت القرينة واضحة لم يكن اللفظ تورية لعدم ستر المعنى القريب للبعيد، وخفاء القرينة لا يشترط أن يكون بالنسبة للمخاطب بل يكفى ولو باعتبار السامعين، ولو لم توجد قرينة أصلاً لم يفهم إلاّ المعنى القريب فيخرج اللفظ عن التورية.

(٣) سورة طه آية (٥)

وثانيها: بعيد وهو الاستيلاء والسيطرة والاقتدار والملك، وهذا هو المراد لأنه يليق بجلال الله وعظمته، ولم يقرن بالمعنى البعيد شيء مما يلائم المعنى القريب، والقرينة خفية وهي استحالة الاستقراء حسا لأن الله عز وجل منزه.

فالتورية تتكون من:

المعنى القريب ويسمى المورى به، والمعنى البعيد ويسمى المورى عنه، واللفظ الحامل للمعنيين مثل اللفظ (استوى) في الآية الكريمة السابقة.

بقول الزمخشري:

لا ترى بابا في البيان أدق ولا ألطف من التورية، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات من كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكلام صحابته رضي الله عنهم أجمعين (1) .

وقال السكاكي: أكثر متشابهات القرآن من التورية .(2)

وذلك أن التورية تعطيك المعنى من خلال حجاب، فيكون ذلك كشمس الشتاء التي تتوارى خلف السحاب، ويتطلع إليها الورى بشوق ولهفة وإعجاب، فإذا ما ظهرت عليهم بجلالها وجمالها أكسبتهم دفئًا، وأعطتهم حرارة ونضارة، وأنضجت ثمارهم وملأت لهم الحياة بهجة وروعة وحركة ويقول الصفدي عن التورية:

من البديع ماهو نادر الوقوع ملحق بالمستحيل الممنوع وهو نوع من التورية والاستخدام، فإنه نوع تقف الأفهام حسرى دون غايته عن مرامي المرام.

ومن أمثلة التورية قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾(3) أي مقرطون: تجعل في آذانهم الأقراط والحلق الذي في الأذن يسمى قرطا وخلدة، والسامع يتوهم أنه من الخلود وهو المعنى القريب.

(1) معترك الأقران 1/374، خزانة الأدب لابن حجة الحموي 2/40.
(2) الايضاح 6/40
(3) الإنسان 19

وقوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ﴾[1] فذكر رضوان مع الجنات يوهم السامع إرادة خازن الجنات، المراد: رضوان الله الذى هو ضد السخط.

وقوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [2] .

فالسامع يتوهم أن المراد "العرف" الذى هو الطيب، ولكنه أراد المعنى البعيد وهو أنه أعلمهم منازلهم فيها.

ويقول العلوى:

والتورية لا تخلو عن تفنن فى الكلام واتساع فيه، وتدل على تصرف بالغ، وقوة على تصريف الألفاظ، واقتدار على المعانى، فهى غير خالية عن فن من فنون البلاغة وعلم البديع، وقد جرت عادة العلماء من أهل البلاغة على ذكرها والكلام عليها[3] ونرى قمة جمال التورية فى استخدام القرآن الكريم لها فى قوله تعالى:﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [4]

فالضلال: له معنيان، وهما الحب، ضد الهدى، وأهمل أحد المعنين وهو الحب، واستعمل دلالته على ضد الهدى، والمراد ما أهمل، لاما استعمل، فكان ذلك بأحلى وأوجز لفظ

وقد تكون التورية مرشحة أو مبيّنة أو مجردة.

فالتورية المرشحة: هى التى يذكر فيها مايلائم المعنى القريب المورى به فيرشحه ويقويه، وهو غير مراد، والمراد هو المعنى البعيد المورى عنه. مثل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[5] فلفظ الأيدى يراد به معنيان: قريب وهو غير مراد هنا لأنه يستحيل على الله عز وجل أن يكون له أيد "وهى الأيدى المعروفة الجوارح" ، ومعنى بعيد وهو القوة والقدرة، وهو المعنى المراد من لفظ الأيدى فى الآية الكريمة.

---

(١) التوبة ٢١
(٢) محمد ٦
(٣) الطراز ٦٣/٣
(٤) يوسف ٩٥
(٥) الذاريات ٤٧

وقد قرنت التورية بما يلائم المعنى القريب وهو كلمة " بنيناها" فالبنيان يلائم اليد "الجارحة" لأن اليد آلة البناء، ولذلك تسمى التورية مرشحة، والترشيح في كلمة "بنيناها"

وكقوله تعالى ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (١) فالتورية في لفظ "النجم" لأن له معنيين: معنى قريب وهو الكوكب المعروف في السماء وهذا غير مراد هنا، ومعنى بعيد وهو النبات الذى لاساق له وهذا هو المراد والمقصود من لفظ "النجم"

وهى تورية مرشحة لأنها قرنت بذكر الشمس والقمر وهما يلائمان المعنى القريب للنجم لاجتماعهما معه في الذهن وفي الخيال:

ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة:

أيها المُنكِحُ الثريا سُهَيْلا عَمْرَكَ اللهَ كيف يجتمعان

هى شاميةٌ إذا ما استقلت وسُهيل إذا استقلَّ يمانِ

فذكر عمرُ الثريا وسهيلا، ليوهم السامع أنه يريد النجمين المشهورين لأن الثريا من منازل القمر الشامية، وسهيلا من النجوم اليمانية. وهو يريد صاحبته الثريا، وكان أبوها قد زوجها برجل من أهل اليمن يُسمى سهيلا، فورّى عمر بالنجمين عن الشخصين، ليبلغ من الإنكار على من جمع بينهما ما أراد، وهى من أحاسن التورية التى وقعت في الشعر، وفي قوله ـ المنكح ـ ترشيح وتقوبة للتورية.

ومثله في حسن التورية قول القاضى عياض يصف ربيعاً وقعت فيه برودة:

كأنه كانون أهدى من ملابسه لشهر تموز أنواعاً من الحلل

أو الغزالة من طول المدى خرفت فما تفرق بين الجدى والحمل (٢)

---

(١) الرحمن ٥، ٦

(٢) كانوا من أشهر السنة الشمسية ويقع في زمن البرد، وكانون الأول هو شهر ديسمبر وكانون الثانى هو شهر يناير)، وتموز هو شهر يوليو، والحلل جمع حلة وهى كل ثوب جديد. الغزالة: الشمس، الجدى برج البرد، الحمل برج الدفء.
خرفت: قلَّ عقلُها.

فالتورية المرشحة في قوله (الغزالة) فالمعنى القريب: الظبية والمعنى البعيد هو الشمس وهو المراد ، وقد قرنت التورية بما يلائم القريب وهو قوله خرفت، وذكر كذلك الجدى والحمل وفي كل منهما تورية مرشحة بالتورية السابقة .

وكقول الشاعر في امرأة اسمها شجر:

يـاحبذا شـجر وطيـب نسـيمها لـو أنهـا تسـقى بمـاء واحـد

فكلمة شجر في هذا البيت لها معنيان:

قريب: وهو ماله ساق من النبات، وقد رشحه مايلائمه وهو طيب النسيم. والسقي بماء واحد، وهذا المعنى غير مراد.

وبعيد: وهو اسم المرأة التي ورى عنها، وهو المقصود في البيت.

أما التورية المبينة: وتنقسم إلى نوعين:

الأول: فهو الذي يذكر فيه مايلائم المعنى البعيد المورى عنه بعد لفظ التورية كقول الشاعر:

أمـا والله لـولا خـوف سـخطك لهـان علـى مـا ألقـى برهطـك

ملكـت الخـافقين فتهـت عجبـا وليـس همـا سـوى قلبـى وقرطـك

فكلمة الخافقين لها معنيان:

قريب: وهما المشرق والمغرب، وهذا غير مراد

وبعيد: وهما قلبه وقرط محبوبته، وهو المعنى المورى عنه، وقد ذكره في الشطر الثاني من البيت الثاني.

والنوع الثاني: ماذكر فيه لازم المورى عنه، قبل لفظ التورية أو بعده، كقول البحتري:

ووراء تسـديةِ الوشـاح مليـة بالحسن تملح في القلوب وتعذب

الشاهد هنا فى تملح، فإنه يحتمل أن يكون من الملوحة التى هى ضد العذوبة وهذا هو المعنى القريب المورى به، ويحتمل أن يكون من الملاحة التى هى عبارة عن الحسن، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، وهو مراد الناظم، وقد تقدم من لوازمه على جهة التبيين ملية بالحسن.

أما التورية المجردة:

وهى التى لم يذكر فبها لازم من لوازم المورى به وهو المعنى القريب، ولا من لوازم المورى عنه، وهو المعنى البعيد .

وأعظم أمثلة هذا النوع قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾(١) ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى خروجه إلى بدر، وقد قيل له: من أنتم؟ فلم يُرد أن يعلم السائل، فقال: من ماء. وأراد أنا مخلوقون من ماء، فورى عنه بقبيلة من العرب يقال لها ماء.

ومن ذلك قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى الهجرة، وقد سئل عن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل: من هذا؟ فقال: هاد وباغ. أراد أبوبكر هاديا يهدينى إلى الإسلام، فورى عنه بهادى الطريق الذى هو الدليل فى السفر والمعنى القريب لباغ، أنه يبغى الابل والرسول يهديه الطريق.

والمعنى البعيد: إنه يبغى الهداية والرسول صلى ا لله عليه وسلم يهديه عن الضلال وهو المراد، وليس فى التورية هنا ما يلائم المعنى القريب أو المعنى البعيد.

هذا والتورية إذا وقعت فى مكانها من الكلام أعطت المعانى الوارفة الظلال والتى تبهر السامع وتسحره، لأن الناس تعارفوا على أن الشىء إذا نيل بعد تعب كان له وقع فى النفس، ورونق فى القلوب، وهكذا التورية التى تطلع علينا بوجه تخاله المعنى المراد، وتظنه الشىء الذى يصبو إليه الفؤاد، فيكاد يقنع به غير ذى الهمة، ولكن الطموح يظل يفتش وينقب حتى يعثر على اللؤلؤ المكنون، والذهب الذى من أجله تعبت النفوس للحصول عليه.

---

(١) انظر ص ١ من التورية، ص ٧٣ من هذا الكتاب.

الاستخـــــدام

وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدُ المعنيين، ثم يراد بضميره معناه الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أحد المعنيين، ثم يراد بالضمير الآخر معناه الآخر.[1] وهذا هو مذهب الخطيب ومن تبعه، والاستخدام يطلق على عدة صور، الأولى منها:

كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جعلْناهُ نُطْفَةً في قَرَارٍ مَكِينٍ﴾[2].

فقد أراد بالإنسان آدم عليه السلام وأراد بضميره فى " جعلناه" ذريته ونسله وأولاده.

هذا على رأى من أراد بالإنسان آدم عليه السلام، أما من أراد به ذريته ونسله وأولاده فلا يكون فيه استخدام.

وكقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[3] فالشهر له معنيان: الأول: الهلال، الثانى أيام رمضان. وأريد بالشهر المعنى الأول وهو الهلال بدليل قوله: شهد، وأريد بضميره فى " يصمه" المعنى الثانى وهو أيام رمضان.

وكقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾[4].

فالضمير فى قوله: قد سألها يعود على "أشياء" والذى سأل عنه الأولون أشياء أخرى تختلف عن الأشياء التى سأل عنها الصحابة المؤمنون، ونهوا عن سؤالها[5].

---

(١) انظر الايضاح ٤١/٦

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٢،١٣

(٣) البقرة الآية ١٨٥

(٤) المائدة ١٠١، ١٠٢

(٥) انظر: الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٨٤/١

ومثل ماسبق قول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

يصف الشاعر قومه بالرياسة وقوة النفوذ والسلطان، فأينما نزل المطر ولو كان بأرض غيرهم فهم يرعون الكلأ الناتج عن المطر من غير رضاهم.

فالمراد من السماء المطر مجازاً مرسلاً والقرينة: نزل، ثم أعاد الضمير في ـ رعيناه ـ على لفظ السماء مرادًا منه معنى آخر هو النبات مجازًا مرسلا علاقته السببية والقرينة رعيناه، فقد أريد بلفظ السماء معنى ثم أريد بضميره معنى آخر.

والثانية منها: أن يكون بدل الضمير اسم الاشارة كقول الشاعر:

رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره متيم لج في الأشواق خاطره

فالعقيق: اسم مكان بظاهر المدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ ثم أعاد اسم الاشارة "ذاك" عليه بمعنى الدم الشبيه بالعقيق على سبيل الاستعارة.

الصورة الثالثة:

كقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ[1]﴾ فلفظة ـ كتاب ـ تحتمل معنى الأجل المحتوم، كما تحتمل معنى الكتاب المكتوب وقد توسطت بين كلمتي أجل ويمحو، فلفظة أجل تخدم المعنى الأول، ولفظة يمحو تخدم المعنى الثاني.

وكقول البحترى:

فسقى الغضا والساكنيه وإن هم شبوه بين جوانح وقلوب

يدعو الشاعر الله أن يسقى الغضا وساكنيه وإن عذبوه وأوقدوا النار في قلبه لحبتهم، فقد أطلق الغضا بمعنى الشجر، ثم أعاد عليه الضمير في "الساكنيه" بمعنى المكان وهو واد بنجد، ثم أعاد عليه الضمير في " شبوه" بمعنى النار.

---

(١) الرعد ٣٨ ، ٣٩

ويتضح من ذلك أن البحترى أراد بلفظ الغضا معنى، وبضميره الأول معنى، وبضميره الثاني معنى آخر، وهذا ما يشترط في الاستخدام من هذا النوع.

وبهذا يكون المراد في الاستخدام هو المعنيان معاً أما التورية فالمراد أحد المعنيين وهو المعنى البعيد فقط أما المعنى القريب فغير مراد، كما أن المعنيين في التورية مستفادان من اللفظ نفسه مباشرة بدون رجوع ضمائر، ولكن اللفظ في الاستخدام يراد به معنى وضميره يراد به معنى آخر، أو اللفظ يراد به معنى، وضميره الأول يراد به معنى، وضميره الثاني يراد به معنى آخر، فالمعنيان مستفادان من اللفظ بمساعدة الضمير أو الضميرين .

ومن أجل ذلك إذا نظرنا فى أثر الاستخدام فى الأسلوب وجدناه أعلى رتبة عند علماء البديع من التورية وأحلى موقعاً فى الأذواق السليمة، وقل من ظفر به لصعوبته وقلة انقياده، وبرغم عن ذلك فهو يثرى اللغة العربية، لأن اللفظ يراد به معنى ويعاد عليه ضميره بمعنى آخر، ولاشك أن هذا إثراء لمعانى اللغة العربية. وابتكار لمعان جديدة لم تكن متوقعة أو متظرة، نظراً لأن اللفظ يراد به معنى. وبضميره الأول معنى، وبضميره الثاني معنى آخر، وبالإضافة إلى ذلك فالاستخدام فيه إيجاز والبلاغة الإيجاز.

اللّـــف والنشـــر

وهو ذكر متعدد على جهة الاجمال أو التفصيل ثم ذكر أشياء على عدد ذلك كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم، ويفوض إلى عقل السامع، رد كل واحد إلى مايليق به.

فاللف: ذكر أشياء إماّ مجملة وإما مفصلة.

والنشر: ذكر عدد هذه الأشياء من غير تعيين من المتكلم ثقة بأن السامع سيرد كل شيء إلى ما يناسبه.

واللف والنشر قسمان: إجمالى وتفصيلى [1]

فالإجمالى: كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾[2].

المعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلاّ من كان هوداً وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلاّ من كان نصارى.

فاللف الإجمالى فى "واو الجماعة" فى " قالوا" حيث ذكر المتعدد على جهة الإجمال لعدم الالتباس، وهذا المجمل يشمل أهل الكتاب: اليهود والنصارى.

والنشر فى قوله تعالى: ﴿إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ ولم يعيّن من قال ذلك ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله، وأمنا من الالتباس لما علم من التعادى بين الفريقين، وتضليل كل واحد منهما لصاحبه وتكفيره.

والتفصيلى قسمان:

القسم الأول: كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[3]. فاللف المفصل فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يجدْك يتيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى وَوَجَدك عَائِلاَ فَأَغْنَى﴾

---

(١) انظر الإيضاح ٦/٤٢:٤٤

(٢) سورة البقرة آية ١١١

(٣) الضحى ٦:١١

والنشر في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

وذلك لأن قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ. راجع إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ وقوله: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾ راجع إلى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾ فإن المراد السائل عن العلم كما فسره مجاهد وغيره،[1] وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾. راجع إلى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ وكقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[2].

فاللف المفصل في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ فغل اليد وبسطها هو اللف المفصل، وقوله تعالى: ﴿مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ نشر على ترتيب اللف، فاللوم راجع إلى البخل، ومحسورا راجع إلى الإسراف.

وكقول الشاعر:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... في الحادثات إذا دجون نجوم

فيها معالم للهدى، ومصابح ... تجلو الدجى، والأخريات رجوم

دجون: أظلمن،والضمير في دجون يعود إلى الحادثات، المعالم: جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق. تجلو: تكشف وتضيء.

الدجى: جمع دجية: ظلمة، رجوم: شهب

فاللف المفصل في قوله آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم.

والنشر في البيت الثاني كله، فالمعالم ترجع إلى الآراء، والمصابيح تعود إلى الوجوه، والرجوم ترجع إلى السيوف، فالأول من النشر للأول من اللف وهكذا، ولذلك يسمى اللف والنشر المرتب.

---

(١) انظر: المعترك: ١ /٤١٠

(٢) الإسرا ٢٩

وكقول شاعر آخر:

فعـــل المــــدام ولونهـــا ومذاقهـــا فـــي مقلتيــه ووجنتيــه وريقــه [1]

فاللف في قوله: فعل المدام ولونها ومذاقها،

والنشر في قوله: مقلتيه ووجنتيه وريقه.

فقوله في مقلتيه يرجع إلى: فعل المدام، ووجنتيه يرجع إلى: لونها، وريقه يعود إلى: مذاقها.

والقسم الثاني:

أن يكون النشر على غير ترتيب اللف، ولهذا صورتان:

الصورة الأولى: أن يكون النشر على عكس ترتيب اللف. كقوله تعالى:

﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[2].

فاللف في قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾

والنشر في قوله: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾

فقوله تعالى: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ قول الذين آمنوا، ﴿أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ هو قول الرسول ﷺ، فالأول من النشر للأخير من اللّف وهكذا.

ومثل ذلك قوله تعالى :

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3].

---

(١) المُدام: الخمر. وفعلها هو ما تحدثه من سكر للعقل فتحجبه

(٢) البقرة ٢١٤

(٣) آل عمران ١٠٦ ، ١٠٧.

فاللف في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾والنشر في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ...﴾

فقد جعل الأول من النشر للأخير من اللف، فقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُم، يرجع إلى قوله تعالى: ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿وأمّا الّذين ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ يرجع إلى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾.

فالنشر على عكس ترتيب اللّف.

قال الشاعر ابن حيوس:

كيف أسلو وأنت حقف وغصن وغزال: لحظاً وقدّاً وردفاً[1]

فاللحظ للغزال، والقد للغصن، والردف للحقف: فالنشر على عكس ترتيب اللف، والمعنى: كيف أترك حبك وداعي الهوى من حسن العينين، واعتدال القامة، وعظم الردف، موجود فيك.

والصورة الثانية :

أن يكون النشر مختلط الترتيب، كمن يقول: هو شمس وأسد وبحر، جوداً وبهاء وشجاعة.

فالنشر مختلط؛ لأن الجود وهو الأول في النشر، عائد إلى البحر وهو الآخر "الثالث" من اللف، البهاء وهو "الثاني" من النشر، عائد إلى الشمس، وهو الأول من اللف والشجاعة وهو الآخر من النشر، عائد إلى الأسد وهو الوسط من اللف.

ويسمى هذا النوع من اللف والنشر المشوّش.

ولا يخفى عن السامع فائدة اللف والنشر في الأساليب فهي تعمل على إعمال الفكر وجذب الانتباه، فيشتاق السامع إلى ردّ كل واحد إلى ما يليق به.

---

(١) الحقف: مجتمع الرمل إذا عظم واستدار، الردف: العجيزة وهو يرجع إلى تشبيهها بالحقف، والقد يرجع إلى تشبيهها بالغصن، واللحظ يرجع إلى تشبيهها بالغزال.

الجمـــع

وهو أن يجمع بين شيئين أو أشياء متعددة في حكم واحد[1].

مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] .

الخمر: جميع الأشربة التي تسكر، الميسر: القمار، الأنصاب: الأصنام المصوبة للعبادة، والأزلام: الأقداح التي كانت عند سدنة البيت وخدام الأصنام وقيل الأنصاب حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها، الأزلام: قداح كانوا يستقسمون بها. رجس من عمل الشيطان: أي قذر ونجس تعافه العقول، وخبيث مستقذر من تزيين الشيطان، اجتنبوه: أي اتركوه وكونوا في جانب آخر بعيدين عن هذه القاذورات لتفوزو بالثواب العظيم. [3]

فقد جمعت هذه الرذائل التي تفسد العقل، وتصد عن ذكر الله، وحكم عليها بأنها رجس من عمل الشيطان.

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [4] فقد جمعت الآية بين الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في حكم واحد وهو خلودهم في نار جهنم ـ وقانا الله شرها ـ

وكقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [5]

فقد جمع الله عز وجل بين المال والبنين في كونهما زينة الحياة الدنيا.

وكقوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ[6] وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[6]

فقد جمع الله سبحانه وتعالى بين الشمس والقمر في حكم واحد، وهما أنهما آيتان من آيات الله يجريان بنظام معلوم وتوقيت دقيق ويتخذهما الناس علامة على الأيام والشهور والسنين والحساب.

---

(١) الايضاح ٦ / ٤٥.

(٢) المائدة ٩٠.

(٣) انظر: صفوة التفاسير ٣/٣٦٣.

(٤) سورة البينة ٦.

(٥) الكهف ٤٦.

(٦) الرحمن ٥، ٦.

والمراد بالحسبان: الحساب المعلوم المقدر الذى لا يسبب اختلالاً ولا اضطرابًا، والمراد بالسجود: الانقياد، النجم: النبات الذى لا ساق له.

كما جمع بين النجم والشجر فى حكم واحد وهو السجود.

وكقول الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة

فقد جمع الشاعر بين الشباب والفراغ والاستغناء، فى حكم واحد، وهو أن هذه الأمور تفسد الإنسان.

وقول آخر :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

جمع الشاعر بين شمس الضحى وأبى اسحاق والقمر فى حكم واحد وهو الإشراق.

ومثله قول الآخر:

آراؤه وعطاياه ونعمته وعفوه رحمةٌ للناس كلّهمُ

ومثل ذلك:

وأحوالى وصدغك والليالى ظلام فى ظلام فى ظلام

والصدغ: ما بين الأذن والعين، ويطلق على الشعر المتدلى من الرأس على هذا الموضع وهو المراد هنا.

فقد جمع الشاعر بين أحواله وصدغ حبيبته والليالى فى حكم واحد وهو السواد المفهوم من الظلام.

ومن ذلك قول ابن حجة:

آدابه وعطاياه ورأفتُهُ سجيةٌ ضمن جمع فيه ملتئم

فقد جمع الآداب والعطايا والرأفة فى حكم واحد هو السجية التى جمعت هـذه الصفات والتأمت فيه.

وكقول ابن جابر الأندلسى:

قد أحرز السبق والإحسـان فـى نسـق   والعِلمَ والحِلم قبل الـدَّرك للحُلـم

وتتضح بلاغة الجمع فى ترتيب الأفكار وتنظيمهـا، وإصابة الغرض من جمع أشياء تحـت حكـم واحـد، مما يـدل علـى دقـة ملاحظـة الأديـب، فيتميز الأسـلوب بالإيجاز، والبلاغة الإيجاز، وفيه دليل وبرهان على اتفاق الأشياء المتعـددة فـى حكـم يجمعها.

التفـريـق

وهو إيقاع تباين بين أمرين من نوع واحد فى المدح[1] أو الغزل أو الرثـاء أو الهجاء أو غيره.

كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَـذَا مِلْـحٌ أُجَاجٌ﴾ [2].

وكقولـه تعـالى: ﴿وَهُـوَ الَّـذِي مَـرَجَ الْبَحْرَيْـنِ هَـذَا عَـذْبٌ فُـرَاتٌ وَهَـذَا مِلْـحٌ أُجَاجٌ﴾ فقد فرق بين البحرين فجعل أحدهما عذبا والآخر ملحاً.

وقال الشاعر الوطواط : فى المدح :

مـا نـوال الغمـام وقـت ربيـع ... كنـوال الأمـير يـوم سـخاء

فنـوال الأمـير بـدرة عـين ... ونـوال الغمـام قطـرة مـاء [3]

فالشاعر فرق بين النوالين: نوال الغمام، ونوال الأمير، فالأمـير عطـاؤه وفـير، والغمام عطاؤه حقير.

وقـال :

مـن قـاس جـدواك بالغمـام فمـا ... أنصـف فـى الحكـم بـين شـكلين

أنـت إذا جـدت ضـاحك أبـداً ... وهـو إذا جـاد دامـع العـين [4]

ففرق الشاعر بين عطاء الممدوح وعطاء الغمام، فالممدوح فرح مبتسمٌ متهلـل الوجه وقت العطاء والجود، والغمام حزين باك أسود الوجه عند المطر، وهذا يوضـح الفرق بين العطاءين، فالعطاء الأول يكون عن طيـب نفـس ورضـى، والعطـاء الثانى يكون عن غضب وضيق صدر.

---

(١) انظر: الايضاح ٤٦/٦.

(٢) فاطر ١٢.

(٣) البدرة: بفتح الباء: كيس فيه ألف دينار أو عشرة آلاف درهم. العـين: المراد بها هنا المال. والبيتان فى المفتاح ص ١٨٠.

(٤) الجدوى: العطية. شكلين بمعنى مثل وهى مثنى شكل.

قال الشاعر فى الغزل:

حسبت جماله بدراً منيراً وأين البدر من ذاك الجمال

ففرق الشاعر بين جمال المحبوب وجمال البدر، مع أنهما من نوع واحد هو الجمال عامة.

وما أحسن قول الموصلى مع تسمية النوع:

قالوا هو البحر والتفريق بينهما إذ ذاك غمٌّ وهذا فارق الغُمَم

وكقول بديع الزمان الهذاني:

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والبدر لو لم يغب والشمس لو نطقت والأسد لو لم تصد والبحر لو عذبا[1]

فيشبه الممدوح بالمطر والبدر بالشمس وبالأسد والبحر، ولكنه زاد المعنى وبالغ فيه لاقترانه بالشرط الذى جعل البيت فيه مبالغة فى الغلو نظراً لأنه شبه الممدوح بالمطر لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا، وبالبدر لو لم يغب، وبالشمس لو نطقت، وبالأسد لو لم تصد، وبالبحر لو عذبا، فالفرق واضح بين هذا وذاك.

(١) الغيث: المطر، صوبه: عطاؤه،
المحيا: الوجه.
صوب الغيث: من إضافة الصفة للموصوف.
انظر: الايضاح ٤ / ١٢٣.

التقسيـــم

هو استيفاء المتكلم أقسام الشيء بحيث يذكر جميع أنواعه ولا يغادر شيئا منها[1].

كقوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾[2].

قسم الله سبحانه وتعالى حال الزوجين إلى أربعة أقسام اشتمل عليها الوجود فإما أن يفرد العبد بهبة الإناث أو بهبة الذكور، أو يجعلهما معاً، أو لا يهب شيئاً.

وعبَّر عن كل عطية بلفظ الهبة، وتدرج فيها من الأدنى للأعلى، فبدأ بهبة الإناث ثم هبة الذكور ثم هبتهما معاً، وعدل عن لفظ الهبة إلى لفظ آخر وهو "يجعل" لما فيه من معنى الحرمان، فكان هذا العدول للتغاير بين المعاني:

وبدأ بالإناث: إما جبرا لهن لاستثقال الأبوين لمكانهن أو لضعفهن، وعند الضعف والعجز تكون العناية أوجب وأتم، أو أنه قدم ذكر ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يئدوهن، فهذا النوع الحقير عندهم مقدم عند الله في الذكر.

وفي تعريف الذكور بعد تنكير الإناث جبر لنقص الأنوثة المقدمة وجبر نقص المتأخر بالتعريف، فالتعريف تنويه.

وكقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[3]

فقد ذكر القرآن الكريم جميع هيئات الذاكرين، واستوفى أقسامهم، وبدأ بالقائمين لأنهم أعلى منزلة، ويليهم القاعدون، ثم الذين يذكرون الله على جنوبهم.

وكقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [4]

فليس في رؤية البرق إلاّ الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار ولا ثالث لهما.

---

(١) انظر الايضاح ٤٧/٦ ، الصناعتين ٢٣٠، البرهان ٣ / ٤٧١.
(٢) الشورى ٤٩، ٥٠.
(٣) آل عمران ١٩١.
(٤) الرعد ١٢.

وكقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ، فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (١)

فأصحاب الميمنة هم المقتصدون وأصحاب المشأمة هم الظالمون لأنفسهم. والسابقون هم السابقون بالخيرات.

وكقوله تعالى: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ (٢)

فقد استوفى الله عز وجل أقسام الزمان ولا رابع لها، أى لله جل وعلا جميع الأمر، أمر الدنيا والآخرة وهو المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة، فكيف نقدم على فعل شيء إلاّ بأمره وإذنه؟.

وكقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاء فَمِنْهُم مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنه وَمِنْهُمْ منْ يَمْشِي علَى رِجْلَيْنِ ومِنْهُمْ منْ يمْشِي على أرْبعٍ﴾ (٣)

فقد استوفى الله سبحانه أقسام الخلق في المشى، وقدّم المشى على البطن لأنه أدل على القدرة وأعجب حيث يتم المشى من غير آلة، فالقدرة فيه أظهر وأقوى ثم المشى على الرجلين، لأن دلالته على القدرة أقل من الأول، وأخّر المشى على أربع لأن دلالته على القدرة أقل من الاثنين.

ومما لا شك فيه أن التقسيم ينبيء عن الدقة فى الكلام والإحاطة بالشيء من جميع جوانبه حيث يفهم أسراره فيظهرها، ولذلك فهو يقوى المعانى ولا يعطى للسامع مجالا آخر للفهم والبيان، لأن المتكلم الذى يحيط بجميع أقسام الشيء لابد وأن يكون عالما بتفاصيله محيطاً بجزئياته، فيقع فى نفس السامع موقعاً حسناً ويثبت فى العقول والقلوب وما البلاغة إلاّ إيصال المعنى إلى القلب بأحسن صورة من اللفظ.

يروى عن عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ أنه أعلم الناس بالشعر، فعندما سمع بيت زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

(١) الواقعة من ٧ – ١٠.
(٢) مريم ٦٤.
(٣) النور ٤٥.

ظل يردده كالمتعجب من علم زهير بالحقوق وتفصيلها وإقامته أقسامها فقال: لو أدركت زهيراً لوليته القضاء لمعرفته.

وتعجب أيضاً ممن قال:

والمرء ساع لشيء ليس يدركه ... والعيش شح وإشفاق وتأميل

فعندما سمع عمر ــ رحمه الله ــ هذا البيت أخذ يقول: "والعيش شح وإشفاق وتأميل".

معجباً بحسن هذا التقسيم.

ومن جيد التقسيم قول زهير أيضا:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عَم

ومن حسن التقسيم أيضاً قول أبي الطيب:

بدت قمراً ومالت خوط بان ... وفاحت عنبراً ورنت غزالاً (١)

فالمراد أنها ظهرت بوجه كالقمر، ومالت بقوام كخوط البان، وفاحت رائحتها الطيبة كالعنبر، ونظرت بعين جميلة كعين الغزال.

فذكر الشاعر لكل حالة من حالات جمالها وأسبابه ما يناسب كل حال أي فأضاف إلى كل حال حالها من الجمال المناسب للمعنى.

ومثله قول الآخر:

سفرن بدوراً وانتقبن أهلةً ... ومسن غصوناً والتفتن جآذرا (٢)

أي حالهن كالبدور حينما يكشفن وجوههن، وكالأهلة حينما يلبسن النقاب. أي أشبهن الأهلة عند لبسه لظهور حواجبهن مقوسات، تبخترن بدلال كالغصون، وأعينهن حينما يلتفتن كعيون الجآذر.

---

(١) الخوط: الغصن الناعم. والبان: شجر معتدل القوام لين، ورقه كورق الصفصاف، رنت: نظرت. وهذا البيت من التشبيه المفروق.

(٢) مسن: تبخترن، الجآذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية.

فذكر الشاعر لكل حالة ما يناسبها كما نرى.

وقال المتلمس:

ولا يقيم على ضيم يُراد به إلاّ الأذلان عيرُ الحيِّ والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته وذا يُشَجُّ فلا يرثى له أحد [(١)]

فالحمار مربوط بقطعة حبل بالية يسهل الخلاص معها عن الربط.. فالشاعر يذكر العير والوتد، وأضاف إلى كل ما يناسبه ــ فهذا على الخسف مربوط برمته يعود على العير، وذا "يعود إلى الوتد" يشج فلا يرثى له أحد.

وممن يعاب تقسيمهم كجرير في قوله:

صارت حنيفة أثلاثاً فثلثهم من العبيد وثلث من موالينا

فأنشد البيت ورجل من حنيفة حاضر، فقيل له من أى قسم أنت؟ فقال من الثلث الملغيّ ذكره [(٢)].

فيعتبر هذا البيت من القسمة المعيبة الرديئة لأن جريراً قد ترك القسم الثالث.

وكقول جميل بثينة:

ولو كان فى قلبى كقدر قلامة حب وصلتك أو أتتك رسائلى[(٣)]

فهو من التقسيم الردىء لأنه أدخل قسماً فى قسم، إتيان الرسائل داخل فى الوصل.

ومن التقسيم الردىء أيضاً قولنا: الناس ثلاثة: عاقل، أحمق، فاجر. فيجوز أن يكون الفاجر أحمق، ويجوز أن يكون عاقلا، والعاقل يجوز أن يكون فاجراً، وكذلك الأحمق، فأحد الأقسام يجوز أن يدخل فى الآخر وهذا يعد عيباً وفساداً فى التقسيم.

---

(١) عير الحى: هو الحمار الوحشي والأهلي، والمراد هنا هو الحمار الأهلى لأنه يُربط ويحمل الدل ويعيّن ذلك إضافته للحيّ، الرُمة: قطعة حبل بالية.

(٢) الصناعتين ٣٣٣.

(٣) الصناعتين ٣٣٣، ٣٣٤.

الجمع مع التفريق

وهو أن يجمع بين شيئين أو أكثر فى معنى واحد ويفرق بين جهتى الإدخال[1].

كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[2] فقد جمع الله سبحانه وتعالى بين الليل والنهار فى حكم واحد، هذا الحكم هو أنهما آيتان من آياته ـ سبحانه وتعالى ـ، ثم فرق بينهما بأن جعل الليل مظلما والنهار مضيئاً.

وكقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[3].

جمع الله سبحانه وتعالى النفسين فى حكم التوفى ثم فرّق بين جهتى التوفى بالحكم بالإمساك والإرسال، أى أن الله يتوفى بالإمساك والإرسال، فيتوفى الأنفس التى تقبض والتى لم تُقبض، ويمسك الأولى، ويرسل الأخرى. [4]

ومنه قول الشاعر:

فوجهك كالنار فى ضوئها   وقلبى كالنار فى حرّها

فقد شبه وجه الحبيبة وقلبه هو بالنار، ثم فرق بين وجهى المشابهة، بأن جعل النار فى الوجه الضوء واللمعان، وفى القلب الحرارة والاحتراق.

ومنه قول البحترى:

ولّما التقينا والنقا موعدٌ لنا   تعجّبَ رائى الدُّرِّ منا ولا قِطُهْ

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها   ومن لؤلؤ عند الحديث تُساقِطُهْ

---

(١) الايضاح ٦ / ٤٨.
(٢) الاسراء ١٢.
(٣) الزمر ٤٢.
(٤) انظر: معترك الأقران للسيوطى ١/٤٠٣.

شبه أسنان محبوبته بالدر في الصفاء واللمعان وكلامُها كاللؤلؤ في جماله وحسن وقعه، وجمع بين ذلك في قوله رائي الدر ولا قطه، ثم فرَّق بين وجهي المشابهة بأن جعل اللؤلؤ يظهر مجلوا عند ابتسامتها الجميلة، ولؤلؤ حديثها العذب الذي يخرج من فمها متساقطاً بخفة وجمال، له تأثير في النفس لرقة كلامها ونفاسته.

وقال آخر:

أســـــود كالمســـــك صدغـــــا   قـــد طـــاب كالمســـك خُلْقـــاً

فقد جمع بين الصدغ والخلق في التشبيه بالمسك، ثم فرّق بينهما، فالصدغ يشبه المسك في سواده، والخلق يشبه المسك في طيبه، لانتشار ذكر حُسْنِ المعاملة كانتشار رائحة المسك الطيبة.

الجمع مع التقسيم

وهو الجمع بين أشياء متعددة تحت حكم واحد ثم يقسم أو العكس(١) أى يقسم ثم يجمع، فمن الأول قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ (٢)

أى جعل الله عز وجل القرآن الكريم الموحى به إلى الرسول ـ ﷺ ـ ميراثا منه لأمته التى اصطفاها الله سبحانه وتعالى على سائر الأمم ينتفعون بما فيه من الأحكام والمواعظ والأمثال.

فجمع بينهم فى الاصطفاء، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع:

ظالم لنفسه يرتكب الذنوب التى تؤدى إلى نقصان الثواب، ومقتصد معتدل فى أمر الدين لا يميل إلى إفراط أو تفريط، وسابق لغيره فى أمور الدين فترجح حسناته على سيئاته، وكلهم من أهل الجنة.

ومنه قول المتنبى يمدح سيف الدولة:

حتى أقام على أرباض خرشنة ... تشقى به الروم والصلبان والبيع

للسبى مانكحوا، والقتل ما ولدوا ... والنهب ما جمعوا والنار مازرعوا (٣)

فقد جمع المتنبى فى البيت الأول شقاء الروم بسيف الدولة وهذا الشقاء عام مجمل، ثم أخذ فى البيت الثانى يقسم هذا الشقاء إلى سبى للنساء وقتل للأولاد، ونهب للأموال، وإحراق للزروع.

ومن الثانى: أن يقسم أولاً ثم يجمع ثانياً كقول حسان:

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

---

(١) انظر: الايضاح ٦ / ٤٩.

(٢) فاطر ٣٢.

(٣) أرباض: جمع ربض بفتح الباء ـ وهو ما حول المدينة. خرشنة بلدة من بلاد الروم، البيع: جمع بيعه وهى متعبد النصارى.

سجية تلك منهم غيرُ محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع

فقد قسم في البيت الأول صفة الممدوحين إلى الضر بالأعداء، والنفع للأولياء، ثم جمع في البيت الثاني بأن كلاً منهما سجية لهم لابدعة محدثة فيهم.

ومن لطيف هذا الضرب قول إبراهيم بن العباس الصولي: [1]

لو أن ما أنتم فيه يدوم لكم ظننت ما أنا فيه دائم أبدا

لكن رأيت الليالي غير تاركة ما سر من حادث أو ساء مطردا

فقد سكنت إلى أني وأنكم سنستجد خلاف الحالتين غدا

فقوله "خلاف الحالتين" جمع لما قسم، وهو جمع لطيف، وقد زاد لطفا بحسن ما بناه عليه من قوله:

(فقد سكنت إلى أني وأنكم)

(١) الإيضاح: ٦ / ٥٠.

الجمع مع التفريق والتقسيم

وهو أن يجمع بين متعدد في حكم واحد، ثم يفرق هذا المتعدد، ثم يضاف لكل واحد ما يناسبه[1]، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلا بإذْنه فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالدينَ فيها ما دامَت السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إلا مَا شَاءَ رَبُّكَ إنَّ رَبَّك فَعَّالٌ لِما يُريدُ ، وأمَّا الَّذين سُعِدُوا ففي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إلا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[2].

أما الجمع ففي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلا بِإِذْنِهِ﴾ فإن قوله ﴿نَفْسٌ﴾ متعدد معنى لأن النكرة في سياق النفي تعم، ثم فرق الله عز وجل فجعل منهم الشقي والآخر سعيداً بقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ ثم قسم بإضافة عذاب النار إلى الأشقياء ونعيم الجنة إلى السعداء.

ومن ذلك قول الشاعر:

وكالنار ضوءًا وكالنار حرًّا ... مُحَيَّا حبيبي وحرقةُ بالي
فذلك من ضوئه في اختيال ... وهذا لحرقته في اختلال

فجمع محيا حبيبته وحرقة باله في كونهما كالنار، ثم فرَّق بين وجهي المشابهة ثم قسّمه إلى اختيال واختلال.

يقول العلوي:

هذه الأمور الثلاثة: التفريق والجمع والتقسيم من عوارض البلاغة، وإذا وقعت في الكلام بلغ مبلغاً عظيماً في حسن التأليف وإعطاء الفصاحة حقها[3].

---

(١) الإيضاح: ٦ / ٥٠ بالهامش.
(٢) هود الآيات ١٠٥ ـ ١٠٨.
(٣) الطراز ١٤١/٣.

التجـــريـــد

التجريد في أصل اللغة هو إزالة الشيء عن غيره في الاتصال، فيقال جرّدت السيف عن غمده وجرّدت الطفل عن ثيابه، إذا أزلتهما عنهما، ومنه قول الرسول ـ ﷺ ـ "لامدَّ ولا تجريد" يعني في حدّ القذف وحدّ الشرب. وأراد أن المحدود لا يُمدُّ على الأرض ولا يُجرد عن ثيابه.

وفي الاصطلاح:

أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمال تلك الصفة(١) في ذلك الأمر المنتزع منه.

والتجريد أقسام:

أوله: أن يكون بدخول "في" على المنتزع منه كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ (٢)

فالتجريد في قوله تعالى ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ حيث انتزع الله سبحانه وتعالى من جهنم داراً أخرى يعذب فيها الكفار، وذلك مبالغة في شدة العذاب الذي سيلاقونه بكفرهم، فكأن الكفار والمشركين والعصاة يعذبون في دارين: الدار الأولى جهنم الحقيقية، والدار الثانية جهنم التي انتزعت من جهنم الأولى، وهذا تعظيم ومبالغة في العذاب الذي يلقاه أعداء الله.

ثانيه: أن يكون بدخول "باء" المصاحبة على المنتزع، كقول الشاعر:

وشوهاء تعدو بي إلى صارخ الوغى   بمستلئم مثل الفنيق المرحل(٣)

فالشاعر يدخل الحرب وهو مستعد لها ومعه من نفسه شخص يلبس ملابسها ويعلم أسرارها.

---

(١) الإيضاح ٦/٥٥.

(٢) فصلت ٢٨.

(٣) شوهاء: قبيحة المنظر لسعة أشداقها أولما أصابها من شدائد الحرب صارخ الوغى: أي مستغيث في الحرب. مستلئم: لابس لأمة وهي الدرع. الفنيق: الفحل المكرم. المرحل: من رحل البعير إذا فك قيده وأطلقه صاحبه.

فقد جرد من نفسه شخصاً آخر يلازمه إذا دخل الحرب، وهذا دلالة على شجاعته وقوته وكمال استعداده، ومبالغة في أنه لا يهاب الحروب ولا يخشى بأسها.

ثالثه: أن يكون بدخول "باء" التجريد على المنزع منه كقولهم:

لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر، فالضمير فى "به" يعود إلى "فلان" المنتزع منه والصفة المبالغ فيها الكرم الذى تدل عليه كلمة "البحر" وهو الأمر المنتزع أوالمجرد. فقد انتزع من فلان شخصاً آخر مثله فى الكرم وكثرة العطايا المعبر عنها بالبحر.

رابعه: أن يكون بدخول "من" الابتدائية على المنتزع منه كقولنا:

لى من فلان صديق حميم. فقد استخلصنا شخصاً آخر وجعلناه صديقا حميما مبالغة فى الصداقة لأنه بلغ مبلغاً صح معه أن نستخلص منه صديقاً حميماً.

خامسه: أن يكون التجريد بدون توسط حرف، فيؤتى بالأمر المنتزع على وجه يفهم من الكلام بقرائن الأحوال. كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (1).

ففى الآية تجريد على قراءة ـ رفع ـ وردة بمعنى حصلت منها سماء وردة.

وكقول قتادة الحنفى:

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة ... تحوى الغنائم أو يموت كريم (2)

فوصف نفسه بالكرم حتى انتزع من نفسه كريماً آخر فقال: أو يموت كريم" فقد انتزع من نفسه رجلاً كريماً قصدًا للمبالغة في ذلك، فالتقدير أو يموت منى كريم.

سادسه: أن يكون التجريد بطريق الكناية، كقوله الأعشى:

ياخير من ركب المطايا ولا ... يشرب كأساً بكف من بخلا

(1) الرحمن ٣٧.

(2) فالشاعر: يريد أن يقول: سأقوم بغزوة أجمع فيها الغنائم أو أموت بشرفى وكرامتى. وفهم التجريد من البيت بقرينة المدح والفخر من غير الاستعانة بحرف..

فقوله: "ولا يشرب كأساً بكف من بخلا" كناية عن كرم الممدوح، وشربه كريم، والمعروف أن الشخص يشرب بكفه هو، ولكن الشاعر انتزع من ح شخصاً كريماً يشرب بكفه مبالغة في كرمه.

: أن يكون التجريد بمخاطبة الإنسان نفسه، وهذا كثير في الشعر العربي كقول الأعشى:

هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق فراقاً أيها الرجل!

رد من نفسه شخصاً آخر مثله في الصفة وخاطبه.

ن ذلك قول امرئ القيس:

ث من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[1]

لشاعر من نفسه شخصاً آخر وخاطبه، ولذلك جاءت التثنية في الفعل "قفا"

وكقول المتنبي:

ل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

فقد جرد من نفسه إنساناً أخر وخاطبه طالباً منه أن يحسن إلى الناس بكلامه الأثر، إذا كان فقيراً.

اختلف البيانيون في التجريد في قولنا : "لقيت من زيد أسدا" ، "وصحبت ن بحراً"، "لي بزيد صديق وفي".

فمن قائل إنه تشبيه ومن قائل إنه استعارة.

فمثلاً "لي بزيد صديق وفي" فلا يمكن أن يكون تشبيها لأن زيداً هو الصديق وليس كالصديق الوفي حتى يكون تشبيهاً، أو حتى يكون استعارة لأن رة مبناها التشبيه .. ولو كان أسلوب التجريد استعارة أو تشبيها لا طرد في التشبيه. أما وقد وجد في أساليب التجريد ما لا يمكن التشبيه لا تحاد المنتزع

خول وحومل: موضعان. السقط: ما تساقط من الرمل. اللوى: الرحل حيث يرق ويعوج.

والمنتزع منه فهذا شاهد على أنه لم يقصد فيه ذلك، ويجب ألاّ يفرق في القصد بين تركيب وتركيب.

وفي حقيقة الأمر إن أسلوب التجريد ليس فيه بين المنتزع والمنتزع منه تشبيه ولا استعارة، ولكن المنتزع قد يعبر عنه أحياناً بلفظه الحقيقي، وقد يعبر عنه أحياناً بلفظة المجازى مثل: لقيت من زيد رجلاً شجاعاً، ولقيت من زيد أسداً. فأسلوب التجريد إن وجدت فيه الاستعارة فإنما تكون في خصوص لفظ المنتزع، أما بلاغة هذا الاسلوب فهى آتية من ناحية من يقول: صحبت زيداً فصحبت منه بحراً فياضاً، فأراد أن يثبت له صفة الكرم على سبيل المبالغة، ولكن لّما كان إثبات صفة الكرم لزيد المعروف للسامع ويكون في نفس السامع ما يتعارض مع إثبات تلك الصفة. أراد المتكلم أن يثبتها له على وجه لا ينازعه فيه منازع فترك إثباتها لزيد المعروف الذى عرف عنه البخل إلى إثباتها المتولد عنه حَال جديد، كأن المتكلم يريد أن يقول إن حال زيد تغير، فأصبح شيئاً جديداً له هذه الصفة.

هذا وفي التجريد إثراء للمعنى وتوسيع له، ومبالغة في الصفة التى أثبتها المتكلم للمخاطب أو المتحدث عنه.

والتجريد بأنواعه يعين المتكلم ويساعده على تأدية المعنى بطرق مختلفة وأساليب متنوعة، وهو من محاسن علوم البديع ولطائفه، وقد استعمله الفصحاء كثيراً. ومن بلاغة التجريد أيضاً أنهف يتيح للانسان أن يمدح نفسه، وأن يخاطبها ويلقى القبول من السامعين، لأنه قد انتزع من نفسه شخصاً آخر ومدحه أو خاطبه، والسامع يصغى إلى ذلك فيرحب به نظراً لأن المدح فى نظره لغير المتكلم، أما لو مدح الإنسان نفسه مباشرة بدون تجريد كان ذلك ثقيلاً على الناس وترفضه أسماعهم، ولا يصغى إليه أحد منهم، بل ويشعرون تجاهه بعدم القبول نظراً لتيقنهم من غروره ولافتنانه بنفسه وإعجابه بها، وهذا شيء تمجه الفطر السليمة ممن يتحدث عن نفسه.

المبـــالغـــة

المبالغة: من بالغ فى الأمر يبالغ فيه إذا أفرط وأغرق فى الوصف، وتمثيل الشيء الموصوف فى كميته أو كيفيته مثل قول الشاعر:

صببنـا عليهـا ـــ ظـالمين ـــ سـياطنا

فطـارت بهـا أيـد سـراعٌ وأرجـلُ

فيه مبالغة وزيادة وصف كيفية الضرب حتى جعله صباً، وكيفية جريها حتى جعله طيراناً، وقال قوم المبالغة: هى تأكيد معانى القول.

ومن المبالغة ما جاء فى قول رسول ـ ﷺ ـ مخبراً عن ربه عز وجل أنه قال: (كل عمل ابن آدم له إلاّ الصيام فإنه لى، وأنا أجزى به).

وقوله فى بقية هذا الحديث:

(والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند ا لله من ريح المسك).

ففى هذا الحديث مبالغتان : إحداهما: كون الحق سبحانه أضاف الصيام إلى نفسه دون سائر الأعمال لقصد المبالغة فى تعظيمه وتشريفه، وأخبر أنه عز وجل يتولى مجازاة الصائم بنفسه، مبالغة فى تعظيم الجزاء وشرفه، ونحن نعلم أن الأعمال كلها لله سبحانه، ولعبده، باعتبارين: أما كونها للعبد فلأنه يثاب عليها، وأما كونها لله تعالى فلأنها عملت لوجهه الكريم، ومن أجله، فتخصيصُ الصيام من بينها بالإضافة إلى الربّ سبحانه، وتخصيص ثوابه بما خصصه به إنما كان للمبالغة فى تعظيمه والحض عليه.

والمبالغة الثانية: أخبار الرسول ـ ﷺ ـ بعد تقديم القسم لتأكيد الخبر بأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، ففضل تغيير فم الصائم بالإمساك عن الطعام والشراب على ريح المسك الذى هو أطيب الطيب على مقتضى ما يفهم من ريح المسك، وريح تغير فم الصائم، وأتى المعنى بصيغة أفعل للمبالغة فى ذلك.

ومن قمة حسن التعبير بالمبالغة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾(1).

يصف الله عز وجل أهوال يوم القيامة، بأن هوله إذا فاجأ الناس فإن المرضعة وقد ألقمت ثديها للصبي نزعته، لما يلحقها من الفزع والدهشة، ولو قال تعالى:"تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بياناً حسناً، وإنما أراد أن يزيد في الفزع، ويضاعف في الشدة، فخص المرضعة للمبالغة، لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها، وأشغف به لقربه منها، وشدة التصافه بها.

فهذه الأوصاف الواضحة لهول يوم القيامة، تجعل كل عاقل يفكر في عاقبة الأمر، ويستعد للنجاء من هذا الهول والفزع الأكبر.

وقد سمى بعض علماء البلاغة هذا النوع من الوصف الإفراط في الصفة (2) وسماه آخرون المبالغة ومنهم ابن منقذ الذى قال: إن المعنى إذا زاد من التمام سمي مبالغة، وقد اختلفت ألفاظه في كتبهم، فسماه قوم: الإفراط والغلو والإيغال والمبالغة وبعضه أرفع من بعض(3).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ الزخرف ٨١ وعلى هذا النحو خرج قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ الفرقان ٢٥ جاء على التسليم ان لهم مستقرا خير من جهة السلامة من الآلام، لأنهم ينكرون إعادة الأرواح إلى الأجسام فقيل على هذا أصحاب الجنة يؤمئذ خير مستقرا. ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ على التسليم أن أحدهما أهون من الآخر فيما يسبق إلى نفوس العقلاء (4).

---

(١) الحج ١، ٢.
(٢) تحرير التحبير ١٤٧، البديع لابن المعتز ١١٦..
(٣) البديع لابن منقذ١٠٤.
(٤) انظر: النكت للرماني ص ١٠٤ ، ١٠٥ بتصرف.

قال زهير:

كأن فتات العهن في كل منزل نزلن به حَبُّ الفنا لم يُحَطم (1)

كأنه تم الكلام عند قوله حب الفنا، ثم قال: لم يحطم لأنّه أشد لحمرته، فأوغل في تشبيه ما تناثر من فتات الأرجوان بحبِّ الفنا الذى لم يحطم لأن ظاهره أحمر، وباطنه أبيض، فإذا لم يحطم كان خالص الحمرة، وهو عنب الثعلب. (2)

وكذلك قول امرئ القيس:

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزعُ الذى لم يثقب (3)

فتم القول عند قوله الجزع، ثم بالغ بقوله: الذى لم يثقب.

ومثله قول الأعشى:

كناطح صخرة يوماً ليفلقها فلم يضِرْها وأوهى قرنه الوعِلْ

فقد تم المعنى بقوله "وأوهى قرنه" فلما احتاج إلى القافية قال: "الوعل" فزاد معنى، لأن الوعل مفضل على كل ما ينطح لأنه ينحطّ من قُنَّةِ الجبل على قرنه فلا يضِرْه.

والمبالغة مطلقاً: أن يدعى لوصف بلوغه فى الشدة أو الضعف حدا مستحيلاً أو مستبعدا، وإنما يدعى ذلك ـ لئلا يظن أنه ـ أى ذلك الوصف ـ غير متناه فيه ـ أى في الشدة أو الضعف (4).

فمنه قوله: أن يدعى لوصف: ضمن يدعى معنى يثبت أى يثبت لوصف بالدعوى له لا بالتحقيق، وقوله: بلوغه أى أنه بلّغ، وقوله في الشدة .. إلخ ـ فى ـ بمعنى ـ من ـ أى بلغ ووصل من مراتب الشدة أو الضعف حداً أى مكاناً مستحيلاً مستبعداً يقرب من المحال، وقوله مستحيلا أى عقلا وعادة كما في الغلو، أو عادة لا

(1) العهن: الصوف المصبوغ ألوانا.
(2) كفاية الطالب فى نقد كلام الشاعر والكاتب لابن الأثير ٢٣٦.
(3) الجزع: خرز يماني أو هو عقيق فيه دوائر بيض وسود..
(4) الإيضاح ٦٢/٦، حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص ٣٥٨/٤.

عقلا كما في الإغراق وقوله مستبعدا أى بأن كان ممكنا عقلاً وعادة إلاّ أنه مستبعد كما في التبليغ، وقوله ـ إنما يدعى ذلك ـ أى بلوغ الوصف لتلك المنزلة لدفع توهم أن ذلك الوصف غير متناه فيه أى غير بالغ فيه النهاية بل هو متوسط أودون المتوسط وأتى بذلك إشارة فى أنّ قول المصنف ـ لئلا يظن ـ ليس داخلا فى حدّ المبالغة، بل التعريف تم بدونه، وأنه بيان للعلة التى تحمل البليغ على إيجاد المبالغة وبه اندفع ما يقال: إن المبالغة المطلقة لا يشترط فيها ذلك. وقد اختلف النقاد والبلاغيون ووقفوا من المبالغة على ثلاثة آراء:

الأول: رأى قوم أن أجود الشعر أكذبه، وخير الكلام ما بولغ فيه، ويحتجون بما جرى بين النابغة وبين حسان بن ثابت فى استدراك النابغة عليه فى مواضع فى قوله:

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى ... وأسيافُنا يقطرن من نجدة دما

فقال الجفنات وترك المبالغة لأنه لو قال الجفان لكان أكثر، وقال يلمعن بالضحى فلو قال يبرقن بالدجى لكان أبلغ فى المديح، لأن الضيف أكثر طروقا بالليل، وقال: يقطرن دما ولو قال: يجرين لكان أكثر.

كما يعتمد أصحاب ذلك الرأى على قول البحترى:

كلفتمونا حدود منطقكم ... فى الشعر: يكفى عن صدقه كذبه

فقد أراد كلفتمونا أن تجرى مقاييس الشعر على قواعد المنطق، والقول المحقق حتى لا نقول إلا ما يقول عليه العقل من برهان وحجة، مع أن الشعر يقوم على التخييل والإغراق فى المدح والذم والوصف، وسائر أغراض الكلام وهذا مجال إبداع الشاعر وإجادته، ويبعد أن يراد بالكذب معناه فيعطى الممدوح ـ مثلاً ـ حظا من الفضل والمدح ليس له، لأن الكذب لا يبين بالحجج المنطقية.

الثانى: رأى قوم أن المبالغة من عيوب الكلام، ومن محاسن الكلام ما خرج صدقاً، وجاء على منهج الحق، والعاجز الضعيف من يبالغ فى كلامه فهو لا يستطيع أن يبتكر معنى جديداً، أو يحلّى كلامه بشىء من البديع أو ينتقى ألفاظاً حسنة، وحجتهم فى ذلك قول حسان.

وإنما الشعر لبُّ المرء يعرضُه   على المجالس: إن كَيْساً وإن حُمُقا

وإن أشعر بيت أنت قائلُهُ   بيتٌ يقالُ إذا أنشدْتَه صدَقَا[1]

فالصدق والتحقق من القول أحب إليه وثمره أشهى وأطيب من المبالغة التى يجب تركها.

الثالث: رأى قوم التوسط والاعتدال بين المذهبين، فقبلوا المبالغة إذا كان طابعها الاعتدال، لاستنادهم على ما ورد منها في القرآن الكريم، وهو لاريب فيه، فهو المنزه عن العيوب والنقص وهو ميزان الاعتدال لأنه صادر عن الله عز وجل عن كل عيب وأى نقص.

هذا ولا يخفى علينا حسن المبالغة وما فيها من صنعة وتأنق، فهى فضيلة لا تنكر، ولو كانت معيبة لما أتت فى القرآن الكريم على وجوه شتى ـ ولبطلت الاستعارة والتشبيه وكثير من محاسن الكلام وكلها مبنية على المبالغة.

وعلى ما سبق تنقسم المبالغة إلى ثلاثة أقسام:

تبليغ وإغراق وغلو.

١ ـ التبليغ

وهو ما كان الوصف المدعى فيه ممكنا عقلا وعادة.

كقول المتنبى:

وأصرع أيَّ الوحش قفيته به   وأنزلُ عنه مِثْلَه حين أركب[2]

فالمبالغة فى الشطر الثاني: فأفاد به كثرة جريه وشدة صلابته، فإذا جرى بفرسه وراء وحش لحقه وصرعه، وإذا نزل عنه بعد الصيد كانت حالته شبيهة بحالته حينما ركبه، فلم يلحقه تعب، وهذا وصف ممكن عقلا وعادة.

---

(١) تحرير التحبير ١٥٠.

(٢) أصرع: أطرحه على الأرض، ففيته: اتبعته.

وكقول امرئ القيس:

فعـادى عــداءً بــين ثــور ونعجــة   دراكـاً فلـم ينضـح بمـاء فَيُغْسَـلُ [(١)]

ادعى الشاعر أن فرسه أدرك ثوراً وبقرة في مضمار واحد ولم يعرق وهذا ممكن عقلا وعادة.

وما سبق ذكره عن الآتين الكريمتين[(٢)]: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا .. إلخ﴾ فالذهول والوضع والمذكوران مبالغة في وصف يوم القيامة بالشدة والهول والفزع الأكبر[(٣)] وهما ممكنان في العقل والعادة.

ومن ذلك قول بشار بن برد:

في حلتي جسم فتى ناحل   لو هبت الريح به طاحا

وصف الشاعر نفسه بالنحول، ولو هبت عليه الريح لأطاحت به، وهذا ممكن عقلاً وعادة.

وهناك من يضع هذا البيت في الإغراق،[(٤)] إلاّ أنني أذكر بأن كلمة الرياحَ تكون لطيفة، أما ـ الريح ـ فهو الشديد الذى يمكن عقلاً وعادة أن يطيح بمن كان نحيلا، ولهذا فالبيت فيه مبالغة ممكنة عقلاً وعادة فهو من التبليغ، نظراً لما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [(٥)]

---

(١) العداء: بكسر العين: الموالاة بين الصيدين يصرع أحدهما إثر الآخر في شوط واحد، الثور: ذكر بقر الوحش، النعجة: الأنثى منه، دراكا: متتابعاً.

(٢) انظر ص ١٠٤ من هذا الكتاب.

(٣) خاض الناس قريباً ـ في مصر ـ تجربة الزلزال الذى حدث لمدة ثوان معدودة، فذهل الناس وفروا من مساكنهم لايدرون ما يفعلون، ونسى الكثير أولادهم في هذه اللحظات وغنى عن البيان ماحدث فأصبح شيئا يدركه العقل وتقربه العادة.

(٤) انظر فن البديع د/ عبد القادر حسين ٧٩.

(٥) الذاريات ٤١.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (١)

وقوله جل جلاله: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ (٤)

وقوله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩)﴾ (٥)

أما الرياح فهى الرقيقة اللطيفة المبشرة بالخير كما فى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (٦)

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾(٧)، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾(٨) فكانت الريح للهلاك والدمار وتعصف بما هو موجود فتهلكه وتدمره، أما الرياح فهى للخير والبشرى والرحمة فتسوق المطر الذى ينبت الزرع فيمتلىء الضرع ويعم الخير وتنتشر الحياة ممتلئة بنعم الله على عباده.

وبقول رسول ـ ﷺ ـ فى دعائه المأثور عند هبوب الرياح:

"اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحا" (٩).

---

(١) الحاقة ٦.
(٢) الروم ٥١.
(٣) الأحزاب ٩.
(٤) فصلت ١٦.
(٥) القمر ١٩.
(٦) الأعراف ٥٧.
(٧) الروم ٤٦.
(٨) فاطر ٩.
(٩) وسميت الريح العقيم تشبيها لها بعقم المرأة التى لا تحمل ولاتلد، ولمّا كانت هذه الريح لا تلقح سحاباً ولا شجراً، ولاخير فيها ولا بركة لأنها لا تحمل المطر شبهت بالمرأة العقيم.

٢ ـ الإغـــراق

أن يكون المدعى للوصف من الشدة أو الضعف ممكنا عقلا لاعادة مثل:

قول الشاعر:

صببنـــا عليهـــا ظـــالمين ســـياطنا
فطـــارت بهـــا أيـــد ســـراعٌ وأرجُـــلُ

فقولـه ـ ظالمين إغـراق، يعنـى أنـها بـلغت جهدها فى العدو فلم نضربها إلاّ ظلما.

وكقول المتنبى:

كفـى بجســمى نحـولاً أننـى رجـل ... لـــولا مخـاطبتى إيـــاك لم ترنـــى

فقد ادعى الشاعر أنه صار ضعيفاً نحيلا لايكاد يرى بالعين، ولولا كلامه بصوته لم تره ولم يقع نظرك عليه.

وهذا وصف ممكن عقلا ممتنع عادة.

ومثله تماما قول شرف الدين الفارض:

كـأنى هـلالُ الشـك لـولا تـأوهى ... خفيـت فلـم تُهـد العيـون لرؤيتـى

ومن الإغراق فى المعنى قول عمرو بن الأهتم التغلبى:

ونكـــرم جارنـــا مـــادام فينـــا ... ونتبعـــه الكرامـــة حيـــث مـــالا

فقد ادعى الشاعر أنهم يكرمون الجار فى حالة كونه مقيماً عندهم، وفى حالة كونه مع غيرهم وارتحاله عنهم، فالوصف المبالغ فيه ـ كرمهم ـ ولا شك أن إكـرام الجار فى حالة كونه مع غيرهم، وارتحالـه عنهـم محـال عـادة ممكـن عقـلاً، فالعـادة أن الجار إذا انتقل إلى مكان بعيد نـاء انقطع كرم جاره عنه وتوقفـت الهدايـا والعطايـا ولم تصل إليه.

وكقول أبي تمام يمدح المعتصم:

تعـود بسْـط الكـفّ حتـى لـو أنـه ثناهـا لقبـض لم تطعـه أناملُـه

ولـو لم يكـن فـي كفـه غـير نفسـه لجـاد بهـا فليتـق الله سـائله

فهذه الأبيات وما شابهها معانيها ممكنة فى العقل إلاّ أنها بعيدة الوقوع فى العادة.

مثل ذلك قول امرئ القيس:

تنورتهـا مـن أذرعـات وأهلُهـا بيثربَ أدنى دارهـا نظـر عـالى [1]

فرؤية النار وهي بالمدينة المنورة من أذرعات فى الشام جائزة عقلا لكنها ممتنعة فى العرف والعادة.

وقال حسان في وصف الحرب:

تشـيب النـاهد العـذراء فيهـا ويسـقط مـن مخافتـها الجنـين

فشيب العذراء فى الحرب ممكن عقلا دون عادة، أوهو بعيد الوقوع عادة، أما سقوط الجنين من شدة الخوف فهو مبالغة "تبليغ" لأنه يمكن الوقوع عقلاً وعادة.

ومن الإغراق فى المعنى أيضاً قول حسان بن ثابت:

لـو يـدب الحـولى مـن ولـد الـذر عليهـا لاندبتهـا الكلـوم

أى إذا امشى على جلدها النمل الصغير لأثر فى جلدها وأصابها بالجروح لشدة رقته، وهذا أمر ممكن عقلا لاعادة.

---

(١) تنورتها : أبصرت نارها، أذرعات : بلد فى الشام، يثرب: المدينة المنورة.

٣ ـ الغلـــــو

الغلو هو الزيادة في الخروج عن الحدّ، وهو مأخوذ من قولهم: غـلا فـي الرمْـي إذا جعل بينه وبين الغرض مدى ثم رمى فتجاوز الحدّ عن ذلك المدى، كما قـال تعـالى: ﴿يا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينكم﴾ (١) أى لا تجــاوزوا الحــدّ فيما فرض عليكم.

والغلو هو ما يكون الوصف المدعى فيه غــير ممكـن عقـلاً ولاعـادة، وفـي هذا يتسابق الشعراء المجيدون فـي مدحهـم وهجـائهم وفخرهـم ووصفهـم، فـإن أفضى إلى الكفر كان قبيحاً مـردوداً وإلاّ كـان مقبـولا، والمقبـول يتفـاوت فـي الحسن، وأحسنه ما دل عليه ما يقربـه إلى الصحـة مثـل: كـاد ولـو ولـولا وأداة التشبيه، فالمقبول على أنواع مثل قوله تعالى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَـاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَـةٍ زَيْتُونَـةٍ لا شَـرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾(٢) فإن إضاءة الزيت دون مس النار لـه مستحيل عقلا وعادة، ولكن دخول "يكاد" التى تفيد المقاربة أخرجته عـن الامتنـاع، لأنها دلت على مقاربة الإضاءة دون الإضاءة نفسها التى هى مستحيلة.

وذلك كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾ (٣).

فإن اقتران هذه الجملة بيكـاد يصرفهـا إلى الحقيقـة فـانقلبت مـن الامتنـاع إلى الإمكان. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَـيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (٤).

أى يهلكونك بأبصارهم من شدة النظر إليك بالعداوة والبغضاء.

---

(١) المائدة ٧٧.
(٢) النور ٣٥.
(٣) النور ٤٣.
(٤) القلم ٥١.

ومن الغلو المستحسن قول ابن المعتز:

يكاد يجرى من القميص في الـ نعمة لولا القميص يمسكه

فالغلو مقبول وحسن لدخول كاد ولولا، لأن المعنى مبنى على المقاربة لا الحقيقة.

ومثال الغلو الذى دخل عليه لو. قول الله تبارك وتعالى:

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (١)
فقرب خشوع الجبل من الإمكان بذكر "لـو"

ومن مثل ذلك قول البحترى:

ولو أنَّ مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه لسعى إليك المنبر

فلا تقر العادة، ولا يتصور العقل سعى المنبر إلى الممدوح، لكنه قربه من الامكان بذكر "لـو"

ومثال الغلو المقترن بأداة التشبيه: كقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ، كَأَنَّهُ جِمَالاَتٌ صُفْرٌ﴾ (٢)

وكقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (٣)

فجعل من يسرّ القول كمن يجهر به، والمستخفى بالليل كالسّارى بالنهار أى ظاهر يبصره كل أحد، وهذه المبالغة بالنسبة إلينا لا إلى الله عز وجل.

وقد يأتى الغلو بدون أداة تقريب ويكون مستحسناً كقوله تعالى:

﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ (٤).

فالقلوب لا تبلغ الحناجر وأصحابها أحياء.

---

(١) الحشر ٢١.
(٢) المرسلات ٣٢، ٣٣.
(٣) الرعد ١٠.
(٤) الأحزاب ١٠.

وكقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (٢)

وكل ما ورد فى القرآن الكريم من الغلو مقبول ومستحسن.

ومن الغلو المقبول: أن يتضمن نوعاً حسناً من التخييل فيقر به إلى الصحة والإمكان كقول المتنبى:

عقدت سنابكها عليها عثيرًا ... لو تبتغى عنقا عليه لأمكنا (٣)

يقول الشاعر عقدت سنابك الخيل فوقها غباراً كثيفاً بحيث لو طلب منها أن تسير عليه لأمكن لكونه كالأرض وهذا غير ممكن عقلا ولا عادة ولكنه خيل إلى وهم السامع كثرته وكونه كالجبال، فقربه ذلك إلى الصحة والإمكان.

وقد اجتمع النوعان فى قول القاضى الأرجانى بصف الليل:

يخيل لى أن سُمِّر الشُّهب فى الدجى ... وشدت بأهدابى إليهن أجفانى (٤)

فيقول: يخيل إلى أن الشهب محكمة بالمسامير لا تزول عن مكانها وأن أجفان عينى قد شدت بأهدابها إلى الشهب فلا تنطبق لطول هذا الليل وبطء تقضّيه، وهذا غير ممكن لا فى العقل ولا فى العادة، لكنه قصد إلى شيئين ما منهما إلاَّ وهو مقرب للصحة والإمكان فذكر لفظ "يخيل" وذلك من النوع الأول، ثم ما تضمنه من التخييل الحسن الذى بادعائه أن هناك مسامير وأن هناك حبالا كانت السبب فى توقف الشهب وشد الأجفان إليها وذلك من النوع الثانى الذى يتضمن نوع من التخييل بالصحة والإمكان.

ومن الغلو المقبول ما يخرج مخرج الخلاعة والهزل كقول الشاعر:

أسكر بالأمس إن عزمت على الشر ... ب غداً إنّ ذا من العَجَب

(١) إبراهيم ٤٦.
(٢) الأعراف ٤٠ ثم انظر: النكت للرمانى ص ١٠٤.
(٣) السنابك: جمع سنبك وهو طرف مقدم الحافر. العثير. الغبار العنق: نوع من السير شديد.
(٤) الدجى جمع دجية وهى الظلمة . الأهداب جمع هدب وهو شعر أشفار العين.

فالسكر على هذا الحال من المحال عقلا وعادة، لكن حسّنه الهزل لمجرد سرور المجالس ومضاحكته.

ومعنى مخرج الهزل والخلاعة، هو الكلام الذى لايراد به إلاّ المطايبة والضحك وليس فيه غرض صحيح، وأما الخلاعة فهى عدم المبالاة بما يقول القائل لعدم المانع الذى يمنعه من غير الصدق، ففى الشطر الأول من البيت السابق مبالغة فى شغفه بالشرب فادعى أن شغفه بالشرب وصل لحالة هى أن يسكر بالأمس عند عزمه على الشرب غداً، ولا شك أن سكره بالأمس عند عزمه على الشرب غداً محال، إن أريد بالسكر ما يترتب على الشرب وهو المقصود هنا.

ولكن لّما أتى بالكلام على سبيل الهزل كان ذلك الغلوّ مقبولاً.

أما الغلو المردود:

أن يخرج فيه الأديب إلى المحال ويشوبه بسوء الاستعارة وقبيح العبارة [1] وألا يقترن به لفظ يقربه إلى الصحة والإمكان، ولا يتضمن تخييلاً حسناً، ولذلك يعاب ويرفض ويذم كقول أبى نواس يمدح هارون الرشيد:

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التى لم تخلق [2]

فقد ادعى الشاعر أن الممدوح يرهب الناس بسطوته وقوته حتى النطف غير المخلوقة تخاف منه وهذا ممتنع عقلا وعادة، ولم يدخل عليه لفظ يقربه من الإمكان ولم يتضمن تخييلا حسناً ولم يخرج مخرج الخلاعة والهزل، ولذلك عيب ورفض.

بناء على ذلك فقد صحح بعض العلماء مبالغة أبى نواس فقال: إنه لم يرد أن النطف تخاف، ولا أنها قبل أن تخلق مظنة للخوف، وإنما أساس المبالغة هنا فى الدراسة النفسية وفى العلاقة بين الانفعالات وآثارها الجسمية والعقلية بما هو مدروس فى علم النفس"[3] فالخوف كما يقول بعض العلماء يظهر أثره أو الانفعال به فى صورتين: فهو إما أن يمد الخائف بجناحين يطير بهما، وإما أن يضرب عليه بالشلل المؤقت فيسلبه

(١) الصناعتين. ٣٥٣.
(٢) النطف: جمع نطفة وهى الماء الذى يتخلق منه الإنسان.
(٣) انظر بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ١٥٩.

الحركة، فهل يريد أبو نواس أن يقول: إنك أخفت أهل الشرك حتى سرى الخوف إلى أصلابهم فانقطع ولدهم، والطب والحس العام يعرفان هذه الظاهرة، أم يريد أن يقول إن الخوف أصبح لهم غريزة تنتقل طبيعية من الآباء إلى الأبناء والأحفاد فهم خائفون، وذراريهم من بعدهم سيصابون بالخوف من أثر الوراثة؟

وليس هذا بغريب على أبي نواس وهو المتصل بالعلم والفلسفة، على أن الأمر لا يحتاج إلى فلسفة عميقة، فيكفى أن يعرف أبو نواس كما يعرف سائر الناس أثر الخوف وأثر الانفعال حتى تنفعل شاعريته فتظفر بهذه العبارة المدوية، مثل هذا التحليل يخرج المبالغة عن حدّ الغلو، ما دامت مستندة إلى فكرة.

ومن الغلو المردود قول ابن هانيء الأندلسي:

ماشئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

فادعى الشاعر أن إرادة الممدوح فوق إرادة الأقدار، وهذا ممتنع عقلا وعادة ولم يقترن به أى شيء يقربه إلى الصحة ولذلك رفض وذم وعيب.

ويتلو ذلك البيت قوله:

وكأنما أنت النبى محمد وكأنما أنصارك الأنصار

أنت الذى كانت تبشرنا به فى كتبها الأحبار والأخبار

فهذا غلو لأنه تجاوز الحدّ المعهود له، فهو غير ممكن عقلا وعادة، حيث يرفضه العقل وترفضه العادة والعرف.

والشعراء المتهورون بالاستكثار من الغلو المردود والقبيح: أبو نواس والمتنبى وابن هانئ الاندلسي وهو أشهرهم بذلك.

قال المتنبى:

كأني دحوت الأرض من خبرتي بها كأني بنى الإسكندر السد من عزمي

شبه نفسه بالخالق جل وعلا فى دحوه الأرض "أى جعلها كالبيضة كروية" ثم فجأة نزل الحضيض فشبه نفسه بالإسكندر.

ويقول ابن هانيء الأندلسي:

ولو لم تصافح رجلُها صفحة الثرى | لما كنتُ أدرى علةً للتيمم [1]

فهو لم يدر علة التيمم إلاّ بمصافحة رجل صاحبته صفحة الثرى، فهذا غلو مردود لأن علة التيمم فى قوله ا لله عز وجل:

﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [2].

وقول رسول الله ﷺ: "وجعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا".
فوقع ابن هانيء فيما هى عادته أن يقع فيه من الغلو القبيح المردود.

(١) انظر تحرير التحبير ص ٣١٠، سر الفصاحة ٣٢٧، والطراز ١٣٩/٣.
(٢) المائدة ٦.

المذهب الكلامى [1]

أول من ذكره الجاحظ وأنكر وجوده فى القرآن الكريم، وجعله ابن المعتز الباب الخامس من البديع ووافق الجاحظ فى الرأى، فذكر أنه ليس فى القرآن منه شيء وأنه ينسب للتكلف، وقد نقده أبو هلال لأنه عدّ هذا الباب من البديع مع أنه نسبه إلى التكلف، ويثبت ابن أبى الإصبع أمثلة كثيرة منه فى. القرآن الكريم.

ويعرفه البلاغيون. بقولهم: أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام، وهى أن تكون المقدمات مستلزمة للمطلوب.

وهو يقوى بالحجة دعواه ويبطل بها دعوى الخصم أى أن المذهب الكلامى عبارة عن احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه، لأنه مأخوذ من علم الكلام الذى هو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية.

ومن أمثلة المذهب الكلامى قول الله عز وجل حكاية عن الخليل ـ عليه السلام ـ "وحاجة قومه" .. إلى قوله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى﴾ [3]

وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[4]

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [5]

ومن هذا أيضاً كقوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [6]

---

(١) انظر: الصناعتين ٤١٠، الإيضاح ٦/٦٥، تحرير التحبير ١١٩ ، عروس الأفراح ٣٦٨/٤.
(٢) الأنعام ٨٠، ٨٣.
(٣) يس ٨١.
(٤) الأنبياء ٢٢.
(٥) يس ٧٩.
(٦) الزخرف ٨١.

أى إن صح بالبرهان القاطع ذلك، فأنا أول من يعظم ذلك الولد، ويسبقكم إلى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك.

وكقوله تعالى:

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(١)

أى أن هذه الأصنام والطواغيت التى تعبدونها من دون الله وقود جهنم ولو كانوا آلهة ما كانوا وقودا لجهنم، فيلزم من ذلك أن هؤلاء ليسوا بآلهة.

ومن ذلك ما جاء فى القرآن الكريم أيضاً رداً على منكرى البعث قوله تعالى:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ النحل ٣٨.

وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ الأعراف ٢٩.

وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ الانبياء ١٠٤.

وقال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ﴾ ق ١٥.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الروم ٢٧.

ومن بديع ما ورد من هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الرعد ٤.

كانوا يرون أن الأرض تختلف تربتها باختلاف الأماكن، فمنها الطيب ومنها الخبيث، ويستبعد ذلك فى المتقارب منها، فبيّن الله لهم أن فى الأرض قطعا متجاورات يقرب بعضها من بعض وتسقى بماء واحد وتختلف فى مذاقها وطعمها، على العكس من ادعائهم أن اختلاف الأكل راجع إلى اختلاف التربة أو اختلاف الماء.

---

(١) الانبياء ٩٨، ٩٩.

ومن المذهب الكلامى نوع منطقى، وهو استنتاج النتيجة من مقدمتين فذكر أهل العلم أن: من أول سورة الحج إلى قوله تعالى:

﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ الحج ٧

منطو على خمس نتائج من عشر مقدمات، فالمقدمات فى أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ والنتائج من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

وتفصيل المقدمات والنتائج: بأن الله أخبر أن زلزلة الساعة شىء عظيم. وخبره هو الحق، وأخبر عن المغيب بالحق، فهو حق، فالله هو الحق، والله يأتى بالساعة على تلك الصفات، ولا يعلم صدق الخبر إلاّ بإحياء الموتى، ليدركوا ذلك، ومن يأتى بالساعة يحيى الموتى، فهو يحيى الموتى، وأخبر عز وجل أنه يجعل الناس سكارى من هول الساعة لشدة العذاب ولا يقدر على عموم الناس بشدة العذاب إلا من هو على كل شىء قدير فالله على كل شىء قدير، وأخبر أن الساعة يجازى فيها من يجادل فى الله بغير علم، ولابد من مجازاته، ولا يجازى حتى تكون الساعة آتية، ولا تأتى الساعة حتى يبعث من فى القبور فهو يبعث من فى القبور وأن الله يرسل الماء على الأرض الهامدة فتنبت من كل زوج بهيج والقادر على إحياء الأرض بعد موتها يبعث من فى القبور وأن الله يبعث من فى القبور" [(١)] ونظير ذلك من الشعر قول الفرزدق:

لكل امرىء نفسان: نفس كريمةٌ	ونفس يعاصيها الفتى ويُطيعُها
ونفسك من نفسَيْك تشفع للندى	إذا قل من أحرارهن شفيعُها

يقول الشاعر: إن لكل إنسان نفسين: مطمئنة تأمر بالخير، وأخرى تأمر بالشر والانسان يطيع الأمّارة مرة ويعصيها مرة أخرى، وأنت أيها الممدوح إذا أمرتك نفسك الأمّارة بترك الندى شفعت النفس المطمئنة إلى الأمارة فى الندى وذلك فى حالة قلة الشفيع ــ من النفوس ــ فى الكرم، فأنت أكرم الناس. ومن ذلك قول النابغة الذبيانى يعتذر إلى النعمان بن المنذر:

---

(١) انظر: تحرير التحبير ١٢٠.

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مطلب
لئن كنت قد بلغت عنى وشاية   لمبلغك الواشى أغش وأكذب
ولكننى كنت امرأ لى جانب   من الأرض فيه مستراد ومذهب [1]
ملوك وإخوان إذا ما مدحتهم   أحكم فى أموالهم وأقرب [2]
كفعلك فى قوم أراك اصطنعتهم   فلم ترهم فى مدحهم لك أدبوا

أقسم الشاعر بالله أنه ما أبغضه ولا احتقره، ولا عرض عند مدحه آل جفنة بذم النعمان، ولم يبق عندك أيها النعمان بسبب ذلك اليمين شك فى أنى لست لك بمبغض ولا عدو.

فليس وراء الله أعظم منه يطلب الصدق بالحلف به فلا يكون الحالف به كاذبا ومن أبلغك تلك الوشاية فهو أغش من كل غاش وأكذب من كل كاذب، وما كنت أقصد التعريض بك بمدحي آل جفنة، وكنت امرأ لى جهة مخصوصة من الأرض لا يشاركنى فيها أحد من الشعراء فأطلب الرزق فيها، وفيها ملوك لاتصافهم بالرفعة، وإخوان لا تصافهم بالتواضع فهم مع اتصافهم برفعة الملك يجعلون الناس إخواناً لهم، ويعاملونهم معاملة الإخوان بسبب تواضعهم.

فيقول النابغة: أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك، وأنا أحسنت إلى قوم فمدحتهم، فكما أن مدح اولئك لك لا يعد ذنبا، فكذلك مدحى لمن أحسن إلى لا يعد ذنبا.

ويروى أن أبا دلف العجلى قصده شاعر من بنى تميم فقال له: ممن أنت؟ فقال: من تميم، فقال له أبو دلف:

تميم بطُرْق اللؤم أهدى من القطا   ولو سلكت سبْلَ الهداية ضلَّت

فقال له التميمي: بتلك الهداية جئت إليك، فأفحمه.

ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً" وتمام الدليل: لكنكم ضحكتم كثيرا وبكيتم قليلا، فلم تعلموا ما أعلم [3].

(١) المستراد: موضع طلب الرزق.
(٢) يعنى بهم بنى جفنة ملوك بنى غسان بالشام.
(٣) انظر: خزانة الأدب ١/٣٦٤

حســـن التعليـــــل (1)

التعليل: على وزن تفعيل من قولهم علَّلَ ماشيته إذا سقاها مرة بعد مرة وعللتُ هذا إذا جعلت له علة وسببا، وسمى المرض علة لأنه سبب فى تغير حال الإنسان وفساد صحته.

وفى اصطلاح البيانيين: أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقى(2) فالأديب يأتى إلى العلة الحقيقية للشيء فينكرها أو يضمرها، ثم يأتى له بعلة أدبية طريفة تناسب مقصده، وتساير غرضه، كقول ابن رشيق يعلل قول رسول الله ﷺ: "جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً" فقال فى معنى ذلك:

سألتُ الأرض لم جُعِلَتْ مُصلى ... ولِمْ كانت لنا طُهرا وطيبا (3)
فقالت غيرَ ناطقةٍ لأنى ... حويت لكل إنسان حبيبا

فلقد أحسن الشاعر فى الاستخراج وألطف فى التعليل، فلأجل ما قاله كان ذلك علة فى كونها طهورا ومسجداً، فالشاعر ادعى علة غير حقيقية على سبيل الاستطراف وذلك لتحقيق السبب وتقريره، حيث إن الشيء إذا كان معللا كان آكد فى النفس من إثباته مجرداً عن التعليل.

ومن مثل ذلك قول مسلم بن الوليد:

يا واشياً حَسُنَتْ فيه إساءَتُه ... نجّى حِذارُك إنسانى من الغرق (4)

فيتلطف الشاعر فى تحسين إساءة الواشى، لإنجاته إنسان عينه من الغرق بالدمع لامتناعه من البكاء لحذره منه، فاختلف عمّا يقوله الناس، فاستحسن الإساءة، وكأنه سئل عن استحسانه إساءة الواشى، ففسر ذلك بنجاة إنسانه من الغرق وأدمج فى هذا المعنى معنى الاعتذار عن عدم البكاء، وتبيين العلة فى ذلك من جهة حذره من الواشى بحبه وفى ذلك فضيحة محبوبة، فلولا حذره من الواشى لبكى بدمع يغرق إنسانه فلا يكف عنه الماء أبداً.

---

(1) انظر الإيضاح ٦/٦٨.
(2) الطراز ٣/١٣٨.
(3) تحرير التحبير ٣١١.
(4) مواهب الفتاح ٤/٣٧٥.

وحسن التعليل أربعة أقسام:

القسم الأول منه كقول الشاعر: [1]

لم تحك نائلك السحاب وإنما ... حُمَّتْ به فصبيبها الرحضاء

فواضح أن نزول المطر من السحاب صفة ثابتة، لا يظهر لها في العادة علة وإن كان لها علة في الواقع ولكن ينظر إليها، فالشاعر تصرف وعلل نزول المطر من السحاب بما ليس له علة في الواقع، وهو أنه عرق الحمى التي أصيبت بها السحاب لشدة غيرتها، وغيظها بسبب عجزها عن اللحاق بالممدوح في كرمه وكثرة عطائه.

فالوصف ثابت وهو نزول المطر من السحاب، وعلة نزول المطر لا تظهر في العادة، ولكن الشاعر علله بما ذكر.

ومثل ذلك كقول أبي تمام:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيلُ حربٌ للمكان العالي

يخاطب الشاعر نفسه: ليس عجيبا أن ينفد مال الفتى، فهذا حال أصحابَ القيم الرفيعة، كمثل السيل لا يأوى الأماكن المرتفعة ولا يستقر بها، بل سرعان ما ينحدر عنها إلى الأماكن المنخفضة، فالشاعر علل حرمان الكريم النابه من الغنى بعلو القدر ورفعة الشأن، قياساً على الأماكن العالية إذ هي ليست مستقراً للسيل.

ومثله قول الشاعر:

ما زلزلت مصرُ من كيد يرادُ بها ... وإنما رقصت من عدله طَرَبَا

فقد علل حادث الزلزال المخيف هذا التعليل الطريف، للتخفيف من هول هذا الحادث المزعج، ولمدح أمير مصر، ووصفه بالعدل، وهذا وذاك من شأنه أن يؤثر في نفس الأمير، ويدخل عليه السرور[2].

---

(١) خزانة الأدب ٢/٣٩١.
(٢) البديع للدكتور عبدالفتاح لاشين ص ١١٨.

وكقول أبى العباس الضبى:

لا تــــــتركنى إلى الفــــــرا ... ق فإنـــــه مـــــر المــــــذاق
فــــالشمـــس عنــــد غـــروبهـــا ... تصفــــر مـــن فــــرق الفــــراق

فيرى الشاعر من صفوة الشمس حين يرق نورها بدنوها من الأرض إنما هو لأنها تفارق الأفق الذى كانت فيه، أو النــاس الذيـن طلعـت عليهـم، وأنسـت بهـم، وأنسوا بها، وسرتهم رؤيتها[1].

القسم الثانى كقول أبى الطيب المتنبى:

مابــــه قتـــل أعاديــــه ولكـــــن ... يتقـى اخـلاف مـا ترجـو الذئــاب

فقتل الأعداء وصف ثابت، وعلته عادة دفع مضرتهم فترك الشاعر هذه العلة الحقيقية وأتى بعلة أخرى على سبيل التظرف ليس هى للوصف فى الواقع.

وهى أن الممدوح يريد أن يحقق ما ترجوه الذئاب على يديه من اتساع الـرزق بلوم من يفتك بهم من الأعداء.

ومن لطيف هذا القسم قول الشاعر:

أتتنــــــى تؤنبنــــــى بالبكــــــاء ... فــــأهلا بهــــا وبتأنيبهـــــا [2]
تقــــول وفــــى قولهــــا حشــــمة ... أتبكــــى بعــــين ترانــــى بهــــا
فقلــت إذا استحسنــت غيركــم ... أمــرت الــدمــوع بتـــأديبهـــا

فالعادة فـى دمـع العين أن يكـون السبب فيـه أعـراض الحبيـب، أو اعـتراض الرقيب وهذا من الأسباب الموجبة للحزن والابتئاس، لا ما جعلـه مـن التـأديب علـى الاساءة باستحسان غير الحبيب.

القسم الثالث:

حسن التعليل فى الوصف غـير الثـابت الـذى اريـد اثباتـه وهـو ممكـن كقـول مسلم بن الوليد السابق ذكره، وهو :

---

(١) أسرار البلاغة ص ٢٦٦ تعليق محمد رشيد رضا مطبعة الترقى سنة ١٣١٩ هـ.
(٢) الايضاح ٧١/٦.

يــا واثيــا حســنت فينــا إســاءته ... نجــىّ حــذارك إنســانى مــن الغــرق

فاستحسان إساءة الواشي وصف غير ثابت عادة، فالناس لا يستحسنون إساءة الواشي، ولكن حصوله ممكن، وأراد الشاعر إثبات ذلك معلله بزعمه وهو حذاره أن يفطن الواشي ويشعر بما عنده فيشمت به، لأجل ذلك امتنع من البكاء، فسلم إنسان عينه من الغرق في الدموع.

القسم الرابع:

حسن التعليل للوصف غير الثابت وأريد اثباته وهو غير ممكن، مثل قول الشاعر:

لــو لم تكــن نيّـــةُ الجــوزاء خدمتـــه ... لـمــا رأيــت عليهــا عقــد منتطــق

فتصميم الجوزاء وعقد نيتها على خدمة الممدوح صفة غير ثابتة وغير ممكنة أيضاً، لأن النية إنما تكون ممن له وعي وإدراك، وقد ادعى الشاعر ثبوتها بالعلة المذكورة وهي كونها منتطقة أي شادة النطاق في وسطها كما يفعله الخدم عادة.

ويلحق البلاغيون بحسن التعليل ما ينبيء على الشك، وذلك أن يأتي الأديب في الكلام بعلة ترتب الاتيان بها على الشك فيذكر في كلامه ما يدل على الشك. ولكنه لم يعد في حسن التعليل حقيقة، لأن العلة المدعاة لما فيها من المناسبة المستعذبة لم يناسب فيها إلاّ الاصرار على ادعاء التحقيق والشك ينافي ذلك، كقول أبي تمام:

ربــا شــفعت ريــح الصبــا لرياضهــا ... إلى المزن حتى جادها وهو هامع (١)
كـأن السحاب الغــرَّ غيّبــنْ تحتهـــا ... حبيبــا فمــا ترقــأ لهــن مــدامـــع

تلطف أبو تمام في المعنى، إذ جعل دوام مطر السحاب على الربا كأنه بمنزلة البكاء من ثاكل دفن محبوبا له فهو دائم البكاء على قبره، فكأنه جعل العلة في دوام السقيا كون الحبيب تحت تلك الأرض المسقيه.

والشاهد أن السحاب البيض يظن أو يشك أنها غيبت حبيبا تحت الربا فهي تبكي من أجله، فقد علل على سبيل الشك المفاد من "كأن" نزول المطر من السحاب بهذه العلة.

(١) انظر تحرير التحبير ٣١٠.

وبلاغة حسن التعليل فى هذه الأسباب والعلل المتخيلة من الشعراء، فخيالاتهم الخصبة ونتاج وجدانهم الحى، وعواطفهم اليقظة، ليست أسبابا أو عللا طبيعية مطابقة للواقع، وإنما يعمد إليها الشعراء ليوقظوا خيال القارىء، ويثيروا وجدان السامع وعاطفته، ويدخلوا السرور عليه بتلك العلل المستحسنة والأساليب المستطرفة، وهذه هى خاصة التعليل فى الأساليب الأدبية وهى مضمار حديثنا وهذا غير المضمار العلمى الذى يخضع للتفكير والتدبر فى طبائع الأشياء والبحث والاستقراء.

التفــريــع

هو من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه، ويجعله أبو هلال ضربا من أضرب نوع من البديع يسميه الاستثناء وكذلك فعل ابن رشيق(١).

هو لغة: كون الشيء فرعا لغيره، وهو تفعيل: من فرَّعتُ هذا إذا قررته على أصله.

وعرفه البلاغيون: بأن يثبت حكم من الأحكام لشيء بينه وبين أمر تعلُّق ونسبة تصحح الإضافة أو ما يشبهها بعد أن ثبت ذلك الحكم لمتعلق آخر، أي أن يثبت أمر محكوم به على شيء بينه وبين أمر آخر نسبة وتعلق بعد أن يثبت ذلك الحكم لمنسوب له آخر.

كقول الكميت:

أحلامكم لسقام الجهل شافيه كما دماؤكم تشفى من الكلب (٢)

فرّع على وصفهم بشفاء أحلامهم من داء الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلَب، يعنى أنهم ملوك وأشراف وأرباب العقول الراجحة.

ويقسم ابن أبي الإصبع التفريع إلى نوعين: (٣)

أحدهما: أن يبدأ الشاعر بلفظة هي إمّا اسم وإما صفه ثم يكررها في البيت مضافة إلى أسماء وصفات يتفرع من جملتها أنواع من المعاني في المدح وغيره كقول المتنبي:

---

(١) انظر الايضاح ٧٤/٦ بالهامش،
الصناعتين ٣٩٦،
العمدة لابن رشيق ٤٥/٢،
مواهب الفتاح ٣٨٣/٤.

(٢) الكلب: بفتح اللام: شبه جنون يحدث للإنسان من عض الكلب إذ لا دواء له أنجع من شرب دم ملك ـ كما كان في اعتقاد العرب ـ،
انظر: مختصر سعد الدين التفتازاني ضمن، شروح التلخيص ٤ / ٣٨٥.

(٣) تحرير التحبير ٣٧٢،
انظر خزانة الأدب ٢ / ٣٨٥.

أنـا ابـنُ اللقـاء أنـا ابـنُ السِّـخاء   أنـا ابنُ الضِّـراب أنـا ابـنُ الطِّعَـان
أنـا ابـن الفيـافى أنـا ابـنُ القوافـى   أنـا ابن السُّـروج انـا ابـنُ الرِّعـان
طويـلُ النجـاد طويـل العمـاد   طويـل القنـاة طويـل السِّـنان
حـديـدُ اللحـاظ حـديـدُ الحِفـاظ   حديدُ الحُسَام حـديدُ الجَنَـان

فيسمى تفريع الجمع لأن كل بيت ينطوى على فروع من المعانى شتى فى غرض المدح تفرعت من أصل واحد.

ويذكر ابن أبى الإصبع أن هذا النوع لم يُسبق إلى استخراجه.

ثانيهما: يتفرع منه معنى واحد من أصل واحد، إمّا فى بيت أو أبيات، وإما فى جملة من الكلام أو جمل، وهو أن يصدر الشاعر أو المتكلم كلامه باسم منفى بـ "ما ـ خاصة" ثم يصف الاسم المنفى بمعظم أوصافه اللائقه به إما فى الحسن أو القبح، ثم يجعله أصلا يفرّع منه معنى فى جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك، يفهم من ذلك مساواة الإسم المذكور بالاسم المنفى الموصوف كقول الأعشى:

مـا روضـة مـن ريـاض الحَـزْن مُعْشِـبَةٌ   غَنّـاءُ جـاد عليهـا مُسْـبل هَطِـلُ
يضاحك الشمس منها كوكـبٌ شَـرِقٌ   مـؤزَّرٌ بعميـم النبـت مكتهـلُ
يـومـاً بـأطيـت منهـا طيـب رائحـة   ولا بـأحسـنَ منهـا إذ دنـا الأُصُـلُ

بمجيئه (بما) فى أول الكلام وبأفعل التفضيل فى آخره هو كمال التفريع[1] وقد سمى بعض المتأخرين هذا القسم من التعريف النفى والجحود لتقدم حرف النفى على جملته.

وأكثر ما يقع الأصل فى بيت، والتفريع منه فى بيت آخر إمّا قريباً منه، وإمّا بعيداً عنه، وقد يقع منه ما يكون الأصل والفرع معاً فى بيت واحد كقول أبى تمام:

(١) الطراز ٣/١٣٣.

مـا ربـع ميّـةَ معمـوراً يُطيـفُ بـه غيلانُ أبهى رُبًا من ربعهـا الخَرِب [1]
ولا الخدودُ وإن أدْمَيْن مـن خجـل أشهى إلى ناظرى من خدهـا التـرِبِ

ومن التفريع نوع غير النوعين الأولين، وهو تفريع معنى من معنى، من غير تقدّم نفى ولا جحود، كقول ابن المعتز:

كلامـه أخـدعُ مـن لفظـه ووعـدُه أكـذبُ مـن طبعـه[2]

وهو مختص بمعانى النفس دون معانى البديع.

ومن التفريع الجيد قول الصنوبرى:

مـا أخطـأت نوناتـه مـن صُدغِـه شـيئاً ولا أَلِفاتُـه مـن قـدّه
وكـأنمـا أنفـاسُـه مـن شَعْـرِهِ وكـأنمـا قِرطاسُـهُ مـن خـدّه[3]

فكلمّا فرع المعنى يزداد رتبة فى الحسن.

ويصف ابن سيرزاد جارية كاتبة:

"كأن خطها أشكال صورتها، وكأن بيانها سحرُ مقلتها، وكأن سكّينها غُنْجُ لحظها، وكأن مدادها سواد شعرها، وكأن قرطاسها أديم وجهها وكأن قلمها بعضَ أناملها، وكأن نقطها قلب عاشقها"[4].

ويقول ابن الأثير فى باب التفريع:

ويسمى التعليق والادماج، وسماه العسكرى المضاعف، وهو أن يقصد الشاعر وصفا ثم يفرع منه آخر يزيد الموصوف توكيداً، وهو نوع خفى إلاّ على الحاذق[5].

---

(١)، (٢) عروس الأفراح ٤ / ٣٨٥.
(٣) ديوان الصنوبرى ٤٧٤ وبهامش الديوان: العمدة: من جلده.
(٤) انظر المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع ٤٦٨.
(٥) انظر: كفاية الطالب ص ٢١٩ بتصرف.

تأكيد المدح بما يشبه الذم

يعد هذا اللون البديعي من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه[1]، وجعله أبو هلال ضربا من أضرب البديع يسميه الاستثناء[2]، وكذلك فعل ابن رشيق[3].

قال تعالى: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾[4].

قا لله عز وجل يحكي في الآية الكريمة مقالة سحرة فرعون ـ لما آمنوا بموسى عليه السلام ـ فيقولون لفرعون، وما تعيب منّا إلاّ أسس المناقب والمفاخر وأصول النجاة، وهو الإيمان با لله وبآياته، إن كان الإيمان با لله عيبا، وكون الايمان عيبا فهذا مستحيل، فيكون ثبوت العيب منهم مستحيلا. فنرى في الآية صفة ذم منفية استثنى منها صفة مدح، وهذا المستثنى معمول للفعل الذى فيه معنى الذم ـ على الاستثناء المفرغ ـ وهذا اللون البلاغي هو ما يسمى بتأكيد المدح بما يشبه الذم وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح، بتقدير دخول صفة المدح المستثناة في صفة الذم المنفية.

كقوله تعالى: ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ تَأْثِيمًا ، إِلاَّ قِيلاً سَلاَمًا سَلاَمًا﴾[5].

فصفة الذم المنفية عن الجنة هي: اللغو والتأثيم، قد استثنى منها صفة مدح وهي التسليم وقول السلام، أى أن أهل الجنة لا يسمعون فيها لغواً ولا هزلاً ولا إثماً أبداً إلاّ قول السلام، إن كان ذلك لغواً وهزلاً وذماً أو عيبا، وكون قول السلام هزلاً محال، فيكون ثبوت اللغو والتأثيم ووجوده في الجنة محالاً، فكأنه في المعنى تعليق على المحال كما قيل: لو رأيت حلمة أذنك ـ بدون مرآة طبعا ـ فيكون ذلك تأكيداً لمدح الجنة وخلوها من اللغو ومن التأثيم بطريقة تشبه الذم.

---

(١) البديع لابن المعتز ص ٦٩٤.
(٢) الصناعتين ص ٤٠٨.
(٣) العمدة ٢/٤٥.
(٤) الأعراف ١٢٦.
(٥) الواقعة ٢٥ ، ٢٦.

ومثل ذلك قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غيرَ أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب (١)

فالعيب صفي ذم منفية، استثنى منها صفة مدح وهي أن سيوفهم ذات فلول - إن كانت عيبا - وكون الشجاعة عيبا محال، فيكون ثبوت العيب لهم مستحيلا.

وهذا النوع فيه تأكيد من جهتين:

الجهة الأولى: أنه كدعوى أقيم عليها الدليل والبرهان، فكأن الشاعر قد استدل على نفي العيب عنهم بتعليق وجوده على وجود مالا يكون وما لا يتحقق بحال من الأحوال.

الجهة الثانية: أن الأصل في مطلق الاستثناء أن يدخل المستثنى منه على تقدير السكوت عن الاستثناء، فإذا تلفظ المتكلم بأداة الاستثناء دار في عقل السامع - قبل النطق بما بعدها - أن الآتي مستثنى من المدح السابق، وأنه يراد إثبات شيء من الذم وهذا ذم، فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح لكونه مدحاً على مدح، ولكونه مشعراً بأنه لما لم يجد صفة ذم يستثنيها، اضطر إلى استثناء صفة المدح، وتحويل الاستثناء من الاتصال الذى كان مترقبا إلى الانقطاع الذى لم يكن مترقبا.

ومن هنا كان أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم أبهى وأفخم أنواع المدح، ولعل السبب في ذلك فيما يظهر من الأسلوب من معنى المفاجأة التي تكسبه طرافه وتثير حوله الانتباه.

ومثله قوله ابن نباته:

ولا عيب فيها غير سحر جفونها   وأحبب بها سحّارة حين تسحر

---

(١) الفلول: جمع فَل بفتح الفاء وهى الثلمة فى حدّ السيف،
القِراع: بكسر القاف: المقارعة والمضاربة بالسيوف،
الكتائب: جمع كتيبة وهى الجماعة من الجيش المستعدة للقتال.

وقول الشاعر:

لا عيب لي غير أني من دياركم ... وزامر الحي لم تطب مزامره

وقول آخر:

لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم ... يسلو عن الأهل والأوطان والحشم

وقول شاعر:

تعد ذنوبي عند قوم كثيرة ... ولا ذنب لي إلاّ العلا والفضائل

وهذا النوع هو أرقى الأنواع الثلاثة في البلاغة وأفضلها لأنه أفاد التأكيد من جهتين كما سبق إيضاحه.

النوع الثاني:

أن يثبت لشيء صفة مدح، وتعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له[1].

كقوله تعالى:

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾[2].

فقد أثبت صفة مدح للمهاجرين وهي أنهم أخرجوا من ديارهم بغير حق مغلوبين على أمرهم ثم أتي بعدها بأداة استثناء فأشعر ذلك وأوهم أنه سيأتي بصفة ذم بعدها، ولكنه وصفهم بأنهم مؤمنون با لله، وهذا من صفات الكمال، فيكون مدحا على مدح وهذا يفيد التأكيد.

فظاهر الاستثناء أن ما بعده سيكون صفة تقتضي إخراج المهاجرين ولكننا وجدنا أن صفة مدح تقتضي الإكرام لا الإخراج فيكون ذلك تأكيدًا للمدح بما يشبه الذم.

ومن هذا النوع قول الرسول ﷺ: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش" فالرسول ﷺ وصف نفسه بالأفصحية على العرب وهذه من صفات الكمال، فلما

---

(١) الايضاح ٦/٧٧.
(٢) الحج ٤٠.

أتى بأداة الاستثناء أوهم السامع بأنه سيأتي بصفة مخالفة لما أتى بها قبل الأداة، فلما قال: "إني من قريش" وقريش كما نعلم أفصح العرب كان ذلك مدحاً مضافا إلى مدح فأثبت فصاحته بأسلوب فيه تأكيد وتقوية كما لفت انتباه السامعين.

ومن هذا النوع قول النابغة الجعدى:

فتى كملت أخلاقه غير أنه ... جواد فما يبقى من المال باقيا

فالشاعر قد وصف الفتى بكمال الخلق، وهذه صفة مدح، فالإتيان بأداة استثناء بعده مشعر بأنه أراد إثبات صفة مخالفة لما قبلها، ولّما أثبت أنه جواد كان ذلك تأكيداً للمدح بأسلوب ألف الناس سماعه في الذم.

وهذا النوع أقل بلاغة من سابقه، ذلك لأنه أفاد التأكيد من جهة واحدة وهي أن ذكر أداة الاستثناء قبل ذكر المستثنى موهم إخراج شيء بما قبلها، فإذا ذكر بعد الأداة صفة مدح أخرى جاء التأكيد، ولا يفيد التأكيد من جهة أنه كدعوى الشيء بالبرهان والدليل ـ كما في النوع الأول ـ والاستدراك بلكن يأخذ حكم الاستثناء في باب "تأكيد المدح بما يشبه الذم" وذلك كقول بديع الزمان الهمذاني في المدح:

هو البدر إلاّ أنه البحر زاخراً

سوى أنه الضرغام لكنه الوبْل [1]

فالاستثناء الأول "إلا" والثاني "سوى" والاستدراك بلكن كلها بمعنى واحد في باب "تأكيد المدح بما يشبه الذم، فلكن أفادت ما أفادته "إلا" و "سوى" والاستدراك بها مثل الاستثناء بغيرها.

النوع الثالث:

هو أن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح معمولا لفعل فيه معنى الذم، فيكون الاستثناء مفرغا، وسمى بذلك لأن العامل الذى فيه معنى الذم والمتقدم على أداة

---

(١) البحر الزاخر: المرتفع من شدة الأمواج وزيادة المياه، الضرغام: الأسد الوبْل: بسكون الباء المطر الشديد الغزير. ،
انظر: عروس الأفراح ٣٩٥/٤

الاستثناء قد تفرغ للعمل فيما بعد أداة الاستثناء وهو هنا ــ المستثنى الذى فيه معنى المدح[1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾[2].

فالاستفهام فيه إنكارى بمعنى النفى فيصير مؤداه: لا تنقمون منّا إلاّ أن آمنا با لله"[3].

وهذا النوع من حيث الأفضلية مساو للنوع الأول، لأنه يفيد التأكيد من الجهتين السابقتين، إذا المعنى فى الآية الكريمة: لاعيب فينا إلاّ الإيمان بآيات الله. وبما أنزل إلينا وبما أنزله من قبل رسالة سيدنا محمد ﷺ إن كان هذا عيبا.

والصورة التركيبية لهذا النوع من حيث كونه استثناء مفرغاً هى التى جعلته نوعاً ثالثاً فى العدّ والسرد، وإن كان مساوياً للأول فى الأفضلية والأبلغية.

ولقد احتل هذا اللون البديعى "تأكيد المدح بما يشبه الذم" منزلة سامية فى البلاغة العربية وذلك لما فيه من خلابة وطرافة تجذب انتباه السامعين، وتخلع على الكلام ثوبا لطيفا يخفى وراءه معنى قوبا مبالغاً فيه.

ولذلك فالعرب من قديم تعتمد عليه وتتخذه طريقاً لإصابه الهدف وبلوغ المقصود والمراد.

فالمتكلم إذا أعطاك صفة مدح ثم جاء بعدها بأداة استثناء غلب على ظن السامع أو القارئ ودار فى ذهنه أنه سيأتى بعدها بصفة ذم، ولكنه يريد أن يسحره بالبيان ويأتى بصفة مدح فيقلب الظن، ويغيّر التفكير ويؤكد صفة المدح الأولى فيشعر بأسلوب جديد وطريف.

---

(١) الايضاح ٧٨/٦ والهامش.

(٢) المائدة ٥٩.

(٣) انظر الايضاح ٧٨/٦.

تأكيد الذم بما يشبه المدح

وهو قليل فى الأدب العربى، فلم يكثر الشعراء منه، وتناوله الأدباء تناولاً خفيفاً، وأمثلة الشعر منه، على عكس تأكيد المدح بما يشبه الذم، لكنه يتنوع مثله إلى ثلاثة أنواع.

النوع الأول:

أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشىء، صفة ذم بتقدير دخول صفة الذم المستثناه فى صفة المدح المنفية.

كقول الشاعر:

فإن من لامنى لاخير فيه سوى   وصفى له بأخس الناس كلهم

فيريد الشاعر أن يقول إن لا خير فيه سوى أنه أخس الناس إن كان ذلك خيرا، وكون الأخسية خيراً محال، فهو من باب التعليق على المحال.

ومثل ذلك قولنا:

فلان لا خير فيه إلاّ أنه يسىء إلى من أحسن إليه.

وفلان لا يفى بوعده إلاّ أنه يروغ منك كما يروغ الثعلب.

وفلان لا يحسن الظن بالناس إلاّ أنه يسىء إليهم بحقده.

ومثل ذلك فى كلامنا كثير.

وتأكيد الذم فى هذا النوع يأتى من ناحيتين:

أنه كدعوى الشىء بالبنية والبرهان لتعليق ثبوت الحسن والخير والفضل فيه على المحال.

وأن الأصل فيما بعد أداة الاستثناء صفة ذم جاء لتأكيد كونه ذما على ذمّ.

النوع الثانى:

أن يثبت للشىء صفة ذم، وتعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له.

كقوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾(١).

فهؤلاء المنافقون الذين اقترفوا تلك الجرائم، ما أنكروا وما عابوا لعلة من العلل إلاّ لإغناء الله إياهم، فلقد كانوا حينما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة في غاية من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم.

والإغناء من شأنه أن يكون صفة مدح، ولكنه مع هؤلاء صفة ذم لأنه اقترن بالنكران والجحود، ولاشك أن الاغناء مع النكران والجحود يدل على طبع ردئ وخسة وهذا من صفات الذم، فلما استثنى ذلك من قوله ﴿وما نقموا﴾ تأكد الذم على وجه أبلغ، إذ المقام يقتضي التنفير من صفات المنافقين وشدة التحذير من مكرهم.

فلان غشاش إلا أنه كذاب.

وفلان جاهل إلاّ أنه حقود.

ففي قولنا الأول قد أثبت المتكلم صفة الغش لفلان وهي صفة ذم، ثم أتى بأداة استثناء فخيّل للسامع أن المتكلم سيأتي بصفة مدح، ولكنه فوجئ بصفة ذم أخرى وهي إثبات الكذب، ومن هنا جاء التأكيد لكونه ذما على ذم.

ومثل ذلك المثال الثاني: من إثبات صفة الذم وهي الجهل لفلان من الناس ثم أتى المتكلم بأداة الاستثناء فخيل للسامع أن المتكلم سيأتي بصفة مدح، ولكنه فوجئ بصفة ذم أخرى وهي إثبات الحقد، ومن هنا جاء التأكيد لكونه ذماً على ذمّ.

فالتأكيد في هذا النوع من وجه واحد ـ كما عُلِم في النوعِ الثاني من تأكيد المدح بما يشبه الذم مع الاختلاف في الغرض ومن هذا النوع أيضاً قولنا:

الجاهل عدو نفسه لكنه صديق السفهاء.

---

(١) التوبة ٧٤.

فالاستدراك بلكن في باب تأكيد الذم بما يشبه المدح كالاستثناء تماماً، ومثله قول الشاعر:

يا حبيب الإله جُد لي بقرب ... منك يا صفوة العزيز الرحيم
يا رسولا أعداؤه أرذل النا ... س جميعا لكنهم في الجحيم

النوع الثالث: أن يؤتى بالاستثناء المفرغ في أول الأمر كقولنا:

لا يستحسن من الكذاب إلاّ الغش،

لا يحمد من السفيه إلاّ التبذير،

لا يحمد لقاطع الرحم إلاّ سبّه لأقاربه.

وهذا النوع على نسق النوع الثالث في باب تأكيد المدح بما يشبه الذم، مع الاختلاف في الغرض المقصود.

الاستتبـــاع [1]

الاستتباع: هو استفعال، من تتبع الرجل إذا اقتفى أثره.

وفى الاصطلاح:

هو أن يذكر الناظم أو الناثر معنى مدح أو ذم أو غرض من أغراض الشعر، فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضى زيادة فى وصف ذلك الفن.

كقول المتنبى:

نهبتَ من الأعمار مالو حويته   لهنئت الدنيا بأنك خالد

والمعنى: أخذت على وجه القهر والاختطاف من الأعمار لو ضممتها إلى عمرك لكنت خالداً لآخر الدنيا، فواضح أن الشاعر مدح صاحبه ببلوغه النهاية فى الشجاعة إذ كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم لخلد فى الدنيا على وجه استتبع مدحه بكونه سبباً لصلاح الدنيا ونظامها، حيث جعل الدنيا مهنأة بخلوده، وفيه وجهان آخران أحدهما: أنه نهب الأعمار دون الأموال، وهذا ينبئ بعلو الهمة، والثانى: أنه لم يكن ظالماً فى قتلهم، إذ لو كان كذلك لما كان لأهل الدنيا سرور بخلوده [2].

على أنه فى قوله "لهنئت الدنيا بأنك خالد" فيه مبالغة، فإن أعمار المقتولين وإن تكاثرت متناهية، والتناهى لا يجامع الخلود الذى لا نهاية له إلاّ أن يريد بالخلود المكث الطويل على حدّ قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ النساء ٩٣.

ومثله قول الشاعر:

إلى كم ترد الرسل فيما أتوا به   كأنهم فيما وهبت ملام

---

(١) انظر الايضاح ٧٨/٦،
خزانة الأدب ٣٩٤/٢،

(٢) انظر: عروس الأفراح ٣٩٨/٤.

فمدحه بالشجاعة إيماء، وألغز في ردّ الرسل عما أتوا به وصدهم عن مطلوبهم والتهاون برسلهم، واستتبع في آخر البيت مدحه بالكرم، لعصيان الملام في الهبات.

وكقول الخوارزمي:

سمح البديهة ليس يمسك لفظه ... فكأنما ألفاظه من ماله

فإنه مدحه بذلاقة اللسان على وجه استتبع الكرم.

وكقول صفي الدين في بديعيته:

الباذلوا النفس بذل الزاد يوم قرى ... والصائنوا العرض صون الجار والحرم[1]

فمدحهم ببذل النفس وصيانة العرض والجار والحرمات على وجه استتبع الكرم لبذلهم الطعام وقت المجاعة.

ومثل ذلك:

تجرى دماء الأعادى من سيوفهم ... مثل المواهب تجرى من كفوفهم

فمدحهم بالشجاعة فهم كثيروا القتل للأعداء حيث تسيل دماء أعدائهم من سيوفهم واستتبع ذلك كرمهم الفياض من كفوفهم.

ومن ذلك قول الشيخ عز الدين:

يستتبعون ببذل العلم بذل ندى ... ويحفظون المعالى حفظ عرضهم

هم قوم يبذلون العلم لكثرته لديهم فهم علماء وكرماء، ويحفظون معالى الأمور حفظهم لعرضهم.

فبذلهم العلم استتبع الكرم لما فيهما من عطاء فياض.

---

(١) القرى: إطعام الضيوف، ويوم القرى: يوم المسغبة أو يوم الحاجة.

ومن ذلك بيت ابن حجه الحموي:" [1]

يحمـون مسـتتبعين العفـو إن ظفـروا ويحفظـون وفـاهم حفـظ دينهـم

فيمدحهم بالقوة والسطوة لظفرهم بالأعداء مستتبعين العفو برغم قدرتهم عليهم.

فهم يحفظون الوعود ويوفون بها حفظهم لدينهم ووفاء به.

(١) انظر: خزانة الأدب ٢/٣٩٥.

الإدمـــاج

وهو إفعال من قولهم أدمج حديثه إذا أدخل بعضه في بعض.

وفي الاصطلاح:

وهو أن يضمن كلام سبق لمعنى آخر، فهو أعم من الاستتباع [1]. وسماه أبو هلال المضاعفة: لأن الكلام يتضمن معنيين: معنى مصرح به، ومعنى كالمشار إليه وذلك المضاعفة [2] مثل قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لاَ يَعْقِلُونَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لاَ يُبْصِرُونَ﴾ يونس ٤٢ ، ٤٣.

فالمعنى المصرح به في هذا الكلام أنه لا يقدر أن يهدى من عمي عن الآيات، وصم عن الكلم البينات، بمعنى أنه صرف قلبه عنها فلم ينتفع بسماعها ورؤيتها، والمعنى المشار إليه أنه فضل السمع على البصر، لأنه جعل مع الصمم فقدان العقل ومع العمى فقدان النظر فقط.

وكتب الحسن بن وهب:

"كتابي إليك، وشطر قلبي عندك والشطر الآخر غير خلو من تذكرك، والثناء على عهدك، فأعطاك ا لله بركة وجهك، وزاد في علو قدرك، والنعمة عندك وعندنا فيك".

فقوله "بركة وجهك" فيه معنيان: أحدهما أنه دعا له بالبركة، والآخر أنه جعل وجهه ذا بركة عظيمة، ولعظمها عدل إليها في الدعاء عن غيرها من بركات المطر وغيره.

وبهذا قد أدمج المتكلم غرضاً له في ضمن معنى قد نحاه من جملة المعاني ليوهم السامع أنه لم يقصده، وإنما عرض في كلامه لتتمة معناه الذى قصد إليه [3] كقول أبي العيناء:

---

(١) انظر: الايضاح ٧٩/٦.

(٢) انظر الصناعتين ٤٢٣.

(٣) انظر: خزانة الأدب ٤٨٤/٢.

"سألتك حاجة فرددت بأقبح من وجهك".

فتضمن هذا اللفظ قبح وجهه وقبْح ردِّه.

ومن ذلك قول الأخطل:

قــوم إذا اســتنبح الأضيــاف كلبهــم قــالوا لأمهــم بــولى علـــى النـــار

فأخبر عن اطفاء النار، فدل به على بخلهم، وأشار إلى مهـانتهم، ومهانـة أمهـم عندهم.

ومن لطيف الإدماج قول ابن بناته السعدى:

ولابــد لى مــن جهلــة فـــى وصالـــه فهـل من حليم أودع الحلـم عنـده

فأدمج الفخر فى الغزل، فجعل حلمه لا يفارقه، ولا يرغب عنه بنفسه جملة، وإنما عزم على أن يودعه، إذ كان لابد له من وصل هـذا المحبوب لأن الودائع تستعاد، ثم استفهم استفهاما إنكارياً عن الخل الذى يصلح لهذه الوداعة، فيكون مفهوم الخطاب بقى حلمه لعدم من يصلح للوداعة، ثم ادمج فى ضمن الفخر الذى أدمجه فى الغزل شكوى الزمان لقلة الاخوان بحيث إنه لم يبق منهم من يصلح لهذا الشأن.

هذا ويجعل العلوى الادماج على وجهين[1] الوجه الأول منهما أن يكون ظاهره التهنئة فيدمج شكوى الزمان فيه مثل قول الشاعر:

أبــى دهرُنــا إســعافنا فــى نفوسِــنا وأســعفنا فيمـــن نحـــبُ ونُكـــرمُ

فقلــتُ لــهُ نعمــاك فيهــم أتِمَّهــا ودع أمرنـــا إن الُمهـــمَّ الُمقـــدَّم

فهو يدمج شكوى الزمان وما عليه من اختلال الأحوال فيما يظهره من التهنئة فأحسن الأمر فى ذلك وأجاد فيه كل الإجادة، وتلطف حيث صان نفسه عن ظهور المسألة بالتصريح بها.

أما الوجه الثانى أن يكون الإدماج وارداً فى نوعين من أنواع البديع فينـدرج أحدهما تحت الآخر، ويخالف ما ذكر فى الوجه الأول، فإنه إدماج لأغراض ومقاصد لا غير كقول أحد الأندلسيين:

(١) انظر: الطراز ١٥٧/٣ : ١٥٩.

أأرضـــى أن تصـــاحبني بغيضـــا مجاملـــةً وتحْملنــــى ثقيــــلا
وحقــك لا رضيــت بــذا لأنـــى جعلــت وحقــك القسمَ الجليــلا

فأدمج المبالغة فى القسم وجعله مندرجاً تحتها، لأن المبالغة ظـاهرة فـى البيـت، لكن القسم غير ظاهر، لأنه لم يقل (وحياتك) إنما قال: (وحقك القسم الجليلا) فلهذا كان القسم مدمجاً فى المبالغة، فقد أدمج الغزل فى العتاب وهما من الفنون الشـعرية، والمبالغة فى القسم وهى من البديع.

هذا ومن شواهد الادماج فى الكتاب العزيز قول الله عز وجل: [1]

﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالأْخِرَةِ﴾ القصص ٧٠

فقد أدمج الله عز وجل المبالغة فى الحمد فـى ضمـن المطابقـة، إذ أفـرد نفسـه سبحانه وتعالى بالحمد حيث لا يحمد سواه إذ قال وهو أعلم: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَـى وَالآخِرَةِ﴾

هذا ولقد سمى ابن منقذ هذا اللون من البديع باب التعليـق والإدمـاج[2] وقـد فـرق ابـن أبـى الإصبـع[3] بـين التعليـق والادمـاج بـان التعليـق يُصـرح فيـه بـالمعنيين المقصودين على شدة اتحادهما، والادماج يصرح فيه بمعني غير مقصود قد أدمج فيـه المعنى المقصود.

(١) انظر: تحرير التحبير ٤٥١.
(٢) انظر: البديع لابن منقذ ص ٥٨.
(٣) انظر: تحرير التحبير ص ٤٥١.

التوجيـــه

التوجيه: مصدر، توجه إلى ناحية كذا، إذا استقبلها وسعى نحوها.

وفى الاصطلاح:

أن يقول المتكلم كلاما يحتمل معنيين متضاديين، لا يتميز أحدهما على الآخر. ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد ذلك، بل يقصد ابهام الأمر فيهما قصدا [1].

والابهام لا يكون إلاّ في الجمل المركبة المفيدة، ويختص بالفنون الشعرية كالمديح والهجاء وغيرهما ولا يفهم من ألفاظ الإبهام مدح ولا هجاء ألبته، بل يكون لفظه صالحاً للأمرين، وإن لم يكن فيه من لفظ المدح والهجاء شئ.

كقول الله عز وجل مبيّنا حال اليهود وموقفهم من الدعوة والداعي:

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ النساء ٤٦.

ليا بألسنتهم: أى فتلا بها وتحريفا فيفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقا، أو يلوون لسانهم.

راعينا وهى كلمة سب من الرعونة والحمق.

والمعنى أن من هؤلاء اليهود فريق يبدلون كلام الله فى التوراة ويفسرونه بغير مراد الله قصداً وعمداً فقد غيّروا نعت سيدنا محمد ﷺ وأحكام الرجم وغير ذلك ويقولون له: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ إذا دعوتهم للإيمان أى سمعنا قولك وعصينا أمرك ولا نطيعك فيه ـ وهذا أبلغ فى الكفر والعناد ـ ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ أى اسمع ما نقول لا سمعت وهو قول ذو وجهين: يحتمل الخير والشر وأصله للخير أى لا سمعت مكروها ولكن اليهود الخبثاء كانوا يقصدون به الدعاء على الرسول ﷺ: أى لا

---

(١) انظر: تحرير التحبير ٥٩٦ تحت عنوان الابهام.، ويعرفه الخطيب بقوله: هو إيراد الكلام محتملا لوجيهين مختلفين.
انظر: الايضاح ٨١/٦.

أسمعك الله وهو دعاء بالصمم أو بالموت ﴿وَرَاعِنَا﴾ أى ويقولون فى أثناء خطابهم راعنا وهى كلمة سب من الرعونة وهى الحمق، فكانوا يسخرون ويهزءون برسول الله ﷺ يكلمونه بكلام محتمل: ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام، ولهذا قال تعالى: ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ أى فتلا وتحريفا عن الحق إلى الباطل وقدحاً فى الإسلام، وهذا موجود حتى الآن فى اليهود، فهم يربون أولادهم الصغار على ذلك ويحفظونهم ما يخاطبون به المسلمين مما ظاهره التوقير ويريدون به التحقير.

ففى الآية الكريمة توجيه لاحتمال الوجهين المتضادين: الذم والمدح فى: فالذم باسمع أى مدعو عليك ـ بلا سمعت ـ أو اسمع: غير مجاب ما تدعو إليه فكأنك لم تسمع شيئا، أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه.

ويحتمل المدح: أى اسمع غير مسمع مكروها.

وفى قولهم: ﴿رَاعِنَا﴾ يحتمل وجهين:

يحتمل راعنا نكلمك أى ارقبنا وانتظرنا.

ويحتمل شبه كلمه عبرانيه أو سريانية كانوا يتسابون بها، فكانوا ينوون بها السب والاهانة لرسول الله ﷺ ـ قاتلهم الله أينما كانوا ـ ويظهرون به التوقير والاحترام.

فـ "غير مسمع" و "راعنا" تحتمل الذم والمدح.

ومن التوجيه[1] ماحكى أن بعض الشعراء هنأ الحسن بن سهل بصهر المأمون مع من هنأه، فأثاب الناس كلهم وحرمه، فكتب إليه: إن أنت تماديت على حرمانى عملت فيك بتياً لا يعلم أحد أمدحتك فيه أم هجوتك؟

فاستحضره وسأله عن قوله، فاعترف، فقال: لا أعطيك أو تفعل، فقال:

بارك الله للحسن وبوران فى الختن[2]
يا إمام الهدى ظَفِرْت ببنت من

فلم يعلم أراد بقوله: (ببنت من) فى الرفعة أو فى الضعة؟

---

(١) انظر: تحرير التحبير ٥٩٧.
(٢) الختن: كل من كان من قبل المرأة مثل الأب أو الأخ.

فاستحسن الحسن منه ذلك وناشده، أسمعت هذا المعنى أم ابتكرته؟ فقال لاوالله، إلا نقلته من شعر شاعر مطبوع كان بعث به، ففصل قباء عند خياط أعور اسمه زيد، فقال له الخياط على طريق العبث به: سآتيك به لا يدرى أقباء هو أم دُوّاج[1] فقال الشاعر: لئن فعلت لأعملن فيك بيتًا لا يعلم أحد ممن سمعه أدعوت لك فيه أم دعوت عليك؟

ففعل الخياط فقال الشاعر:

جاء من زيد قباءُ ليت عينيه سواء

فما علم أحد هل أراد أن الصحيحة تساوى السقيمة أو العكس. فاستحسن الحسن صدقه أضعاف استحسانه حذقه وأضعف جائزته.

هذا والملاحظ أن ابن حجه الحموى يضع تلك الأمثلة السابقة تحت باب "التوجيه" ثم يعلق على الأمثلة بأن تسمية النوع "التوجيه" هنا بالإبهام أليق من تسميته بالتوجيه، وهذا مذهب ابن أبى الإصبع فإنه هو الذى تخير الابهام ونزل عليه هذه الشواهد واختصر التوجيه من كتابه وقال فى ديباجته: وربما أبقيت اسم الباب وغيرت مسماه إذ رأيت اسمه لا يدل على معناه.

والسكاكى ومن تبعه سموا هذا النوع: التوجيه ونسج الناس على منوالهم إلى أن تخير ابن أبى الإصبع نوع الإبهام وقرر له الشواهد التى هى أليق به من التوجيه ويقول ابن حجة ولم أسمع من شواهد الإبهام غير البيت المنظوم فى الخياط والبيتين المنظومين فى الحسن بن سهل، وهذا النوع صعب المسلك فى نظمه، لأن المراد من الناظم أن يبهم المعينين، بحيث لا يكاد أحدهما يترجح على الآخر[2].

(١) القباء: ثوب يلبس فوق الثياب، دواج كرمان: لحاف يلبس.
(٢) انظر: خزانة الأدب ١/٣٠٣.

الهزل الذى يراد به الجد

هو من المحسنات المعنوية، ويذكر الخطيب القزوينى أن تسميته تغنى عن تعريفه[1] ولذلك لم يعرفه، واكتفى فيه بالمثال.

وقال ابن الاثير [2]:

"هذا الباب من نعوت الألفاظ، وحقيقته أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمه فيخرج ذلك مخرج المجون. مثال ذلك قول أبى ولامة .. لما خرج فى جنازة عمة المنصور وجلس على القبر ينتظر مواراتها، فقال له المنصور: ما أعددت لهذه الحفرة؟ فقال: عمة أمير المؤمنين.

ويتفق ابن أبى الإصبع وابن حجة فى توضيح الهزل الذى يراد به الجد فيقول ابن أبى الإصبع عنه: هو أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمه، فيخرج ذلك المقصود مخرج الهزل المعجب، والمجون المطرب، كما فعل أصحاب النوادر مثل أشعب وأبى دلامة وأبى العيناء ومزيد ومن سلك سبيلهم. [3] حكى عن أشعب أنه حضر وليمة بعض ولاة المدنية، وكان رجلاً بخيلاً، فدعا الناس ثلاثة أيام وهو يجمعهم على مائدة فيها جدى مشوى، فيحوم الناس حوله ولا يمسه أحد منهم، لعلمهم ببخله، وأشعب كان يحضر مع الناس ويرى الجدى، فقال فى اليوم الثالث: زوجته طالق إن لم يكن عمر هذا الجدى بعد أن ذبح وشوى، أطول من عمره قبل ذلك.

ومن شواهد الهزل الذى يراد به الجد قول أبى العتاهية:

أرقيك أرقيك باسم الله أرقيكا ... من بخل نفسك علّ الله يشفيكا

ما سلم كفك إلاّ من يناولها ... ولا عدوك إلاّ من يرجيكا

فالشاعر يرقى هذا الرجل لعل ا لله يشفيه من بخل نفسه، فظاهر الكلام الهزل ولكن المراد به الجد لأن هذا الرجل حقير فهو يحمل بين جنبيه نفسا بخيلة.

---

(١) انظر: الايضاح ٨٣/٦.
(٢) جوهر الكنز لابن الاثير ص ٢١١.
(٣) انظر تحرير التحبير ١٣٨.

وأول من فتح هذا الباب امرؤ القيس بقوله:

أيقتلنـــي والمشـــرفي مضـــاجعي ومســـنونة زرق كأنيـــاب أغـــوال
وقـد علمـت سلمـي وإن كـان بعلهـا بـأن الفتـى يهـذى وليـس بفعـال

فقوله: وإن كان بعلها "جملة معترضة بين علمت" ومفعولها، والبعل: الزوج، وقوله يهذى: معناه يقول كلاما غير معقول وهو زعمه أن زوجها يقتله.

والشاهد في قوله: أن الفتى يهذى، وليس بفعال ظاهره هزل، ولكنه يريد به الجد وهو هجو بعلها.

وقال أبو نواس:

إذا مـا تميمـيٌ أتـاك مفـاخراً فقل عَدِّ عن ذا كيـف أكلُـك للضـبِّ

والضب: حيوان صغير ذنبه كثير العقد، عد: أمر من عداه جعله يتعدى الشيء، أى اترك هذا الأمر.

فهذا كلام هزل فى أصله، لأنه لو أتاك إنسان مفاخراً وخاطبته غير مفاخر فى مجلس ممن تريد المطايبة معهم والمضاحكة، قلت: إذا أتاك فلان مفاخراً فقل له اترك عنك هذا كيف أكلك للضب كان هزلا، لأنه إنما يقصد به الضحك والمطايبة ولكن مقصود الشاعر به الجد، وهو ذم للتميمى بأكل الضب وأنه لا مفاخرة له مع كونه يرتكب أكل الضب الذى يعافه أشراف الناس(١).

ويذكر ابن حجة أن هذا النوع من المحسنات المعنوية، ما سبكه فى قواليه إلاَّ من لطفت ذاته، وكان له ملكة في هذا الفن وحسن تصرف. ويحكى أنه من أظرف ما وقع فى هذا الباب أنه حصل له بالديار المصرية جرب أشرف منه على التلف. فوصف له الطبيب بطيخاً، وهو عزيز الوجود فى تلك الأيام، وبلغه أنه أهدى إلى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية بطيخ فكتب إليه:

مـولاى عـاقبنى الزمـان بجربـةٍ وقـد انقطعـت بجسـمى المسـلوخ

(١) مواهب الفتاح ٤/٤٠٣.

وعميت من حزني على ما تم لي لكن شممت روائح البطيخ

فالكناية على طلب البطيخ سبكت في أحسن قوالب الهزل، مع حسن التضمين.

ومثله:

جاء الشتاء فرأسي والجسم صارا شماته

بطيلسان ابن حرب وفروة ابن نباته

ففي طبلسان ابن حرب وفروة ابن نباته، مع مافيهما من الهزل الظاهر. كنايتان عن الفقر الذي تزايد حدّه، وطيلسان ابن حرب معروف لشهرته. وأما فروة ابن نباته ففيها إشارة إلى قوله:

زرقة جسمي وبياض ثلجها سنجابي الأبلق في فصل الشتا

الطبلسان: نوع من اللباس الفارسي المزركش الأخضر وهو لباس العلماء.

سنجابي: ثوبي ذي اللون السنجابي، والسنجاب حيوان لونه أزرق تشوبه غبره، وهو أكبر من الجرذ وأصغر من الهر.

الأبلق: المختلف الألوان.

ومثل ذلك أيضاً:

وصاحب تسمح لي نفسه بغدوة لكن إذا ما انتشا

يضحك سنيّ للغدا عنده لكنني أقلع ضرسي للعشا

فيه على الهزل الذي يراد به الجد، زيادة تلطف الاستدراك ومراعاة النظير، وبين الهزل الذي يراد به الجد وبين التهكم فرق لطيف هو أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل، وهذا النوع بالعكس.

تجاهل العارف (١)

هذا الفن البديعي ورد كثيراً في القرآن الكريم ولذلك لم يستحسن السكاكي تسميته بتجاهل العارف تأدبا مع الله عز وجل، فابتكر له اسما آخر يليق بكلام الله تعالى وهو سوق المعلوم مساق غيره، والأحسن ما قاله السكاكي، وإن لم يغير ذلك من جوهر المعنى المراد بتسميته تجاهل العارف، وقد سماه أبو هلال تجاهل العارف ومزج الشك باليقين(٢).

وقيل إن فيه إرخاء للعِنان(٣)، والتجاهل مقول على هذا النوع من جهة أن فيه ضربا من التغاضي والمسامحة والمجاملة، وهو إخراج القول مخرج الجهل وإيرادُه مورد التشكيك في اللفظ دون الحقيقة لضرب من المسامحة وحسم العناد، قال أبو الاسود:

أحب محمداً حبا شديدا وعباساً وجعفرَ والوَصِيَّا
فإن يك حبُّهم رشداً أُصِبْه وليس بضائرى إن كان غيا

بلغ ذلك معاوية فقال: "شك أبو الأسود"، فقال أبو الاسود: "ليس كما قال، وإن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٤).

أترى أنه كان شك في ضلال الكفار.

وهذا التمثيل من أبي الأسود صحيح لاتحاد الصورتين وارتقائهما معاً إلى هذا النوع من إجراء الكلام على الشك في اللفظ فقط دون الحقيقة لقصد الإغضاء وحسم العناد. وهذا كله من الكلام الرائق البديع، والمبالغة الحسنة والقول الجزل الفصيح، وبليغ الحجاج القاطع للنزاع والحاسم للعناد، بما فيه من التعريض والتورية والواصل إلى الغرض والغلبة وفلّ شوكة المخالف بأهون الهوينى وأقلّ العمل.

ومن ذلك يتضح أن لتجاهل العارف أسرارا بلاغية لأنه سؤال المتكلم عما يعلمه

(١) انظر: تحرير التحبير ص ١٣٥،
الايضاح ٨٤/٦
(٢) الصناعتين ٣٩٦.
(٣) الطراز ٨٠/٣. المنزع البديع: ص٢٧٧، ٢٧٨.
(٤) سورة سبأ آية ٢٤.

حقيقة تجاهلا منه به لُيخرج كلامه مخرج المدح أو الذم أو ليدل على شدة التدله في الحب أو لقصد التعجب أو التقرير أو التوبيخ أو التعريض أو التحقير أو لإيناس.

فمن المدح كقول البحترى في الفتح بن خاقان:

ألمع برق سرى أم ضوء مصباح   أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي

فهو يعلم أن البريق واللمعان من ابتسامتها وإشراق ثغرها ولكنه ادعى أن الأمر اشتبه عليه فتساءل عن البريق: هل هو لمع برق؟ أو ضوء مصباح؟ أو ابتسامتها؟ وهو يشير بذلك إلى شدة جمالها فبلغت من الجمال مقداراً جعلته لا يعرف من أين جاء هذا الاشراق؟ ومن أين حدث هذا البريق؟

ومن هذا النوع ما كتبه أبو هلال العسكرى وبعث به إلى بعض أهل الأدب:

"سمعت بورود كتابك فاستفزنى الفرح قبل رؤيته، وهز عطفى المدح أمام مشاهدته. فما أدرى أسمعت بورود كتاب أم ظفرت برجوع شباب ولم أدر ما رأيت أخط مسطور أم روض ممطور وكلام منثور أم وشى منشور. ولم ادر ما أبصرت في أثنائه. أأبيات شعر أم عقود در. ولم أدر ما حملته. أغيث حل بوادى ظمآن أم غوث سيق إلى لهفان[1].

فأبو هلال يعلم ما ورد إليه في الرسالة ولكنه مزج الشك باليقين، فساق المعلوم مساق المجهول وتساءل عمّا بداخلها من معانٍ جميلة، مشيراً بذلك إلى مدحها ومبالغاً فيه.

ومما جاء في الذم كقول زهير:

وما أدرى وسوف إخال أدرى   أقوم آل حصن أم نساء

فالشاعر يعلم أن آل حصن رجال، ولكنه تجاهل ذلك وكأنه لا يعرفه، فتساءل هل هم رجال أو نساء، ففى نظره صار الرجال كالنساء.

ومثل ذلك قول المتنبى يهجو قبيله كليب لمّا هزمهم سيف الدولة:

ومن في كفه منهم قناة   كمن في كفه منهم خضاب

---

(١) الصناعتين ٣٩٦.

وفى هذا ذم كبير بالغ شنيع لهؤلاء القوم.

ومما جاء من التدله فى الحب كقول الشاعر العرجى:

بـالله يـا ظبيـات القـاع قلـن لنـا   لبلاى منكـن أم ليلـى مـن البشـر

فالشاعر يعلم أن ليلى من البشر، لكنه تجاهل ذلك وتظاهر بأنه لايدرى وليؤكد ذلك التجاهل توجه بسؤاله إلى الظبيات، وهو يرمى من وراء ذلك إلى التعبير عن ذهوله ومدى سيطرة حبها عليه حتى أفقدته صوابه، وحتى أصبح لايدرى أهى إنسانة من بنات حواء أم هى ظبى من الظباء؟.

ومما جاء فى التعجب: كقوله تعالى: ﴿أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾(١).

وكقوله الشاعر:

أرى خلـل الرمـاد وميـض جمـر   ويوشـك أن يكـون لـه ضـرام
فـإن النـار بـالزندين تـورى   وإن الحـرب أولهـا كـلام
أقـول مـن التعجـب ليـت شعـرى   أأيقـاظ أميـة أم نيـام

وما جاء بغرض التقرير كقوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(٢).

وكقوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ﴾(٣).

وقول الله عز وجل: (قالوا يا شعيب: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾(٤).

ومنه قول جرير:

ألستـم خيـر مـن ركـب المطايـا   وأنـدى العالميـن بطـون راح

---

(١) القمر ٢٤.
(٢) المائدة ١١٦.
(٣) الانبياء ٦٣.
(٤) هود ٨٧.

ومن التوبيخ كقول الشاعرة ليلى بنت الشيباني ترثى أخاها:

أيا شجرة الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف

فهي لشدة حزنها على أخيها تسأل شجر الخابور وتلومه على إيراقه واخضراره وتطلب منه أن يشاركها في مأساتها وجزعها على أخيها الذى بعد صيته وعلا ذكره.

ومن الشعر قول حسان:

اتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

ومما جاء في التعريض كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1] فالله ورسوله أعلم بمن هو على هدى ومن هو على ضلال، ولكنه أرادَ سبحانه التعريض بعدم اهتدائهم، وأراد منهم أن يتفكروا في انفسهم وحال النبى والمؤمنين وحالهم من عاداتهم الجاهلية التى تشمئز منها النفوس وذلك لبى نسائهم بعد الحروب واستباحه أموالهم وقطع الأرحام وقتل النفوس التى حرم الله وشرب الخمر وارتكاب الفواحش، فهم علموا أنهم على الضلالة وأن النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على الهدى، فيدفعهم ذلك إلى الاسلام.

ومن أمثلة ذلك في التحقير:

كقوله تعالى حكاية عن الكفار في حق النبى صلى الله عليه وسلم: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2] فالكفار يعرفون كل شيء عن النبى ﷺ ويعلمون أنه على حق وهدى وهم على الضلال والباطل ولكنهم تجاهلوا هذه المعرفة وتناسوا علمهم بهذا فقالوا ما قالوه وهم يقصدون الرسول ﷺ وكأنهم لم يعرفوا عنه شيئا فهو رجل عادى ــ قاتلهم الله ــ.

وكقول الشاعر:

يقولون هذا عندنا ليس ثابتا ... ومن أنتم حتى يكون لكم عند؟

(١) سبأ ٢٤.
(٢) سبأ ٧.

ومن أسرار بلاغه تجاهل العارف كما جاء فى الإيناس كقوله تعالى:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى﴾(1).

فيقف موسى عليه السلام فى موقف رهيب أمام الله، فأراد الله عز وجل أن يسأله عما فى يده ليؤنسه ويزيل رهبته وخوفه ويملأ قلبه طمأنينة، لأنه عز وجل يعلم ما فى يده بل وما تكنه نفس موسى.

هذا إلى جانب غيره من النكات البلاغية التى يدركها المتذوق للأدب، اللّماح ويساعده على ذلك القرائن ودلالة الأحوال.

وبهذا نرى أن النكات البلاغية التي اتضحت من تجاهل العارف تدل على المبالغة في المعانى، وتصورها تصويراً دقيقاً جيداً فتثبت فى الذهن وتقع فى القلب الموقع الملائم لها وتؤدى الغرض الذى سيقت من أجله.

(1) طه ١٧.

القول بالموجب

القول بالموجب: بكسر الجيم، اسم فاعل، لأن المراد به الصفة الموجبة للحكم، وبفتح الجيم: اسم مفعول، إن أريد به القول بالحكم الذى أوجبته الصفة، والمراد بالقول اعتراف المتكلم بالصفة الموجبة للحكم فى كلام المخاطب مع كونه نافيا لمقصوده من اثباتها لغير من أثبتها له المخاطب، أو مع حمل كلامه على خلاف مقصوده[1].

وهو ضربان[2].

أحدهما: أن تقع صفة من كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم، فتثبت فى كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء، من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم وانتفائه، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المنافقون ٨.

يحكى القرآن الكريم المقالة الشنعاء التى قالها عبد الله بن أبى رأس المنافقين وعنى بالأعزّ نفسه ومن معه، وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه، ثم ردّ الله سبحانه ــ على قائل تلك المقالة فقال عز وجل ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون ٨) أى القوة والغلبة لله وحده ولمن أفاضها عليه من رسله وصالحى عباده لا لغيرهم.

فقد حكت الآية الكريمة عن المنافقين كلاما وقعت فيه صفة هى لفظ "الأعز" كناية عن فريق المنافقين، كما أن لفظ "الأذل" فى زعمهم كناية عن فريق المؤمنين، وأثبتت فيه لفريق المنافقين الذى هو المكنى عنه حكم الإخراج من المدينة لعزته فى زعمهم، فأثبت الله تعالى فى الردّ عليهم العزة التى هى مضمون تلك الصفة لغير فريقهم بقوله: "ولله العزه ولرسوله وللمؤمنين"، فقد ردت الآية عليهم بأن العزة تناسب الإخراج كما قلتم لكن ليست لكم، بل العزة لله ثم لرسوله ثم للمؤمنين لا لفريقكم، ويلزم منه إثبات الذلة للمنافقين، ولزوم ثبوت العزة كون صاحبها هو

---

(١) حاشية الدسوقى ضمن شروح التلخيص ٤/٤٠٦.

(٢) انظر: الايضاح ٦/٨٦.

المخرج ـ بكسر الراء ـ وثبوت الذلة كون صاحبها المخرَج بفتحها، ولم تتعرض الآية لإثبات الحكم ولا لنفيه، ولكن فهم بالالتزام، فكان الكلام من القول بالموجب.

ومنه قول القبعثرى للحجاج لّما توعده فقال: لأحملنك على الأدهم، والمراد به: القيد، فرأى القبعثرى أن الأدهم يصلح للقيد والفرس، فحمل كلامه إلى الفرس، وقال مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، فصرف الوعيد بالهوان إلى الوعد بالإحسان، وفي هذا ما لا يخفى على المتأدب من حسن التلطف وشدة الباعث على فعل الخير، إذ لا يليق بمن له همة عالية أن يقال له: مثلك من يفعل الخير، فيقول: لابل أفعل الشر(١).

والثانـي:

حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه (٢) أو إجابة السائل بغير ما يطلبه، تنبيهاً له على أن هذا هو الأولى بأن يراد أو يسأل، كقول ابن الحجاج:

قلت ثقلت إذ أتيت مراراً	قال ثقلت كاهلى بالأيادى
قلت طولت قال لا بل تطولـ	ـت وأبرمت قال حبل ودادى

فإن صاحب ابن الحجاج يقول له: لقد ثقلت عليك وحملتك المشقة بكثرة زياراتى فيصرفه الشاعر عن رأيه في أدب وظرف، وينقل كلمته من معناها إلى معنى آخر، ويقول له: إنك ثقلت كاهلى بما أغرقت عليّ من نعم سابغه.

ويقول صاحبه: قد طولت إقامتى عندك وأبرمتك، اى جعلتك برماً ملولا، فيرد الشاعر عليه مرة أخرى في أدب ولطف، وينقل كلامه من معناه إلى معنى آخر، ويقول له: إنك تطولت وأنعمت علي، وأحكمت وقويت حبل ودادى.

هذا والاستشهاد بقوله "ثقلت وأبرمت، دون قوله "طولت"، فليس من القول بالموجب، لأنه ردّ عليه بقوله "لا" وأثبت شيئاً آخر هو التطول، وهو غير التطويل(٣).

---

(١) انظر: خزانة الادب ٢٥٨/١.

(٢)انظر: الايضاح ٨٧/٦.

(٣) عروس الأفراح ٤٠٩/٤.

ومن إجابة السائل بغير ما يطلبه قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ البقرة ١٨٩.

فالسؤال عن سبب اختلاف القمر، وكيف أنه يبدو دقيقاً، ثم يتزايد حتى يكتمل، ثم يتناقص كذلك حتى يعود كما بدأ، وكان مقتضى الظاهر أن يجاب السائل ببيان هذا السبب، ولكنه أجيب ببيان الحكمة والغرض من هذا الاختلاف في قوله: ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ يريد أن الأهلة معالم للناس بها تتوقت شاعائرهم الدينية من حج وصيام وغيرهما تنبيهاً للسائل على أن هذا هو الأجدر والأحرى أن يسأل عنه.

واختلاف القمر يتحقق به نهاية كل شهر، فيتميز كل شهر عمّا سواه، ويجتمع من ذلك اثنا عشر شهراً هي مجموع العام، ويتميز كل عن الآخر باسمه وخاصته، فيتعين به الوقت للحج والصيام .. وإنما لم يجابوا بذلك لعدم تعلق الغرض به[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ البقرة ٢١٥.

فقد سألوا عن بيان جنس ما ينفقون، أو عن بيان مقداره، أو عن كليهما فكان مقتضى الظاهر أن يجابوا ببيان المصارف، تنبيهاً على أن هذا هو الأحق بالسؤال عنه لأن النفقة لا تجزئ ولا يعتد بها إلاّ أن تقع موقعها، وتصرف في وجوهها.

فقد سألوا عن بيان ما ينفقون، فأجيبوا ببيان المصارف تنبيهاً على أن المهم هو السؤال عنها، لأن النفقة لا يعتد بها إلاّ أن تقع موقعها وكل ما فيه خير صالح للإنفاق[2].

ومن ذلك قول الشاعر:

جاءني ابني يوماً وكنت أراه ... لي ريحانة ومصدر أنس
قال ما الروح؟ قلت إنك روحي ... قال ما النفس قلت إنك نفسي

(١) انظر: مواهب الفتاح ٤/٤٨٢.
(٢) [illegible] ١٢٦ لسعد الدين التفتازاني.

فقد سأل الابن عن الروح والنفس، وهما من الأمور التى حار فى تعريفهما علماء النفس، فصرفه الوالد عن ذلك ببيان منزلته منه إشعاراً بأنه ما كان ينبغى له أن يتكلم فى ذلك لقصوره عن إدراك ما دق من الأمور.

وقيل لشيخ هرم: كم سنك؟ فقال: إنى أنعم بالعافية، ففى الإجابة عن السؤال صرف الشيخ سائله فى رفق ولين عن ذلك، وأخبره أن صحته قوية وموفورة إشعاراً للسائل بأن السؤال عن الصحة أولى وأجدر.

ويقول بهاء الدين السبكى: واعلم أن هذا الضرب الثانى من القول بالموجب هو الأسلوب الحكيم المذكور فى علم المعانى والذى يظهر ذلك قول الشاعر:

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه ∴ قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

لأنه قال بموجب قولهم فأجاب بتعيين المطبوخ كما سألوه، وحمل اللفظ الواقع منهم على غير مرادهم، فإنهم أرادوا حقيقة الطبخ، فحمله على مطلق الصنع الذى هو أعم من الطبخ والخياطة، فطلب فرداً من أفراد ذلك النوع وهو الخياطة وسمّاها طبخا مجازاً[1].

(١) انظر: عروس الأفراح ٤/٤٠٩.

الاطـــراد

الاطراد: مصدر، اطرد الماء وغيره إذا جرى من غير توقف. وفي الاصطلاح: أن يذكر الشاعر اسم الممدوح واسم من أمكنه من آبائه، في بيت واحد على الترتيب، ولا يخرج عن طرق السهولة، ومتى تكلف أو تعسف في بناء بيته، لم يعد اطراداً، فإن المقصود من هذا النوع أن يكون كلام الناظم في سهولة جريانه واطراده كجريان الماء في اطراده، فمتى جاء كذلك دلّ على قوة الشاعر وتمكنه وحسن تصرفه،[1] وهو مخالف لما ذكرته من قبل من الاستطراد[2].

كقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم".

فقد تتابعت فيه الإضافات وسلم من الثقل والاستكراه، وجاء في غاية الحسن والسلاسة[3].

وكقول دريد بن الصمة:

قتلنا بعبد الله خير لداته ... ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب[4]

يقول ابن رشيق: لولا القافية لبلغ به آدم، فهو يريد: أن البيت لابد أن ينتهي بقافيته، ولولا هذا لوصل بنسب إلى هذا الحدّ لسهولة سبكه.

وكقول ربيعه يرثي ابنه:

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم ... بعتيبة بن الحارث بن شهاب[5]

يريد: إن تبجحوا بقتلك، وصاروا يفخرون به، فقد أثرت في عزهم وهدمت أساس مجدهم بقتلك رئيسهم عتيبة بن الحارث.

---

(١) انظر: خزانة الأدب ٣٥١/١.

(٢) انظر: الاستطراد من هذا الكتاب ص ٦٠.

(٣) انظر: حاشية الدسوقي ٤١١/٤.

(٤) عبدالله أخو دريد، لداته: أترابه الذين ولدوا معه، جمع لدة، والمفتول ذؤاب بن ربيعة الشاعر، وتعرضه لشرفه بقوله: خير لداته.

(٥) الثل: الهرم، العرش: يطلق على العز، فثل الله عروشهم: أي هدم ملكهم وهو عزهم.

وهذا اللون البديعي من حسن الصنعة، فالأسماء إذا اطردت دلت على قوة الطبع عند الشاعر، وتتابع الاضافات إذا سلم من الاستكراه ملح ولطف.

ويقول ابن يعقوب، الظاهر أن الاطراد من المحسنات اللفظية لأن مرجعه إلى حسن السبك كما قيل، وقد يقال إلى حسن السبك في معنى مخصوص هو النسب، فللمعنى دخل فيه[1] وبذلك يكون محسناً معنوياً نظراً لأنه في معنى مخصوص.

---

(١) انظر: مواهب الفتاح ٤١٢/٤.

الفصل الثانى

المحسنات اللفظية

أولا: الجناس

الجناس: "بكسر الجيم" لأنه مصدر جانس جناسا، كقاتل قتالا.

أما تعريفه: أن يتشابه اللفظان فى حروفهما مع اختلافهما فى المعنى [1]. وذلك بأن تتحد الكلمتان المتجانستان فى الحروف أو تتقاربا بشرط أن يكون لكل كلمة منهما معنى يختلف عن معنى الكلمة الثانية.

والجناس من الحلى اللفظية والألوان البديعية التى لها تأثير بليغ، تجذبُ السامع، وتحدث فى نفسه ميلا إلى الإصغاء والتلذذ بنغمته العذبة، وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساغة، فتجد من النفس القبول، وتتأثر به أى تأثير، وتقع من القلب أحسن موقع.

والجناس يأتى فى كلام العرب عفو الخاطر ويصدر عن الطبع والفطرة. لا تكلف فيه ولا تصنع، يقول امرؤ القيس:

وإن كنتِ قد ساءتكِ منىِّ خليقَةٌ ... فَسُلِّى ثيابى من ثيابك تَنْسُلِ [2]

ووجد كثير من الجناس فى القرآن الكريم والحديث الشريف، مثل قوله تعالى فى أوصاف حالات احتضار الكفار:

﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ، وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ، وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ القيامة ٢٦ : ٣٠ .

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده".

---

(١) انظر: الايضاح ٦/٩٠.

(٢) الخليقة: الخُلق، نسل الريش ينسل: سقط، والمعنى: إن كان فى خلقى مالا ترضيه. فاقطعى أمرى من أمرك، شبه ذلك بسقوط الطائر.

وكانت تلك الصورة موجودة بمادتها من غير أن تعرف أسماؤها، وظل الحال كذلك حتى تم الامتزاج بين الثقافة العربية والفارسية فى عصر بنى العباس، وتفرغ العلماء للبحث عن الصور البديعة والطريفة، فاكتشفوا الصور البديعية، ومنها الجناس[1].

وأول من تكلم عنه: ثعلب ت ٢٩١ هـ تحت اسم الطباق، وعرفه، وأول من عرفه باسم التجيس هو ابن المعتز ت ٢٩٦ هـ وغلب عليه هذا الاسم، وظل يعرف به إلى يومنا هذا[2].

ويقسم البلاغيون الجناس إلى خمسة أنواع هى: التام والمحرف والناقص، المقلوب وما يشمل المضارع واللاحق، وذلك لأن اللفظين إن اتفقا فى كل شىء من أنواع الحروف وأعدادها وهيآتها وترتيبها فهو التام، وإن اختلفا فى الهيئة فقط فهو المحرف، وإن اختلفا فى زيادة بعض الحروف فهو الناقص، وإن اختلفا فى نوع من الحروف فهو ما يشمل المضارع واللاحق، وإن اختلفا فى ترتيب الحروف فهو المقلوب، وفى كل قسم من هذه الأقسام الخمسة تعريف وتوضيح وتمثيل على النحو التالى.

١ ـ الجناس التام

إذا اتحدت الكلمتان المتجانستان فى أربعة أمور هى:

عدد الحروف، وهيئتها وترتيبها ونوعها.

وذلك بأن يكون العدد فى اللفظين المتجانسين واحداً، لا زيادة ولا نقصان، ولا يعتد "بأل" التى للتعريف لأنها طارئة على الكلمة لتعريفها، وأن تتفق الكلمتان المتجانستان فى الشكل وفى النقط، وأن يكون الترتيب فيهما واحداً، وأن تكون الحروف فيهما من نوع واحد.

فإذا اتفقت الكلمتان فى الأمور الأربعة سمى الجناس تاماً.

كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ الروم ٥٥

(١) انظر: البديع فى ضوء أساليب القرآن ص ١٥٧.
(٢) انظر ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان ص ٥٧٧.

فلفظتا "ساعة" فى الآية الكريمة، قد اتفقنا فى هذه الأمور الأربعة مع اختلافهما فى المعنى، فالمراد بالساعة الأولى القيامة، وبالثانية الساعة الزمنية. وقد صور الجناس شعور المجرمين نحو مدة إقامتهم فى الدنيا، فهى فى نظرهم قصيرة للغاية.

يقول الدسوقى فى حاشيته: أى يحلف المجرمون أنهم مالبثوا فى الدنيا غير ساعة أى إلاّ وقتاً يسيراً من ساعات الأيام الدنيوية[1].

ويتنوع الجناس التام إلى:

أ ـ الجناس التام المماثل

وهو أن تتحد الكلمتان المتجانستان فى الاسمية أو الفعلية أو الحرفية، بأن تكونا اسمين أو فعلين أو حرفين، وهذا النوع من أكمل أصناف التجنيس وأرفعها رتبة.

ومثال الاسمين: كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَار ، يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾ النور ٤٣،٤٤.

فالأبصار فى الآية الأولى معناها البصر أى النظر بالعيون، والأبصار فى الآية الثانية معناها العقول المفكرة الواعية، فالأولى جمع بصر، والثانية جمع بصيرة.

وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم لمّا نازع الصحابة جرير بن عبدا لله فى أخذ زمام ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم أيهم يقبضه، فقال عليه الصلاة والسلام:

"خلوا بين جرير والجرير"

أى دعوا زمامه [2].

وجرير اسم الصحابى المذكور، وجرير الثانية حبل مفتول.

وكقول المخزومى:

حدق الآجال آجال ... والهوى للمرء قتّال[3]

(١) حاشية الدسوقى ٤/٤١٦.
(٢) عروس الأفراح ٤/٤١٦.
(٣) الحدق: واحدة حدقة وهى سواد العين.

يريد أن حدق النساء الشبيهة بحدق الآجال في سعتها وحسنها تقتل من ترميه بسهامها.

فالآجال الأولى جمع "إجل" بكسر فسكون، وهو القطيع من بقر الوحش، والثانية جمع "أجل" بفتح الهمزة والجيم، والمراد به منتهى الأعمار.

وكقول أبي نواس:

عباس عباس إذا احتدم الوغى والفضل فضل والربيع ربيع

ففي البيت جناس تام مماثل في ثلاثة مواضع، الأول في قوله: عباس عباس والثاني في قوله: والفضل فضل، والثالث في قوله: والربيع ربيع.

إذ المراد بعباس الأول عباس بن الفضل الأنصاري من رجال الحديث ولي قضاء الموصل في عهد هارون الرشيد، وبعباس الثاني: صيغة مبالغة من عبس وجهه،

والمراد "بالفضل" الأول هو الفضل بين الربيع بن يونس وزير الرشيد، ثم وزير الأمين، والفضل الثاني بمعنى الشرف والرفعة، والمراد بـ"الربيع" الأول، هو الربيع بن يونس وزير المنصور العباسي، والربيع الثاني بمعنى الخصب والنماء.

والفعلان: كقول البستي:

فهمت كتابك يا سيدي فهمت ولا عجب أن أهيما

فالجناس بين كلمتي: فهمت - فهمت، الأولى من الفهم، والثانية من الهُيام وهو شدة الحب، الشغف والتعلق بالشيء.

هذا والجناس التام المماثل الذي بين فعلين أمثلته نادرة، ولا يوجد له مثال واحد في القرآن الكريم.

ومن قول القائل: قال فلان ثم قال كلمة، فقال الأولى من القيلولة، والثانية من القول.

وقولهم: فلان يضرب في الصحراء فلا يضل، ويضرب في الهيجاء فلا يكل، فالضرب الأول بمعنى قطع المسافة، والثاني بمعنى الحمل على الأعداء.

ومثال الحرفين: كقول الشاعر:

قهرناكم حتى الكمال فأنتم — تهابوننا حتى يبننا الأصاغرا

الجناس بين حتى وحتى. الأولى معناها: التعظيم، والثانية معناها: التحقير والتصغير.

وكما نقول مثلا: من الناس من يعمل من شروق الشمس إلى غروبها، فكلمة "من" فى "من الناس" تفيد معنى التبعيض، أى بعض الناس، وفى "من شروق الشمس" تفيد معنى الابتداء، أى ابتداء من شروق الشمس.

ب ــ الجناس التام المستوفى

وهو أن تختلف الكلمتان المتجانستان فى النوع، بأن تكون إحداهما فعلا والأخرى اسما، أو إحداهما فعلا والثانية حرفا، أو إحداهما اسماً والأخرى حرفا. فمن أمثلة الفعل مع الاسم قول محمد بن كناسة الأسدى فى رثاء ولده يحى.

وسميته يحى ليحيا فلم يكن — إلى ردّ أمر الله فيه سبيل

فالشاعر سمى ابنه يحى تفاؤلا ليعيش فلم تنفعه التسمية وعاجلته منيته.

فالجناس بين يحى ويحيا. الأولى اسم شخص، والثانية فعل بمعنى يعيش.

وكقول أبى تمام يمدح يحى بن عبدالله البرمكى:

ما مات من كرم الزمان فإنه — يحيا لدى يحى بن عبدالله

فالشاعر يريد أنه إذا انعدم الكرم فى هذا الزمان، فإن له مكاناً يوجد فيه وهو عند يحى بن عبدالله.

وكما ترى فإن "يحيا" "فعل مضارع" والثانى اسم الممدوح.

وكقول الشاعر:

إذا رماك الدهر فى معشر — وقد أجمع الناس على بغضهم
فدارهم مادمت فى دارهم — وأرضهم مادمت على أرضهم

ففي البيت الثاني في شطريه جناس تام، يراد بأولهما في الشطر الأول:

فعل أمر من المداراة، وهي المصانعة والمجاراة، ويراد بالثاني المسكن الخاص. وفي الشطر الثاني يراد بأولهما فعل أمر من الإرضاء، ويراد بالثاني الأرض. وهو جناس مستوفى لاتفاقهما لفظا واختلافهما نوعاً ومعنى.

والفعل مع الحرف: كقول الشاعر:

علا نجمه في عالم الشعر فجأة ... على أنه مازال في الشعر شاديا

فالجناس بين "علا" الأولى وهي فعل بمعنى ارتفع و "على" الثانية التي هي حرف جر.

وكقولنا: علا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الأنام، فلفظ "علا" الأول فعل ماض بمعنى ارتفع، والثاني حرف جر.

والاسم مع الحرف: كقولهم: رُبّ رجل شرب رُبَّ رجل آخر". فلفظ "رب" الأول حرف جر، والثاني اسم العصير المستخرج من العنب[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلاّ أجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك".

فالجناس بين "في" وهي حرف جر، و "في" الثانية اسم بمعنى الفم، أي فم امرأتك.

والجناس التام المستوفى الذى يكون بين الفعل والحرف، او بين الاسم والحرف نادر الوجود، وأمثلته فيها نصنعٌ، ولا تشجع على حياته وبقائه. ولكن الجناس التام المستوفى الذى يكون بين الفعل والإسم أمثلته غزيرة ويكثر بين الأدباء[2].

جـ ـ الجناس التام المركب

وهو أن يكون اللفظان المتجانسان مركبين من كلمتين، أو يكون أحدهما مفرداً والآخر مركبا من كلمتين متفقتين في الكتابة، أو مختلفتين فيها، أو أحدهما مفرداً والآخر مركبا من كلمة وبعض كلمة، فهو أنواع ولكل نوع اسم خاص به.

(١) انظر: مواهب الفتاح ٤/٤١٧.
(٢) الألوان البديعية ص ١١٥.

فالأول : الجناس التام المركب الملفق: وهو ما كان اللفظان فيه مركبين، كقول الشاعر:

فلم تضع الأعادى قد رشانى ... ولا قالوا فلان قد رشانى

فالجناس بين "قد رشاني:" وبين "قد رشاني" الثانية، واللفظ الأول مركب من اسمين "قدر" بمعنى المكانة والمنزلة، و "شاني" بمعنى شأني ومنزلتي، واللفظ الثاني مركب من كلمتين ـ أيضاً ـ هما "قد" وهي حرف معناه التحقيق، , "رشاني" وهو فعل بمعنى أعطاني رشوة.

وكقول البستي:

إلى حتفي سعى قدمي ... أرى قدمي أراق دمي

فالجناس بين "أرى قدمي" و "أراق دمي" واللفظ الأول مركب من فعل هو "أرى" واسم هو "قدمي"، واللفظ الثاني مركب أيضا من فعل واسم، الفعل "أراق"، الاسم "دمي".

ويسمى هذا الجناس وهو ما كان اللفظان فيه مركبين، جناساً ملفقا.

والثاني: ما كان أحد اللفظين فيه مركبا، وهو ثلاثة أنواع:

مرفو ومتشابه ومفروق.

أ ـ الجناس التام المركب المرفو :

وهو أن يكون أحد اللفظين المتجانسين مفرداً، والآخر مركبا من كلمة وبعض كلمة كقول الحريري:

ولاتله عن ذكر ذنبك وابكه ... بدمع يحاكي الوبل حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه ... وروعة ملقاه ومطعم صابه[1]

(١) الوبل: المطر الغزير. المصاب: مصدر صاب المطر صوبا ومصاباً إذا انصب.
الحمام: الموت. الصاب: شجر مر واحده صابه.

فالمعنى: ابك على ذنبك بدمع غزير كالمطر المنهمر المنصب، وتذكر الموت وأهواله نصب عينيك فذلك أردع لك.

فالجناس بين لفظى: "مصابه" فى البيت الأول و "م صابه" فى البيت الثانى، واللفظ الأول مفرد، والثانى مركب من الميم الأخيرة فى كلمة "مطعم" ومن كلمة: صابه" فهو مكون من كلمة وبعض كلمة.

الكلمة: "صابه" وبعض الكلمة: الميم الأخيرة من لفظ "مطعم"، ولا عبرة بالهاء التى هى ضمير الغائب، لأنها فى لفظى الجناس فى محل جر مضاف إليه، والمضاف إليه كالكلمة الواحدة، ولأن الجناس فى اللفظين يتم بدونها.

وكقول الشاعر:

وسائله تسائل عن فعالى ... وعمّن جاز فى الدنيا جمالى
فقلت إلى المعالى حنّ قلبى ... وفى سُبُل الكرامةِ لجّ مالى
وللعلياء نهجٌ مستقيم ... فمالى تارك ذا النهج مالى

فالجناس بين: جمالى، لج مالى، النهج مالى، فلفظ "جمالى" الأولى مفرد، والثانى مركب من كلمة وبعض كلمة، وكذلك الثالث.

وكقول الحريرى:

والمكر مهما استطعت لا تأته ... لتقتنى السؤدد والمكرمة

فالجناس فى البيت لفظه الأول مركب من كلمة وجزء كلمة، وهما كلمة "المكر: والميم والها من "مهما"، والثانى مفرد هو "المكرمة".

ب ـ الجناس التام المركب المتشابه

وهو أن يكون أحد اللفظين المتجانسين مفرداً والآخر مركبا من كلمتين، مع تشابه اللفظين المتجانسين فى الخط (اى فى الكتابة) كقول البستى:

إذا ملك لم يكن ذا هبة ... فدعه فدولته ذاهبة

فذاهبة الأولى معناها: صاحب هبة وعطاء، وهى مركبة من كلمتين "ذا" بمعنى

صاحب و "هبة" بمعنى عطية ومنحة. و "ذاهبة" الثانية معناها: زائلة غير باقيـة، وهـي كلمة واحدة اسم فاعل مؤنث من ذهبت.

وكقول البستي أيضا:

نـاظــراه فيمـا جنـــي نـاظـــراه   أودعـاني أمـت بمـا أودعـانـــي

فالمعنى: جادلاه وكلّماه فيما أحدثته عيناه من سحر وتأثير في قلبي، فإذا لم تفعلا ذلك فاتركاني أمت بهذا السحر الذى تركه في قلبي وديعه.

فالبيت يحتوى على نوعين مـن الجنـاس، الأول بـين كلمتـى: نـاظراه، نـاظراه. الأولى فعل أمر مسند إلى ألف الاثنـين معنـاه: جـادلاه ونـاظراه، الثانيـة: اسـم معنـاه "عيناه" وهذا الجناس يسمى: "الجناس التام المستوفى" لأنه بين فعل واسم[1].

والجناس الثاني: بين أودعاني، أودعاني، فاللفظ الأول من هذا الجناس مركب من كلمتين: "أو" وهي حرف عطف، و "دعاني" وهي فعل أمر بمعنى: اتركاني مسند إلى ألف الاثنين، والنون للوقاية والياء مفعول به.

واللفظ الثاني كلمة واحدة وهـي فعـل مـاض "أودع" وألـف الاثنـين فـاعل، والنون للوقاية والياء مفعول به.

وكقول الشاعر:

ياسـيدا حـاز رقـي   بمـا حبـاني وأولى
أحسـنت بـرا فقـل لـي   أحسنـت فـي الشكـر أولا

فالجناس بين "أولى" وهي كلمة مفردة "فعل مـاض" بمعنـى منـح وأعطى وبـين "أولا" وهي مركبة من "أو" العاطفة و "لا" النافية.

جـ ـ الجناس التام المركب المفروق

وهو أن يكون المركب منهما مركباً من كلمتين أو أكثر ولم يكونـا متفقـين في الخط.

---

(١) انظر: الجناس التام المستوفى ص ١٦٥ من هذا المؤلَّف.

كقول البستي:

كلكم قد أخذ الجا م ولا جام لنا
ما الذي ضرَّ مدير الـ جام لو جاملنا

الجام: الكأس، جاملنا: عاملنا بالجميل فأدار الكأس علينا أيضا.

والشاهد في قوله: "جام لنا وجاملنا" فقد تجانسا وكل منهما مركب مع اختلافهما في الخط، ومن يجعل جناس التركيب خاصا بما يكون أحد المتجانسين فيه مركبا والآخر مفرداً، يجعل قوله: "جاملنا" مفرداً لاتصال الضمير فيه بالفعل. ويقول ابن يعقوب: فاللفظ الأول من المتجانسين مركب من اسم لا وخبرها، وهو المجرور مع حرف الجر، والثانى مركب من فعل ومفعول لكن عدوا الضمير المنصوب المتصل من أجزاء الكلمة، فصار المجموع في حكم المفرد، ولذلك صح التمثيل به لمفرد ومركب[1].

وقال الميكالي:

لقد راعني بدر الدجى بصدوده ووكَّلَ أجفاني برعي كواكبه
فيا جزعي مهلا عساه يعود لي ويا كبدى صبراً على ما كواك به

فالشاهد في قوله: كواكبه ـ وما كواك به، فقد تجانسا وأحدهما مركب مع اختلافهما في الخط، ومن ثم سمى بالمفروق.

وله أيضا:

كتبتُ إليه أستهدى جوابا فقابلني بوعد في الجواب
ألاليت الجواب يكون خيراً فيشفي ما أحاط من الجوى بي

الشاهد في قوله: الجواب ـ الجوى بي . فقد تجانسا وأحدهما مركب مع أختلافهما في الخط.

وكقول الشاعر:

لا تعرضَّ على الرواة قصيدة مالم تبالغ قبل في تهذيبها

---

(١) انظر: مواهب الفتاح ٤/٤١٩.

فـإذا عـرضت الشعـر غـير مهـذب عـدّوه منـك وسـاوساً تهـذى بهـا

فالجناس بين لفظى: تهذيبها، تهذى بها، والأول مفرد ومعناه التهذيب مصدر هذب بتشديد الذال، وهو مضاف و "ها" مضاف إليه، فهما كلمة واحدة فى الكتابة.

واللفظ الثانى مركب من كلمتين هما "تهذى" فعل مضارع من الهذيان وهو الكلام غير المعقول لمرض أو غير ذلك، و "بها" جار وجرور، وهما كلمتان منفصلتان فى الكتابة.

وبذلك قد انتهى الحديث عن الجناس التام الذى انقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الجناس التام المماثل، ٢ ـ الجناس التام المستوفى، ٣ ـ الجناس التام المركب

وتنوع الجناس التام المركب إلى أربعة أنواع:

أ ـ الجناس التام المركب الملفق، ب ـ الجناس التام المركب المرفو،

جـ ـ الجناس التام المركب المتشابه، د ـ الجناس التام المركب المفروق.

٢ ـ الجناس الناقص

وهو أن يختلف اللفظان المتجانسان في عدد الحروف فقط، ويتفقان في ترتيبها، وهيئتها ونوعها، وهو على وجهين:

الوجه الأول: أن يختلف اللفظان بزيادة حرف واحد، إما في الأول. كقوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ القيامة ٢٩ ، ٣٠

فالجناس بين الساق والمساق، ولفظ المساق فيه ميم زائدة في الأول.

وإما في الوسط: كقولهم: جدى جهدى، أى حظى في الدنيا على قدر تعبى ومشقتى فيها.

وإما في الآخر: كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ النحل ٦٩

فالجناس بين كلى وكل، واللفظ الأول فيه زيادة ياء عن اللفظ الثانى.

وكقول أبى تمام:

يمدون من أيدٍ عواص عواصم ... تصول بأسياف قواض قواضب [1]

فالجناس بين: عواص وعواصم، وبين قواض وقواضب، واللفظ الثانى في الجناس الأول فيه ميم زائدة عن الأول، وهذه الزيادة في الآخر.

واللفظ الثانى في الجناس الثانى فيه "باء" زائدة عن الأول، وهذه الزيادة ـ أيضا ـ في الآخر.

وربما سمى الجناس الذى يكون بزيادة حرف في الآخر "مطرفا".

ووجه حسنه أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالميم من "عواصم" أنها هى التى مضت، وأنما أتى بها للتأكيد حتى إذا تمكن آخرها في نفسك ووعاه سمعك انصرف عنك التوهم، وفي هذا حصول الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها.

(١) عواص: جمع عاصيه، من عصاه إذا ضربه بالعصا. والمراد بها هنا السيف، أو من العصيان بمعنى عواص على الأعداء. عواصم: حافظات للأولياء من عصمه إذا حفظه وحماه،جمع عاصمة، قواض: قاتلات من قضى عليه إذا قتله، قواضب: قواطع.

وكقول البحترى:

لئـن صـدفت عنـا فـربـت أنفـس صوادٍ إلى تلك الوجوه الصـوادف [1]

فالجناس بـين: صـواد والصـوادف، فالكلمـة الأولى معناهـا: الأنفـس العطـاش المشتاقة، والثانية معناها: الوجوه المعرضة، وفيها "فاء" زائدة فـى الآخـر عـن الكلمـة الأولى ولا عبرة للألف واللام كما سبق الاشارة إليه.

الوجه الثاني:

أن يختلف اللفظان بزيادة أكثر من حرف واحد، إما فـى الأول. كقولـه تعـالى في قصة موسى عليه السلام:

﴿وَمَا كُنْـتَ ثَاوِيًـا فِـي أَهْـلِ مَدْيَـنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَـا وَلَكِنَّـا كُنَّـا مُرْسِلِينَ﴾ القصص ٤٥.

فالجناس بين "لكنا كنا" والكلمـة الأولى فيهـا حرفـان زائـدان فـى الأولى عـن الثانية وهما: اللام والألف.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ العاديات ١١.

فالجناس بـين: ربهـم، بهـم، اللفـظ الأول زائـد عـن الثانى بحرفـين فـى الأول وهما: الراء والباء المشددة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ التوبة ١٨.

فالجناس بين كلمتي: "من آمن" والثانيـة فيهـا حرفـان زائـدان فـى الأول عـن الأولى وهما: الهمزة وألف المد.

وإما في الآخر: كقوله تعـالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَـى إِلَهِـكَ الَّـذِي ظَلْـتَ عَلَيْـهِ عَاكِفًـا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ طه ٩٧.

---

(١) صدفت: أعرضت. صواد: من الصدى وهو العطش الشديد، والمراد به هنا: الاشتياق.

فالجناس بين لفظى: "إلى إلهك"، وإلهك زائد عن إلى بحرفين فى الآخر وهما الهاء والكاف.

وكقول حسان بن ثابت:

وكنا ومتى يغزو النبى قبيلة   نصل جانبيه بالقنا والقنابل(١)

فالجناس بين القنا والقنابل، لأن القنابل فيها حرفان زائدان فى الآخر عن "القنا" وهما: الباء واللام، والجناس الذى فيه حرف زائد أو أكثر من حرف سواء أكانت الزيادة فى الأول أم فى الوسط أم فى الآخر له اسم خاص به ولكنَّ ذلك يثقل القارئ بأعباء تضيع معها المعانى البلاغية للجناس فى ثنايا هذه الأسماء الكثيرة التى ليس لها فائدة تلمس.

وتقول الخنساء:

إن البكاءَ هو الشفا   ءُ من الجوى بين الجوانح(٢)

فالجناس بين الجوى والجوانح، وهو جناس ناقص؛ لأن لفظ الجوانح زائد فى الآخر بحرفين عن لفظ "الجوى" وهما النون والحاء.

وكقول النابغة الذبيانى فى الرثاء:

فيالك من حزم وعزم طواهما   جديد الردى بين الصفا والصفائح

فالجناس بين لفظى: الصفا والصفائح، وهو جناس ناقص لأن "الصفائح" تزيد عن "الصفا" بالهمزة والحاء فى الآخر.

(١) القنا: جمع قناة وهى الرمح.
(٢) الجوى: حرقة القلب، الجوانح: الضلوع التى تحت الصدر مما يلى الترائب وهى جمع جانحة.

٣ ـ الجناس المحرف والمصحف

وهو أن يختلف اللفظان المتجانسان في هيات الحروف، أي في شكلها أو نقطها. فإن كان الاختلاف في الشكل سمي: الجناس المحرف.

وإن كان الاختلاف في النقط سمي: الجناس المصحف.

أ ـ الجناس المحرف:

وهو ما اختلف فيه اللفظان المتجانسان في التشكيل أي في الحركات والسكنات، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ الصافات ٧٢ ، ٧٣.

فالجناس بين لفظي: منذرين ـ بكسر الذال ـ ومنذرين ـ بفتح الذال ـ الأول اسم فاعل من أنذر، وهم الرسل الذين ينذرون الناس، ويبلغون الرسالات، والثاني: اسم مفعول من أنذر، وهم الناس الواقع عليهم الإنذار.

وقول الرسول ﷺ: "اللهم كما حسنت خلقي فحسنّ خُلقي".

وكقول الحريري يصف هيام الجاهل ـ بالدنيا ـ:

ما يستفيق غرامًا بها وفرط صبابه
ولو درى لكفاه مما يروم صُبابه[1]

فالجناس بين لفظي: صبابه ـ بفتح الصاد ـ وهي حرارة الشوق وصُبابة ـ بضم الصاد ـ فاختلف اللفظان في الحركة فقط، فالصاد في الأول بالفتح، وفي الثاني بالضم ـ وكقول أبي العلاء:

والحسن يظهر في بيتين رونقه بيت من الشعر أو بيت من الشعر

فالجناس بين: الشعر: وهو النظم، الكلام الموزون المقفى، الشعر: وهو شعر الرأس أو الجسم، والمراد بالبيت من الشعر هنا ـ بفتح الشين ـ الخيمة التي تصنع من الشعر، فبين اللفظين المتجانسين اختلاف في الحركة، فالأول مكسور الشين، والثاني مفتوحها.

---

(١) الصُبابة: بضم الصاد: بقية الماء في الإناء.

وقولهم: لا تنال الغُرر إلاّ بركوب الغَرر.

فالجناس بين لفظي: الغُرر بضم الغين: جمع غرة، وغرة كل شيء أوله وأحسنه وأجمله. والغرر: الخطر، فاللفظان قد اختلفا بالضم والفتح.

ب ـ الجناس المصحف

وهو ما اختلف فيه اللفظان المتجانسان في النقط، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ الشعراء ٧٩ ، ٨٠

فالجناس المصحف بين لفظي يسقين ويشفين، ولا اختلاف بين اللفظين إلاّ في النقط فقط.

وكقوله ﷺ لعليّ بن ابى طالب ـ كرم الله وجهه: ـ قصر ثوبك فإنه أنقى وأتقى وأبقى.

وقول عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لو كنت تاجراً ما اخترت غير العطر إن فاتنى ربحه لم تفتنى ريحه.

ومن ذلك قول الشاعر:

من بحر جودك أغترف وبفيض علمك أعترف

فالجناس بين أغترف وأعترف، والفرق بين اللفظين النقطة التى فوق الغين فلو أزلناها لم نميز بينهما.

هذا وقد اجتمع جناس التصحيف وجناس التحريف في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الكهف ١٠٣ ، ١٠٤

فالجناس بين لفظي: "يحسبون، يحسنون" وهما يختلفان في نقطتي:

الباء والنون، فلو أزلنا النقطتين لم يتميز أحدهما عن الآخر.

كما أنهما يختلفان في الشكل فياء "يَحسبون" مفتوحة وكذلك السين فيها، ياء "يُحسنون" مضمومة والسين فيها مكسورة، ولذلك يسمى الجناس بينهما "مصحفا محرفا" فمن ناحية الاختلاف في النقط يسمى الجناس مصحفا، ومن ناحية الاختلاف في الشكل يسمى الجناس محرفا.

٤ ـ جناس القلب أو الجناس المقلوب

وهو أن يختلف اللفظان فى ترتيب الحروف، وهو نوعان: قلب الكل وقلب البعض.

١ ـ فقلب الكل:

أن ينعكس الترتيب تماماً فى اللفظين المتجانسين، كقول العباس بن الأصنف:

حسامك فيه للأحباب فتح ورمحك فيه للأعداء حتف [١]

فالجناس بين فتح وحتف وقد انعكس فيهما الترتيب، واللفظان مختلفان فى المعنى فالفتح فيه خير وبركة وسعادة، والحتف فيه هلاك وموت وشقاء.

وإذا وقع أحد اللفظين اللذين فيهما قلب الكل فى أول البيت، والثانى فى آخره سمى: الجناس المقلوب المجنح، وذلك لأن اللفظين بمنزلة الجناحين للبيت كقول الشاعر:

لاح أنوار الهدى من كفه فى كل حال [٢]

فالجناس بين لاح وحال، واللفظ الأول فى أول البيت والثانى فى آخر البيت، والمعنيان مختلفان وقد انعكس الترتيب بين حروفهما.

وكقول الشاعر:

أسكرنى باللفظ والمقلة الـ كحلاء والوجنة والكاس
ساق يرينى قلبه قسوة وكل ساق قلبه قاس

فالجناس بين ساق وقاس، الأولى فى أول البيت والثانية فى آخره، ولذلك هو جناس مجنح.

والجناس المستوى: ما كان اللفظ فيه، بحيث لو عكس وبدىء بحرفه الأخير إلى الأول لم يتغير كقول الشاعر:

(١) الحسام: السيف. والرمح: أداة للطعن. والفتح: يكون بالخير والبركة، الحتف: الهلاك والموت.
(٢) لاح: ظهر، فى كل حال: أى فى كل صفة من صفاته، وفى كل وضع من أوضاعه.

ليـــل أضــــاء هــــلالــــه   أنـــى يضـــىء بكـــوكـــب

فكل كلمة فى البيت تقرأ مستوية ومقلوبة.

٢ ـ وقلب البعض:

أن يختلف الترتيب فى بعض الحروف دون البعض الآخر، كقوله تعـالى: ﴿إِنِّـى خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ طه ٩٤، فجناس القلـب بين لفظى "بين بنى" وقد انعكس الترتيب فى بعض الحروف، وليس فى كلهـا، فاليـاء التى كانت فى الوسط أصبحت فى الآخر، والنون التى كانت فى آخر اللفـظ الأول صارت فى وسط اللفظ الثانى، فالتقديم والتأخير بين الياء والنون فقط. أما الباء فقد ظلت كما هى.

وقول الرسـول صلى الله عليه وسـلم: "اللهم اسـتر عوراتنـا، وآمـن روعاتنـا". فقدمت العين فى اللفظ الأول، وأخرت فى اللفظ الثانى، والراء أخرت فى اللفـظ الأول ثم قدمت فى اللفظ الثانى، وباقى الحروف لم يحدث لها تغيير وظلت كما هى.

وقول بعضهم: "رحم الله امرأ أمسك ما بين فكيه وأطلق ما بين كفيه"

أى أمسك لسانه عن القبيح واللغو وجاد بماله.

فالتقديم والتأخير حدث بين الفاء والكاف فقط.

وقول عبدالله بن رواحة الصحابى الجليل يمـدح النبـى ﷺ؛ وقيـل إنـه أمـدح بيت قالته العرب:

تحملـــه النـاقـةُ الأدمـاء معتجـــراً   بالبرد كالبـدر جلـى نـوره الظلمـا[1]

فالجناس بين البرد والبدر، فالبرد: العباءة التى كان يلبسها النبى ﷺ، والبـدر: هو القمر ليلة التمام.

وقد حدث فيهما قلب البعض فقط بين الراء والدال.

---

(١) الناقة الأدماء: الشديدة البياض، المعتجر: الملتف، وجلى: كشف.

وقال أعرابي: أعوذ بك من سقم وعدواه، وذى رحم ودعواه وكقول أبى تمام:

بيض الصفائح لاسود الصحائف في متونهن جلاء الشكّ والريب

فالجناس بين الصفائح والصحائف، وقد حدث التقديم والتأخير بين الفاء والحاء، فالفاء التي كانت في اللفظ الأول مقدمة، جعلت في آخر اللفظ الثاني، والحاء التي كانت في آخر اللفظ الأول تقدمت مكان الفاء في اللفظ الثاني، فالفاء أخذت مكان الحاء، والحاء أخذت مكان الفاء، وهذا يسمى قلب البعض.

ومنه قول المتنبي:

ممنعة منعمة رداح يكلف لفظها الطير الوقوعا [1]

فالجناس بين لفظي: ممّنعة ومنعمة، وقد حدث الخلاف في الترتيب بسبب الميم فقط. فالميم الثانية التي كانت في اللفظ الأول أخرت بعد العين في اللفظ الثاني.

(١) الممنعة: التي يمنعها أهلها ويحمونها. رداح: ضخمة الأرداف ثقيلة الأوراك. ،
انظر: عروس الأفراح ٤ / ٤٢٨.

٥ ـ الجناس المضارع واللاحق (١)

وهو أن يختلف اللفظان المتجانسان فى نوع الحروف، ويشترط ألاّ يقع الاختلاف بأكثر من حرل واحد، فإذا كان الاختلاف بأكثر من حرف لم يكن بين اللفظين تجانس، كلفظى: أبق وأكل، وهذا الجناس نوعان: مضارع ولاحق.

١ ـ الجناس المضارع: سمى بذلك لمضارعة المباين من اللفظين لصاحبه فى المخرج(٢)، وهو أن يختلف اللفظان المتجانسان فى حرفين متقاربين فى المخرج. وهذا الاختلاف إما أن يكون فى أول الكلمة، أو فى وسطها أو فى آخرها.

فمثال الاختلاف فى الأول قول الحريرى:

بينى وبين كنّى ليل دامس وطريق طامس (٣)

فالجناس بين دامس وطامس، وقد اختلف اللفظان فى الدال والطاء، ولكنهما متقاربان فى المخرج، لأنهما من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا.

وهو جناس مضارع، والمضارعة: المشابهة، لأن الكلمة تشبه أختها فى الصورة وكقول النابغة فى الرثاء:

فيالك من حزم وعزم طواهما جديد الردى بين الصفا والصفائح

وقد سبق هذا البيت فى الجناس الناقص، والشاهد فيه هنا:

حزم وعزم حيث جانس بينهما وفيهما حرفين مختلفين فى الأول وهما: الحاء والعين ولكنهما متقاربان فى المخرج فهما من وسط الحلق.

ومثال الاختلاف فى الوسط: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ الأنعام ٢٦.

---

(١) انظر: خزانة الأدب ٧٠:٧٣/١. ، الطراز ٢ / ٣٦٧.
(٢) المنهاج الواضح للبلاغة حامد عونى ١ / ١٧٦.
(٣) الكنّ: المنزل، دامس: شديد الظلام، طامس: اسود لا يهتدى فيه. ، انظر: مختصر السعد ٤ / ٤٢٦.

فالجناس بين: "ينهون، ينأون" وقد اختلف اللفظان فى الهاء والهمزة، ولكنهما من مخرج واحد وهو أقصى الحلق.

ومثال الاختلاف فى الآخر:

قول الرسول ﷺ: "الخيل معقود بنواصيها الخير" فالجناس بين الخيل والخير وقد اختلفا فى اللام والراء لكنها من مخرج واحد وهو طرف اللسان مع اللثة العليا.

٢ ــ الجناس اللاحق:

وهو أن يختلف اللفظان المتجانسين فى حرفين متباعدين فى المخرج، وهذا الاختلاف إما فى الأول كقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ الهمزة ١[1]. فالجناس بين همزة ولمزة، وقد اختلفا فى الهاء واللام وهما متباعدتان فى المخرج، لأن الهاء من أقصى الحلق، واللام من طرف اللسان.

وإما فى الوسط كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ العاديات ٧،٨

فالجناس بين: شهيد وشديد، وقد وقع الاختلاف بينهما فى حرفين متباعدين فى المخرج وهما: الهاء والدال فالهاء من أقصى الحلق، والدال من طرف اللسان.

وإما فى الآخر: كقول البحترى:

ألمن فات من تلاق تلاف   أم لشاك من الصبابة شاف [2]

فالجناس بين تلاق وتلاف، وقد اختلفا فى حرفين متباعدين فى المخرج وهما: القاف والفاء، فالقاف من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى والفاء من الشفة مع الأسنان.

---

(١) الهمزة: العيّاب فى الغيب وتقال للمذكر والمؤنث ومثلها لمزة، واللمزة: الذى يعيب الناس فى وجوههم، يُقال: رجل همزة ولمزة وامرأة همزة ولمزة..
سمى الجناس اللاحق لأن أحد اللفظين ملحق بالآخر فى الجناس باعتبار معظم الحروف.
انظر: المنهاج الواضح ١ / ١٧٦.

(٢) التلاقى: التدارك، مصدر، تلافى الأمر: تداركه. الصبابة شدة الشوق.
انظر: المنهاج الواضح ١ / ١٧٦.

كما يوجد جناس بين شاك وشاف، وبينهما اختلاف في حرفي الكاف والفاء وهما متباعدتان في المخرج، فالكاف من أقصى اللسان ما يحاذيه من الحنك الأعلى والفاء من الشفة مع الأسنان.

هذا والجناس المضارع واللاحق يتطلبان علماً بمخارج الحروف، ولذلك لا يتيسر لكل شخص.

الجناس المزدوج أو المكرر أو المردد

إذا ولى أحد المتجانس الآخر [1] سمى الجناس مزدوجا ومكررا ومرددا

كقوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ النمل ٢٢.

وجاء في الخبر عن الرسول ﷺ: المؤمنون هينون لينون.

وقولهم: النبيذ بغير النغم غم، وبغير الدسم سم.

وكقول أبي تمام ـ السابق ذكره ـ :

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب [2]

وهذا النوع من الجناس فيه جاذبية وطرافة، لأنه يخيل للسامع أو القارئ أن اللفظ الثاني قد تكرر لنفس المعنى الأول، ولكن سرعان ما تفاجأ بأنه يحمل معنى جديداً غير معنى اللفظ الأول فيتغير تفكيرك فتفرح وتبتهج به.

(١) سواء أكان الجناس تاما أم ناقصاً، أم مقلوبا أم مضارعا .. إلخ.
(٢) الإيضاح ٦ / ٩٨.

مـا يلحـق بالجنـاس

يرى البلاغيون أن الجناس يلحق به أمران:

الأول: أن يكون اللفظان لهما أصل واحد في اللغة، وهذا يسمى تجنيس الاشتقاق كقوله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ الروم ٤٣

وقوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ البقرة ٢٢٦.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ التوبة ١٢٧.

فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلوب عن الخير، والأصل فيه واحد وهو الذهاب عن الشيء. أما هم فذهبوا عن الذكر، وأما قلوبهم فذهب عنها الخير.

ويسميه الرماني ت ٣٨٤هـ جناس المناسبة وهي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد [١].

كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ النور ٣٧.

فجونس بالقلوب التقلب، والأصل واحد، فالقلوب تتقلب بالخواطر، والأبصار تتقلب في المناظر، والأصل التصرف.

وقوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ الواقعة ٨٩.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الأنعام ٧٩.

فجناس الاشتقاق بين: وجهت ووجهي وهما يتشابهان في الحروف الأصول التي يجمعها أصل لغوي واحد.

وقول الرسول ﷺ: "الظلم ظلمات يوم القيامة"[٢].

---

(١) النكث للرماني: ١٠٠.

(٢) مختصر سعد الدين التفتازاني ٤ / ٤٣٠.

وقوله أيضا: "ذو الوجهين لا يكون وجيها عند الله".

ولم يدخل البديعيون هذا النوع في الجناس، لأن بين اللفظين اتفاقاً في أصل المعنى، والجناس يُشترط فيه الاختلاف في المعنى.

الثاني: جناس المشابهة:

وهو أن يجتمع اللفظان في المشابهة فقط، أي ما يشبه الاشتقاق، ولكن ليس باشتقاق، فاللفظان لم يجمعهما أصل لغوى واحد، بل لكل منهما أصل خاص به كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ يونس ١٠٧.

فالأول من الإرادة، والثاني من الرّد للشئ والإرجاع.

وقوله تعالى: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾ التوبة ٣٨.

وقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ المائدة ٣١.

وقوله تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الرحمن ٥٤.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ الشعراء ١٦٨.

فـ "قال" لها أصل لغوى وهو القول بمعنى الكلام، و "القالين" لها أصل لغوى وهو القلى بمعنى: البغض والكره.

وهذا النوع من الجناس أقرب إلى الجناس الاصطلاحي من جناس الاشتقاق وذلك لأن اللفظين فيه متشابهان مع اختلافهما في المعنى، وهذا هو المطلوب في الجناس الاصطلاحي.

ومن العلماء[1] من جعل للتجنيس أصلا واحدا من اللغة وجعله قسمين: جناس مزاوجة وجناس مناسبة ومنها لفظي ومنها معنوى.

والجناس اللفظي منه جناس المزاوجة اللفظي، وجناس المناسبة اللفظي.

فجناس المزاوجة اللفظي كقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ الشورى ٤٠.

---

(١) انظر: تحرير التحبير ص ١٠٢، النكت للرماني ٣٩.

فالسيئة الثانية ليست سيئة وإنما هى بمعنى العقوبة وسميت باسمها لقصد المزاوجة اللفظية.

ومثله قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ البقرة ١٩٤.

فجزاء الاعتداء اعتداء ليكون فى نظم الكلام مزاوجة لفظية(١).

وجناس المناسبة اللفظى يدخل فيه كل ما ذكرته من أنواع الجناس السابقة.

أما الجناس المعنوى:

كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، مع قوله تعالى: ﴿وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ الكافرون ١ ـ ٣.

فإن التقدير: يا أيها المكذبون أنتم المكذبون.

وكقول الشاعر:

أرانى الله جسمك فى خفاء ... وعينك مثل بشار بن برد

أى عينه عمياء، لأن بشاراً كان أعمى، فهو جناس بين عينك وعمياء.

---

(١) راجع المحسن المعنوى المشاكلة وما فيها من أمثلة يظهر فيها جناس المزاوجة اللفظية ص ٥٤: ٥٩ من هذا الكتاب.

بلاغة الجناس

لاشك أن التجاوب الموسيقى الصادر من تماثل الكلمات تماثلا كاملا أو ناقصا تطرب له الأذن، وتهتز له أوتار القلوب، والجنس يقصد اختلاب الأذهان وخداع الأفكار، حيث يوهم أنه يعرض على السامع معنى مكررا أو لفظا مرددا لا يجنى منه السامع غير التطويل والسآمة، فإذا هو يروع ويعجب، ويأتى بمعنى مستحدث يغاير ما سبقه كل المغايرة، فتأخذ السامع الدهشة لتلك المفاجأة غير المتوقعة(١).

يقول عبد القاهر: "أتراك استحسنت تجنيس القائل "حتى نجا من خوفه وما نجا".

وقول المحدث:

ناظراه فيما جنى ناظراه   أودعانى بما أمت أو دعانى

لأنه قد أعاد عليك اللفظة، كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها، فبهذه السريرة صار التجنيس وخصوصا المستوفى منه المتفق فى الصورة ـ من حلى الشعر، ومذكوراً فى أقسام البديع(٢).

ومن قوله:

ما مات من كرم الزمان فإنه   يحيا لدى يحى بن عبد الله

ومثله قوله:

لئن صدفت عنا فربت أنفس   صواد إلى تلك الوجوه الصوادف

وكقول أبى تمام:

يمدون من أيد عواص عواصم   تصول بأسياف قواض قواضب

(١) انظر: البديع فى ضوء أساليب القرآن ص ١٦٧.
(٢) انظر: أسرار البلاغة ٤ ، ٥.

فإن القارىء يتوهم قبل أن يرد عليه الشاعر آخر الكلمة كالميم من عواصم، الباء من قواضب، أنها هي التي مضت، وقد أرادت أن تأتيه ثانية، وتعود إليه مؤكدة، حتى إذا تمكن في نفسه تمامها ووعى سمعه آخرها، انصرفت عن ظنه الأول، وزلت عن الذى سبق من التخيل، وفي ذلك ما ذكر من ظهور الفائدة، بعد أن يخالطه اليأس منها.

وينص عبدالقاهر الجرجانى على أن الجناس الحسن هو الذى يطلبه المعنى ويستدعيه المقام ويقع من المتكلم طوع الخاطر من غير تكلف فيقول: "إنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلا، ولا تجد عنه حولا، ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه، وأعلاه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه، وذلك كقول الشافعي رحمه الله ـ وقد سئل عن تحريمه النبيذ فقال:

أجمع أهل الحرمين على تحريمه"

وقول البحترى:

مازلت تفرع باب بابل بالقنا وتزوره في غارة شعواء[1]

"فقد تبين من هذه الجملة أن المعنى المقتضى اختصاص هذا النحو بالقبول: هو أن المتكلم لم يفد المعنى نحو التجنيس والسجع بل قاده المعنى إليهما"[2].

ثم بين عبدالقاهر الجرجانى الفرق بين الجناس الغث والجناس الثمين والسبب في ذلك مستشهداً ببعض الأمثلة فيقول:

"أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلاّ إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا، أتراك استضعفت تجنيس أبى تمام فى قوله:

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب

---

(١) أسرار البلاغة ٧.
(٢) المرجع السابق ٩.

واستحسنت تجنيس القائل:

نـــاظراه فيمـــا جنـــى نـاظـــراه أودعـــانى أمت بمـا أودعـانـــــى

الأمر يرجع إلى اللفظ؟ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت فـى الأول وقويـت فـى الثانى؟ ورأيتك لم يزدك بمذهب ومذهب، على أن أسمعـك حروفـا مكـررة، تـروم لها فائدة فلا تجدها إلاّ مجهولة منكرة، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعـك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقـد أحسـن الزيـادة ووفاهـا فبهـذه السريرة صار التجنيس ـ وخصوصا المستوفى منـه المتفـق فـى الصـورة ـ مـن حلـى الشعر ـ ومذكوراً فى أقسام البديع.

فقد تبين لك أن ما يعطى التجنيس من الفضيلة أمر لا يتم إلاّ ينصـره المعنـى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن، ولما وجـد فيـه إلاّ معيـب مسـتهجن، ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به، وذلك أن المعانى لا تدين فـى كـل موضـع لما يجذبها التجنيس إليه إذ الألفاظ خدم المعاني والمصرفة فى حكمها، وكانت المعانى هى المالكة سياستها المستحقة طاعتها، فمن نصر اللفظ عن المعنى كان كمن أزال الشـيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته وذلك مظنة من الاسـتكراه، وفيـه فتـح أبـواب العيـب والتعرض للشين"[1].

ثم يسوق الامام عبدالقاهر طائفة من الأشعار يبين فيها الجناس الذى أتـى عـن طواعية، وطلبه المعنى واقتضـاه، والجنـاس المتكلـف الـذى لم يفـد إلاّ تكـرار الألفـاظ الجوفاء، وبذلك كان له الفضل واستحق الثناء والتكريم من الباحثين.

ومن الجناس الذى فيه تكلف واستثقال وكراهة قول الشاعر:

وما اخترت حتى اخترت حبك مذهبـا فواحـيرتى إن لم يكـن فيـك خـيرتى
وجد بسيف العزم سوف فإن تجد تجد نفسا فالنفس إن جدت جـدت

فى البيت الأول: اخترت من الخيره، واخترت الثانية من الاختيار.

وفى البيت الثانى: تجد الأولى من الجود والثانية من الوجدان.

(١) انظر أسرار البلاغة ٤ ، ٥.

ومن الأمثلة التي يتضح فيها الاستهجان الممقوت وهي في غنى عن كل تعليق كقول الأعشى:

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاو مشل شلول شلشل شول

وقول مسلم بن الوليد:

سلت وسلت ثم سل سليلها فأتى سليل سليلها مسلولا

وخلاصة ذلك: أن الجناس الجيد هو الذي يطلبه المعنى ويستدعيه المقام ويقع من المتكلم طوع الخاطر من غير تكلف.

رد العجز على الصدر [1]

وهو من المحسنات اللفظية، ويسمى التصدير والتطبيق أيضا، وهذه الصناعة ممدوحة عند الشعراء والبلغاء.

وهو أن يعيد الشاعر أو الكاتب في آخر كلامه كلمة ذكرها في أوله إمّا بلفظها، أو بمعناها[2].

وهو تارة يكون في النثر وتارة يكون في النظم.

أولاً: في النثـر:

أن يجعل المتكلم أحد اللفظين المتكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما أى بالمتجانسين في أول الفقرة والآخر في آخرها.

والمكرران هما: المتفقان في اللفظ والمعنى، والمتجانسان هما: المتفقان في اللفظ دون المعنى، الملحقان بهما: الذى يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق فمثال المتكررين:

قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ الأحزاب ٣٧.

فأحد اللفظين المكررين في أول الآية، ولا يمنع ذلك من تقدم الواو لأنه يصدق على الفعل بعدها أنه في أول الفقرة وإن لم يكن أولها. والآخر هو تخشاه في آخرها، ولا يضر اتصال الآخر "بالهاء" في كونه آخرا لأن الضمير المتصل كالجزء من الفعل.

ومثال المتجانسين:

كقولهم: "سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل" أى طالب المعروف من الرجل الموصوف باللؤم والرذالة، يرجع ودمعه سائل أو ودمع اللئيم سائل، وهذا أبلغ في ذم اللئيم.

---

(١) انظر الانصاح ١٠٢/٦ ، ١٠٥.

(٢) انظر روضة الفصاحة لزين الدين محمد بن أبي بكر الرازى ص ٢١١.

فسائل فى أول الفقرة، وسائل فى آخرها متجانسان، لأن الأول من السؤال والثاني من السيلان.

ومثال ما يوجد فيه أحد الملحقين بالمتجانسين من جهة الاشتقاق فى أول الفقرة والآخر فى آخرها، مثل قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ نوح ١٠.

فبين "استغفروا، وغفارا" شبه التجانس باشتقاق، لأن مادتهما المغفرة، ولم يعتبر فى الآية لفظ "فقلت" قبل استغفروا، لأن استغفروا هو أول فقرة فى كلام النبى نوح عليه السلام وهى المعتبرة أولاً، ولفظ "قلت" لحكايتها.

وقوله تعالى: ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ آل عمران ٨.

ومثال ما يوجد فيه أحد الملحقين بالمتجانسين من جهة شبه الاشتقاق فى أول الفقرة والآخر فى آخرها، كقوله تعالى:

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ الشعراء ١٦٨.

فبين قال والقالين: شبه اشتقاق، و"قال" فى أول الفقرة، "القالين" فى آخرها، وقال من القول والقالين من القلى وهو من البغض والكره، وهى مشتق من "قلا".

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ الإسراء ٨٣.

وقوله تعالى: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء ٨٧.

ثانياً: فى النظم

وهو أن يجعل الشاعر أحد اللفظين المكررين أو أحد المتجانسين أو أحد الملحقين بالمتجانسين بطريق الاشتقاق، أو أحد الملحقين بهما طريق شبه الاشتقاق فى آخر البيت.

ويكون اللفظ الآخر المقابل فى صدر الشطر الأول من البيت أو فى وسطه أو فى آخره أو فى صدر الشطر الثانى.

وعلى ذلك إن أحد اللفظين لـه مكـان واحـد، وهـو آخـر البيـت مـن الشـعر واللفظ الآخر المقابل له أربعة أماكن:

المكان الأول: صدر الشطر الأول من البيت، الثانى وسـط الشـطر الأول مـن البيت، الثالث: آخر الشطر الأول من البيت، والرابع أول الشطر الثانى من البيت.

ومع هذه الأماكن تأتى الكلمتان بأربعة أوجه:

أ ـ إما أن تكون الكلمتان المتقابلتان مكررتين.

ب ـ وإما أن تكون الكلمتان المتقابلتان متجانستين.

جـ ـ وإما أن تكون الكلمتان المتقابلتان ملحقتين بالمتجانستين اشتقاقاً.

د ـ وإما أن تكون الكلمتان المتقابلتان ملحقتين بالمتجانستين بشبه الاشتقاق.

وعلى ذلك تصبح صور "رد العجز على الصدر" ست عشرة صـورة حاصلـة من ضـرب اربعـة أقسـام المكررين والمتجانسـين والملحقـين اشـتقاقاً والملحقـين بشـبه الاشتقاق فى أربعة أماكن اللفظ المقابل للذى فى العجز.

الوجه الأول: أ ـــ مـا كـان اللفظـان فيهـا مكررين: أحدهمـا فـى أول الصـدر والآخر فى آخر العجز

كقول الأقيشر الأسدى:

سريعٌ إلـى ابـن العـــمِّ يشتـمُ عِرضَـه ... وليـس إلـى داعـى النـدى بســـريـــع

والمعنى أن ذلك المذكور سـريع إلى الشرّ واللـؤم فـى لطمـه وجـه ابـن العـم، وليس بسريع إلى العمل بما يدعى إليه من الندى والكرم.

والشاهد في البيـت: أن "سـريع" الثـانى فـى آخـر الشـطر الثـانى مـن البيـت و"سريع" الأول وهو مكرر فى أول الشطر الأول من البيت.

ب ـ أن تكون الكلمتان المتقابلتـان مكررتـين، والأولى تقـع فـى وسـط الشـطر الأول من البيت والثانية تقع فى آخر البيت.

كقول القشيرى:

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

والنجد: ما ارتفع من بلاد العرب، وما انخفض منها يسمى غوراً وتهامة. فيأمر الشاعر صاحبه بالاستمتاع بشم عرار نجد، وهى وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة، لأن الحال يضطرهم إلى الخروج من نجد ومنابته عند الماء بالسفر عنها.

والشاهد: أن "عرار" الأولى تقع فى وسط الشطر الأول من البيت وهو مكرر مع "عرار" التى تقع فى آخر الشطر الثانى من البيت.

ومثله قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزْهُ إلى ما تستطيع

وكقول أبى تمام:

ولم يحفظ مضاع المجد شىء ... من الأشياء كالمال المضاع

جـ ـ أن تكون الكلمتان المتقابلتان مكررتين، والأولى تقع فى آخر الشطر الأول من البيت والثانية تقع فى آخر البيت.

كقول أبى تمام:

ومن كان بالبيض الكواعب مغرما ... فمازلت بالبيض القواضب مغرما

فالكواعب: جمع كاعب وهى الفتاة حين يظهر ثديها ويرتفع، والمغرم بالشىء هو المولع به، ويقصد بالبيض: الفتيات الفاتنات، والقواضب: جمع قاضب وهو السيف القاطع.

والمعنى: أن من كان مولعاً بالكواعب، فهو مولع بالسيوف واستعمالها فى وقتها، أى وقت الحروب.

والشاهد فى البيت: أن "مغرما" الأولى فى آخر الشطر الأول، وهو مكرر مع "مغرماً" فى العجز أى فى آخر البيت.

وكقول جرير:

زعـم الفـرزدق أن سيقتـل مـربعـاً أبشـر بطـول سـلامة يـا مـربـعُ

د ـ أن تكون الكلمتان مكررتين والأولى تقع فى أول الشـطر الثانى، والثانيـة تقع فى آخر البيت. كقول الشاعر:

وإن لـم يكـن إلاّ معـرج سـاعـة قليـلاً فـإنى نـافـع لـى قليلهـا

فالمعنى: قليل من التعريج والزيارة يشفى غليلى ووجدى ويرفع حزنى.

فالكلمة الأولى "قليلا" فى أول الشطر الثانى، والكلمة الثانية "قليلها" فى آخر البيت، وهما كلمتان مكررتان معناهما واحد.

وكقول كثير:

أصاب الردى من كان يبغى بها الردَّى وجُـنَّ اللواتـى قلـن عـزة جُنَّـتِ

الوجه الثانى: أمثلة المتجانسين:

أ ـ أن تكون الكلمتان المتقابلتان متجانستين ويكـون المجانس الأول فـى صـدر الشطر الأول والمجانس الآخر فى العجز أى فى آخر البيت.

كقول القاضى الأرجانى:

دعـانـى مـن مـلامكمـا سفـاهـا فـداعـى الشـوق قبلكمـا دعـانـى

والمعنى: ارتكا لومى فالشوق يدعونى إليه.

والشاهد: بين كلمتى "دعانى" فى أول البيت و "دعانى" فى آخره جناس لاتفاقهما فى اللفظ واختلافهما فى المعنى، فدعانى الأولى بمعنى اتركانى، و "دعانى" الثانية بمعنى: وجّه لى دعوة.

وكقول الآخر:

سـل سبيـلا فيهـا إلى راحـة النفـ ـس يـراح فيهـا كـأنها سلسبيـل

السبيل: الطريق، الراح: الخمر، السلسبيل: الماء العذب السهل المساغ فى الحلق.

والمعنى: التمس طريقا لراحة نفسك في هذه الروضة الجميلة بشرب الخمر الجيدة المذاق كأنها سلسبيل.

فبين كلمتي "سل سبيل" و "سلسبيل" جناس لاتفاقهما في اللفظ واختلافهما في المعنى، والأولى في أول البيت والثانية في آخره.

وقول الشاعر:

ســـــود العنـــاقيـــــد أرسلـــــت فمـن أجلها منهـا النفـوس ذوائـب

فبين كلمتي "ذوائب" في أول البيت و "ذوائب" في آخـر البيـت، ردّ العجز على الصدر، وهما كلمتان متجانستان لاتفاقهما في اللفـظ واختلافهمـا فـي المعنـى، فالأولى معناها: خصلات الشعر، والثانية معناها: أنها تذيب النفوس وتذهب العقـول عند رؤيتها.

ب ـــ أن تكون الكلمتان متجانستين والأولى في حشو الشطر الأول أو وسـطه ـ والثانية في آخر البيت ـ العجز ـ كقول الثعالبي:

وإذا البـلابـل أفصحـت بلغــاتهــا فـأنف البـلابـل بـاحتسـاء بُـلابـل

فالبلابل الأولى جمع بلبل وهو الطائر المغرد، الثانيـة جمع بلبـال وهـو الحـزن والبلابل الثالثة: جمع بلبلة وهي قناة الابريق التي يصب منها الخمر، والمراد بهـا هنـا الخمر نفسه من باب المجاز المرسل، احتساء: شرب.

والمعنى: ابعد عنك الآخران بسماع غناء البلابل وشرب الخمر والتمتع به.

فرد العجز على الصدر بين كلمتـي البلابـل التـي فـي حشـو البيـت أو وسـط الشطر الأول و "بلابل" التي في نهاية البيت، وهما متجانستان لاتفاقهما فـي اللفـظ واختلافهما في المعنى، فالأولى معناها الطيور المغردة، الثانية معناها: الخمر.

جـ ـــ أن تكون اللفظتان المتقابلتان متجانستين والأولى في نهاية الشـطر الأول، والثانية في نهاية الشطر الثاني من البيت كقول الحريري:

فمشغـــوف بـــآيـــات المثـــانـــي ومفتـــون بـــرنـــات المثـــانـــي

والمعنى: فمشغوف بآيات القرآن الكريم يهتدى بها ويتذكر ما فيها من الاعتبارات نظراً لشغفه الشديد بها أى حبه، ومنهم ـ أى من أهل البصرة المتحدث عنهم ـ من هو مفتون وشديد الحب بآلات اللهو والطرب.

فرد العجز على الصدر بين كلمتى "المثانى" التى فى آخر الشطر الأول، والمثانى التى فى آخر البيت، وهما متجانستان لاتفاقهما فى اللفظ واختلافهما فى المعنى، فالأولى معناها: القرآن الكريم، والثانية معناها: أوتار الآلات الموسيقية.

د ـ أن تكون اللفظتان المتقابلتان متجانستين، ويكون المجانس الأول فى صدر الشطر الثانى والمجانس الثانى فى العجز، أى فى آخر البيت.

كقول الشاعر:

أملتهم ثم تأملتهم فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

أملتهم: وضعت الأمل فيهم ورجوت الخير عندهم، تأملتهم: فكرت فيهم، يريد بالمعنى أن يتوسم فيهم الخير فظهر له أنه ليس فيهم فائدة ولا خير ولا نجاح.

فرد العجز على الصدر بين كلمتى "فلاح" التى فى أول الشطر الثانى. وفلاح التى فى آخر البيت وهما متجانستان، لاتفاقهما فى اللفظ واختلافهما فى المعنى، فالأولى معناها ظهر وبدا، والثانية ومعناها: الخير والنجاح والفلاح.

الوجه الثالث:

أ ـ أن تكون الكلمتان ملحقتين بالمتجانستين ـ أى يجمعهما أصل لغوى واحد ـ والأولى تقع فى أول البيت، والثانية فى آخره، كقول البحترى:

ضرائب أبدعتها فى السماح فلسنا نرى لك فيها ضريبا

ضرائب: جمع ضريبة وهى طبيعة الإنسان التى طبع عليها، وضريب: مثيل. فرد العجز على الصدر بين كلمتى: ضرائب فى أول البيت و "ضريب" فى آخر البيت، وهما ملحقتان بالمتجانستين؛ لأنهما متفقتان فى الاشتقاق من أصل واحد ومن مادة واحدة.

ب ـ أن تكون الكلمتان ملحقتين بالمتجانستين، والأولى فى حشو الشطر الأول، والثانية فى آخر البيت كقول امرئ القيس:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه   فليس على شيء سواه بخزان

يخزن: يحفظ، والمعنى: أن الإنسان إذا لم يحفظ سر نفسه لم يحفظ سر غيره من باب أولى، أو أن الإنسان إذا لم يحفظ السرَّ فلا يؤتمن على شيء آخر.

فرد العجز على الصدر بين كلمتي: يخزن في حشو الشطر الأول، "بخزان" في نهاية البيت. والكلمتان متفقتان في الاشتقاق، فأصلهما واحد، ولذلك يلحقان بالكلمتين المتجانستين.

جـ ـ أن تكون الكلمتان ملحقتين بالمتجانستين، والأولى في نهاية الشطر الأول، والثانية في آخر البيت، كقول الشاعر:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى   أطنين أجنحة الذباب يضير

فرد العجز على الصدر بين كلمتي "ضائرى" بمعنى يضرنى وهى فى نهاية الشطر الأول، ويضير ـ بمعنى يضر ـ وهى فى آخر البيت، والكلمتان يجمعهما الاشتقاق فهما ملحقتان بالمتجانستين.

د ـ أن تكون الكلمتان ملحقتين بالمتجانستين، والأولى فى أول الشطر الثانى والثانية فى آخر البيت كقول أبى تمام:

وقد كانت البيض القواضب في الوغى   بواتر وهى الآن من بعده بتر

البيض: السيوف، القواضب: القواطع ـ الوغى: الحرب، بواتر: قواطع. بتر: جمع أبتر وهو المقطوع أو مقطوع الذنب لا فائدة فيه.

فردّ العجز على الصدر بين كلمتي: بواتر فى أول الشطر الثانى، و "بتر" فى آخر البيت، وأصلهما اللغوى واحد فيجمعهما الاشتقاق لأنهما مأخوذان من البتر وهو القطع، فهما ملحقتان بالمتجانستين.

الوجه الرابع:

الملحقان بالمتجانسين بسبب شبه الاشتقاق:

أ ـ أن تكون الكلمتان المتقابلتان ملحقتين بالمتجانستين لشبه الاشتقاق، ويكون الملحق بالمتجانسين بشبه الاشتقاق ـ الأول فى صدر البيت من الشطر

الأول والثاني في العجز أي في آخر البيت. كقول الحريري:

ولاح يلحى على جرى العنان إلى ملهى فسحقا له من لائح لاح

ولاحَ: ظهر، يلحى: يلوم، على جرى العنان: المقصود على سعيٍ وتعمقي في الملاهي، سحقاً: بعداً وهلاكاً، لائح لاح: أى ظاهر لائم.

والمعنى: ظهر الشيب يلومني على جرى الخيل إلى الأماكن التي فيها اللهو، فبعداًله من ظاهر لائم.

فالمصدرٌ لاحٌ ثلاثة أحرف، والعجز "لاحى" أصلة أربعة.

ولاح ماضى يلوح مأخوذ من اللوحان وهو الظهور، والثاني: اسم فاعل من لحاه إذا لامه.

وهذا من باب ما يشبه المشتق وليس منه.[1]

ب ـ أن تكون الكلمتان المتقابلتان ملحقتين بالمتجانستين بسبب شبه الاشتقاق، ويكون أحد الملحقين بالمتجانسين بسبب شبه الاشتقاق في وسط الشطر الأول والثاني منهما في العجز.

كقول أبي العلاء:

لو اختصرتم من الإحسان زُرتكم والعذبُ يُهجر للإفراط في الخَصَر

والمعنى: لو تركتم كثرة الاحسان، ولم تبالغوا فيه، وأتيتم بما يعتدل منه، زرتكم ولكن أكثر تم من الإحسان فهجرتكم لتلك الكثرة لخروجها عن الاعتدال، ولا غرابة في هجران ما يستحسن لخروجه عن حدّ الاعتدال الذى لا يطاق، لأن الماء العذب قد يترك ويهجر للافراط في الصنعة المستحسنة منه وهو برودته.

والشاهد: أن "اختصرتم مع الخصر" بينهما شبه الاشتقاق لأنه يتبادر كونهما من مادة واحدة، وليس كذلك، فإن الأول الواقع في وسط الشطر الأول لسبْق ـ لو ـ عليه مأخوذ من مادة الاختصار الذى هو ترك الإكثار.

(١) أنظر: روضة الفصاحة ٢١٨.

والثاني: "الخصر" مأخوذ من "خصر" أى برد.

هذا ويحتمل أن يكون هذا البيت من قبيل الذم إن أراد بكثرة الإحسان أنهم أكثروا حتى تحقق منهم السفه، فهجرهم لأفعالهم السفيهة.

ويحتمل أن يكون من قبيل المدح، إن أراد أنهم أكثروا فعجز عن الشكر فاستحيا من الإتيان إليهم بلا قيام بحق الشكر كان مدحاً، وإن كان لفظ "الهجران" يقوى إرادة الذم.

جـ ـ أن تكون اللفظتان المتقابلتان ملحقتين بالمتجانستين بسبب شبه الاشتقاق وتكون إحداهما فى آخر الشطر الأول والثانية منهما فى آخر البيت.

يقول الحريرى:

ومضطّلع بتلخيص المعاني ومطلع إلى تخليص عاني

والمضطلع بالشيء القوى فيه الناهض به، وتلخيص المعانى اختصار ألفاظها وتحسين عباراتها والمطلع الناظر، وتخليص العانى فكاك الأسير [(١)].

والشاهد: أن المعاني وعاني، وقع الأول فى آخر الشطر الأول، والثانى وقع فى نهاية الشطر الثانى أى فى العجز، والأول من عنى يعنى والثانى من عنا يعنو، وهما مختلفتان كذلك فى الاشتقاق والصورة.

د ـ أن تكون اللفظتان المتقابلتان ملحقتين بالمتجانستين بسبب شبه الاشتقاق وتكون إحداهما فى صدر الشطر الثاني والأخرى فى العجز.

كقول الشاعر:

لعمرى لقد كان الثريا مكانه ثراء فأضحى الآن مثواه فى الثرى

والمعنى: لقد كانت الثريا مكانه من جهة ثروته وغناه، لأن من كان غنيا يقال عنه أصبح فى الثريا أو فى العيون، وقوله مثواه في الثرى: أى فى الأرض والتراب.

والشاهد فى قوله: "ثراء" الأول، "الثرى" الثاني، فإن الأول من الثروة، واوى ـ والثاني يائي. فبينهما شبه الاشتقاق من أصل واحد.

(١) انظر: الطراز للعلوى ٢/٣٣٧.

هذا والملاحظ أن الألفاظ التي يجمعها وجه "شبه الاشتقاق" قليلة الاستعمال.

ولا يفوتنا أن نذكر أن ابن المعتز هو الذى سبق بالتعريف بهذا اللون البديعى[1] واستشهد له بشواهد من القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، وأشعار القدماء والمحدثين، وقسمة إلى ثلاثة أقسام فقط، وهى الصور الأولى والثالثة والرابعة من الصور السابقة.

(١) انظر: البديع لابن المعتز ص ٥٨٦ ؛ تحرير التحبير ١١٦ : ١١٩، خزانة الأدب ١ / ٢٥٥.

بلاغة رد العجز على الصدر:

من رد العجز على الصدر ما هو بين كلمتين متجانستين أو ملحقتين بالمتجانستين وهذا ما يفيد من البلاغة مثل ما أفاده الجناس وهو حسن الافادة مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة، ومن لفت الأنظار إليه وجذب السامعين نحوه، وإصغائهم إلى سماع هذه الألفاظ المكررة المختلفة فى المعنى، فيتمكن المراد فى القلب، ويقوى فى الوجدان[1].

ومنه ما هو يكرر بين كلمتين متفقتين فى المعنى، وهذا يقوى المعانى لاعادة الألفاظ مرة ثانية، كما يجمل الألفاظ بما يحمله من رنين موسيقى وانسجام بين لفظين بينهما اتفاق تام، كما يعمل الفكر ويشوق السامع إليه. فالكلام الذى تردد ألفاظه ويرجع بعضها إلى بعض، فيه تقرير وبيان وتدليل، ونوع من الدلالة والتقرير، يقول الشاعر:

وما كل ذى لبٍّ بمؤتيك نصْحه   وما كل مؤتٍ نصحَه بلبيب

فالتكرار أفاد السامع فائدة مزدوجة، فهنا: رجل لبيب حازم يضن بنصحه وآخر يتشادق بالنصيحة وهو غير لبيب لأنه يتبرع باسداء النصيحة، والسامع آسف على ضن الأول، عائب على تبرع الثانى، وكلا الرجلين فى الحياة يقف أحدهما من الآخر موقفا متضاداً، فترى أحدهما مدبراً والآخر مقبلاً، وأنت تجرى وراء المدبر، وتعرض عن المقبل، وفى كل هذا دلالات تتردد وتكرر بتردد الألفاظ وتكرارها[2].

ورد الأعجاز على الصدور من روابط التذكر وأسباب الفطنة وسرعة البديهة، لأأن السامع يستطيع أن ينطق بالقافية الشعرية أو بالشطر الأخير كله بمجرد سماعه الشطر الأول مثل:

مشيناها خطى كتبت علينا   ومن كتبت عليه خطى مشاها

فيتقرر فى الشطر الأخير معنى فى حتمية القضاء والقدر لابد أن يخضع له الإنسان، وسرعان ما يكمل المعنى الأول ـ فى الشطر الأول ـ بسهولة ويسر.

وبعد .. فإن صور "رد العجز على الصدر" جمالها فى أن تأتى بدون تكلف وحسب ما يقتضيه المقام.

---

(١) انظر: الألوان البديعية د/ حمزة الدمرداش ص ١٦٩.

(٢) انظر: البديع فى ضوء أساليب القرآن الكريم ص ١٧٣.

السجـــع

يقال سجعت الناقة: إذا مدت حنينها على جهة واحدة، ومنه سجع الحمامة إذا هدرت، وهو ترديدها الصوت على نمط واحد.

السجع: هو اتحاد الفاصلتين من النثر فى الحرف الأخير منهما[١]، الفاصلة هى الكلمة الأخيرة من القرينة أو الفقرة[٢] التى جعلت مزاوجة لأخرى.

وهذا اللون من ألوان البديع كثير الدوران على ألسنة البلغاء والأدباء، وقد اهتم به علماء البلاغة نظراً لوروده فى كتاب الله تعالى وسنة نبينا محمد ﷺ، ولو كان مستكرها لما ورد فى ذلك الكلام الفصيح البليغ، ومن أجل ذلك لا يكاد بليغ من البلغاء يرتجلَ خطبة ولا يحرر موعظة إلاّ ويكون أكثره مبنياً على التسجيع، والشبهة فى كره السجع لمن كرهه لما ورد عن الرسول ﷺ لَمّا أوجب فى الجنين غُرّةً عبداً أو أمة، فقال الذى أوجبها عليه كيف نَدِى من لا شربَ ولا أكل، ولا نطق ولا استهلّ، ومثل ذلك يطل، فقال ﷺ: أسجعاً كسجع الكهان!.

فأنكر السجع على من تكلم به، وفى هذا دليل على استكراهه، ولكنه لم ينكر السجع مطلقاً، وإنما أنكر سجعاً مخصوصاً بالكهان لأن أكثر إخبارهم عن الأمور الكونية والأوهام الظنية على جهة السجع وتطابق أعجاز الألفاظ، ويريدون به إبطال حق فتتشدق ألسنتهم به، للتأثير على السامع وما يؤدى إليه من فورة انفعالية[٣].

وقديما قالوا فى صفة الكلام المسجوع: الحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط، وهو أحق بالتقييد، وبقلّة التفلت.

هذا وقد منع فريق من العلماء أن يسمى ما جاء فى القرآن الكريم على هذه الوتيرة سجعاً. وآثروا أن يسموه فواصل، لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ فصلت ٣.

والرمانى أول من عرّف الفواصل وفرّق بينها وبين الأسجاع تعريفا واضحا، فالبون شاسع بينهما، لأنه يخرج السجع من البلاغة وهو عيب، لأنه متكلف، والمعانى تابعة له وهى

(١) انظر: أسرار البلاغة ٤ ، ٥.
(٢) الايضاح ١٠٦/٦.
(٣) انظر الطراز ١٨/٣ : ٢١ بتصرف.

أهم، وينأى بالقرآن عن السجع، ويعتبر الفواصل كلها بلاغة، ولذلك فهى كثيرة فى القرآن وكلها بلاغة وحكمة، لأنها طريق إفهام المعانى التى يحتاج إليها فى أحسن صورة يدل بها عليها [1].

والسجع على ثلاثة أنواع:

مطرف ومرصع ومتواز.

أولاً : المطرف:

ما اختلف فيه الفاصلتان في الوزن مع الاتفاق فى التقفية كما فى قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ نوح ١٣ ، ١٤.

فالفاصلتان مختلفتان في الوزن، لأن "وقارا" على وزن "فعال" و"أطوارا" على وزن "أفعال" والاتفاق بينهما فى الحرف الأخير فقط الذى هو شرط لحصول السجع.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ التكوير ١، ٢.

وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الإِنْسَانَ ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرحمن ١ : ٤.

وقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ عبس ١ : ٣.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ النبأ ٦ ، ٧.

فالفواصل فى هذه الآيات الكريمة مختلفة في الوزن، ولكنها متفقة فى الحرف الأخير منها.

وهذا النوع من السجع سمى مطرفاً، لأن التوافق بين الفاصلتين وقع فى الطرف، وهو الحرف الأخير.

---

(١) النكت للرمانى ٩٧ ، ٩٨ بتصرف.

ثانياً: المرصع:

ما اتفقت فيه ألفاظ الفقرتين أو أكثرها وزناً وتقفية. كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ الانفطار ١٣ ، ١٤.

فالفاصلتان نعيم، جحيم، متفقتان في الوزن والتقفية، وكل ما في القرينة الأولى موافق لما في الثانية في الوزن والتقفية.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ الغاشية ٢٥ ، ٢٦.

فالفاصلتان: "إيابهم" و "حسابهم" متفقتان في الوزن والتقفية، وكل ما في القرينة الأولى موافق لما في الثانية في الوزن والتقفية.

وكقول الرسول ﷺ: "اللهم أعط منفقاً خلفا، وأعط ممسكاً تلفا".

فقد اتفقت الفاصلتان: "خلفا" و "تلفا" في الوزن والتقفية، واتفقت جميع الألفاظ التي في القرينة الأولى مع جميع الألفاظ التي في القرينة الثانية في الوزن والتقفية أيضا.

وكقول الحريري: "فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه فكل ما في القرينة الأولى موافق لما في القرينة الثانية في الوزن والتقفية، وقول الهمذاني: إن بعد الكدر صفوا، وبعد المطر صحوا".

وقول البستي: "ليكن إقدامك توكلا، وإحجامك تأملا" (١).

فجميع ما في القرينة الأولى من الألفاظ في المثالين موافق لما في الثانية في الوزن والتقفية.

وسمي هذا القسم مرصعا تشبيها له بعقد اللؤلؤ حيث توضع اللؤلؤة في جانب، وتوضع مثلها في جانب آخر، فالفقرتان المتفقتان في الوزن والتقفية مثل هذه الآلىء المتماثلة في جانبي العقد.

---

(١) انظر: الايضاح ١٠٧/٦.

ثالثاً: المتوازى:

أن تتفق فاصلتاه فى الوزن والتقفية، ولا يكون ما فى إحدى القرينتين أو أكثر ما فيها موافقاً للأخرى فى الوزن والتقفية.

فضابطه وشرطه الوحيد انفاق فاصلتيه في الوزن والحرف الأخير منهما دون مراعاة التوافق فى ألفاظ القرينتين.

كقوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ الفجر ١ : ٣.

فالفواصل الثلاث: فجر، عشر، وتر. متفقة فى الوزن والتقفية.

وكقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ الغاشية ١٣ ، ١٤.

فالفاصلتان: مرفوعة، موضوعة، اتفقتا فى الوزن والتقفية دون باقى ألفاظ القرينتين.

وقول الرسول ﷺ فى دعائه: "اللهم إنى أدرأ بك فى نحورهم وأعوذ بك من شرورهم".

فالفاصلتان: نحورهم، شرورهم: متفقتان فى الوزن والحرف الأخير منهما، ولكن باقى ألفاظ القرينتين لا يوجد بينها اتفاق فى الوزن والتقفية.

وقول الرسول ﷺ: "رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم".

وقول بعض الحكماء يوصى أبناءه: يا بنى لا تزهدن فى معروف، فإن الدهر ذو صروف، والأيام ذات نوائب على الشاهد والغائب، فكم من راغب كان مرغوبا إليه وطالب أصبح مطلوبا ما لديه، واعلم أن الزمان ذو ألوان ومن يصحب الزمان ير الهوان.

فقد اتفق أقل ألفاظ الفقرتين فى الوزن والتقفية، وسمى متوازياً لتوازى الفاصلتين أى توافقهما وزناً وتقفية.

هذا .. وقيل إن أحسن السجع ما تساوت قرائنه، كقوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ الواقعة ٢٨: ٣٠.

يقول الشيخ الدسوقى: فهذه قرائن ثلاثة وهى متساوية فى كون كلّ مركبة من لفظين، والسدر: شجر النبق، المخضود: الذى لا شوك له كأنه خُضِّد، أى قُطع شوكه، والطلح: شجر الموز، والمنضود: الذى نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه[1].

وكقول عليّ بن أبي طالب يصف الرسول ﷺ: "عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت فى حرم، وبسقت فى كرم، إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى".

وقول الحريرى: "ارتفاع الأخطار باقتحام الأخطار".

فالمراد بالأخطار الأولى: المنزلة والقدر، والأخطار الثانية: يراد بها الإشراف على المهالك، فالمعنى: ارتفاع قدر الإنسان إنما يكون باقتحام المخاوف والمهالك.

ويلى هذا القسم فى الحسن ما طالت قرينته الثانية كقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ النجم ١،٢.

فالقرينة الثانية أطول ألفاظا من القرينة الأولى.

ويلى ذلك ما طالت قرينته الثالثة كقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ الحاقة ٣٠ : ٣٢.

فالقرينة الثالثة وهى "ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه".

أطول ألفاظا من الأولى والثانية.

يقول الدسوقى: هما قرينتان متساويتان فى أن كلا منهما كلمة واحدة ولا عبرة بحرف الفاء المأتى به للترتيب فى كون الثانية من كلمتين، وأما قوله: "ثم الجحيم صلوه، فهو قرينة ثالثة، وهى أطول من كل ما قبلها"[2].

وقد اجتمع طول القرينة الثانية مع الثالثة فى قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ العصر ١ : ٣.

---

(١) حاشية الدسوقى ٤/٤٤٩.
(٢) المرجع السابق.

ويقبح أن تأتي قرينه قصيرة بعد أخرى طويلة، لأن السامع ألف سماع القرينة الطويلة، فيترقب سماع الثانية ويتوقع أن تكون الثانية مثلها في الطول، فإذا جاءت أقصر من الأولى كان ذلك كالشيء المبتور، أو كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها، والذوق يشهد بذلك ويقضي بصحته[1].

هذا وقد مثل البلاغيون للأنواع الثلاثة بآيات من القرآن الكريم، وهذا يشير إلى أن القرآن فيه حسن وأحسن، مع أن القرآن كله في الطبقة العليا من البلاغة ولا تفاوت فيه بين آية وأخرى.

وتساوى القرائن وطول الثانية، وطول الثالثة إنما هو لرعاية المقام، ومتطلبات البلاغة، ولكل آية هدف لا تحيد عنه، وليس الطول والقصر لحسن وأحسن كما يراه مقسمو هذه الأقسام.

هذا وإن سكون الأعجاز أصل ينبغي عليه تحصيل السجع، وهو واجب عند اختلاف الحركات الإعرابية ومستحسن عند اتفاقها، كقول الرسول ﷺ: "أيها الناس، أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"، فالفواصل هي: السلام وهي نهاية الفقرة الأولى، والطعام وهي نهاية الفقرة الثانية، الأرحام، نيام، بسلام ـ على الترتيب، فاتفقت الحركات الإعرابية في الفقرات الثلاث الأولى، واتفقت الفاصلتان الرابعة والخامسة في حركات الإعراب.

ومثل ذلك قول الرسول ﷺ: "رحم الله عبداً قال خيراً فغنم، أوسكت فسلم". وكقولهم: "ما أبعد ما فات، وما أقرب ما هو آت"[2].

هذا ولا يحسن السجع إلاّ إذا كان أداة للوصول إلى لب المعنى وجاء من غير تكلف، ولذلك اشترط البلاغيون لحسن السجع وجودته شرطاً عاما هو : أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها، وأن يكون السجع بريئا من التكلف خالياً من التعسف.

---

(١) انظر: الايضاح ١٠/٦ بتصرف.
(٢) انظر الايضاح ١٠٩/٦.

وقد أشاد عبدالقاهر الجرجاني بالسجع عما يضفيه على المعنى من حسن وبهاء، فيقول: "وإن أنت تتبعت من الأثر كلام النبي ﷺ تثق كل الثقة بوجودك له على الصفة التي قدمت، كقوله ﷺ: أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"، فإنك لا تجد في جميع ما ذكرت، لفظاً اجتلب من أجل السجع.

أي أن المتكلم لم يقد المعنى نحو التجنيس والسجع بل قاده المعنى إليها[1]. لأن السجع الحسن هو ما تطلبه المعنى واستدعاه الحال.

السجع والشعر:

وقيل السجع غير مختص بالنثر، ومثلوا له من الشعر بقول أبي تمام:

تجلى به رشدى، وأثرت به يدى   وفاض به ثمدى، وأورى به زندى

أثرت: صارت ذات ثروة، الثمد بكسر الثاء: الماء القليل، أورى: صار ذا ورى أي نار، والزند: العود الأعلى الذى يقتدح به النار، وهذا كناية عن الظفر بالمطلوب، والسجع في اتفاق فواصله في الدال.

وكقول الخنساء في أخيها صخر:

حامي الحقيقة محمود الخليقة مهـ   ـدى الطريقة نفاع وضرار

فقد انفقت فواصله في القاف - وهو - ظاهر التكلف.

ومن السجع على هذا القول،: إنه يأتي في الشعر ومن أشهر أنواع السجع فيه نوعان: التشطير والتصريع.

---

(١) انظر: أسرار البلاغة ١٨، ١٩.

١ ـ التشطيـــــر

وهو أن يجعل كل من شطرى البيت سجعة مخالفة لأختها بأن يكون كل شطر فقرتين تخالف الأوليان منهما الآخريين، كقول أبى تمام فى مدح المعتصم بن هارون الرشيد:

تـدبيـــر معتصـــم بـــالله منتقـــم ‌‌ ‌‌ ‌‌ لله مـــرتغب فـــى الله مـــرتقب

فالشطر الأول مركب من فقرتين متفقتين في الميم، والشطر الثانى من فقرتين متفقتين فى الباء.

يقول ابن يعقوب: لا يخفى أن سجعتى الشطر الأول بالميم وسجعتى الثانى بالباء فهذا تشطير لأنه جعل سجعتى الشطر الأول مخالفتين لأختيهما من الشطر الثانى وقد وجد السجع في البيت بلا سكون، وبه يعلم أن العدول إلى السكون فى السجع إنما هو عند الحاجة إليه، وقد وصف الممدوح فى البيت بأنه ممن يعتصم بالله، أى يتحصن به تعالى ويتوكل عليه، وينتقم ممن انتقم منه لله أى لأجل أخذ حق الله من ذلك المنتقم منه، ويرغب فيما عند الله، ويرتقب من الله تعالى ثوابه، ويرجوه أن يرفع عنه عذابه فهو خائف راج كما هو صفة المؤمنين[١].

وقد أيد أبو هلال العسكرى وجود السجع فى الشعر إذ يقول:

وقد أعجب العرب السجع حتى استعملوه فى منظوم كلامهم، وصار ذلك الجنس من الكلام منظوماً فى منظوم وسجعاً فى سجع[٢].

هذا ولم يذم العلماء إلاّ السجع المتكلف الذى يميت المعانى، ويقتل الأفكار ويقيد العقول، والذى يتشدق به الكهان فيزيفون الحقائق، ويضحكون به على السذج من البشر، هذا السجع الذى لا يلتفت فيه صاحبه إلى مشاعره وعواطفه هو الممنوع فى البلاغة.

---

(١) مواهب الفتاح ٤/٤٥٥.

(٢) الصناعتين: ٢٧٠.

أما السجع الذى يأتى عفو الخاطر عن طبيعة وسجية، ويكون تابعاً للمعانى فلا أحد يمنعه، وهو محسن من المحسنات البديعية.

ويقول ابن الأثير ... السجع المتكلف هو الذى يذم ويستقبح لما فيه من التكلف والتعسف وأما إذا كان محمولا على الطبع غير متكلف فإنه يجيء فى غاية الحسن وهو على أعلى درجات الكلام ...(١).

ويتضح مما سبق ان العلماء قد أجازوا السجع بشروطه السابقة، ولم يروا ما رآه الرمانى فى أن (الفواصل بلاغة والسجع عيب) وكان قوله هذا مثار مناقشات بعيدة المدى بين البلاغيين الذين أتوا بعده على مرِّ العصور وكان له صدى بين أصحاب البيان، ولذلك جردوا أقلامهم وأخذوا يدافعون عن السجع، ويثبتون أنه لا مانع من إطلاق اسم السجع على فواصل القرآن.

وفى العصر الحديث أحجمت الدكتورة عاشئة عبد الرحمن - رحمها الله - عن تسمية فواصل القرآن سجعا تقول: "وما نزال نجد جفوة تجاه لفظ السجع، لطول ما ابتذلته الصنعة اللفظية فى الزخرف البديعى فى أساليب العصور المتأخرة بعد ان التزمه الكهان فى العصر الجاهلى.

ومن ثم نؤثر ان نمضى على تسمية مقاطع الآيات فى القرآن بالفواصل وهو الذى جرى عليه أكثر المفسرين (٢).

---

(١) المثل السائر لابن الأثير ١ / ٢٧٦ ، ٢٧٧ بتصرف

(٢) الإعجاز البيانى للقرآن د. بنت الشاطيء ص ٢٤٨.

٢ ـ التصريع

وهو جعل العروض مقفاه تقفية الضرب(١) كقول أبى فراس:

بأطراف المثقفة العوالى ... تفردنا بأوساط المعالى

المثقفة: المقومة، العوالى: الرماح، أوساط المعالى: أجلها وأعظمها. فالعروض: العوالى، الضرب: المعالى وقد انفقت العروض مع الضرب فى اللام المكسورة، فحدث بينهما سجع يسمى "تصريعا".

وهو مما استحسن حتى إن أكثر الشعر صرع البيت الأول منه، ولذلك متى خالفت العروض الضرب في الوزن جاز أن تجعل موازنة له إذا كان البيت مصرعا كقول امرىء القيس:

ألاعم صباحاً أيها الطلل البالى ... وهل ينعمن من كان فى العصر الخالى

عم صباحاً: هى تحية الصباح عند العرب، الطلل: ما شخص من آثار الديار، العُصُر: بضم العين والصاد لأجل الوزن وأصله العصْر بالسكون، وهو الدهر الخالى أى الماضى.

فالعروض البالى وهى متفقة مع الضرب: "الخال" فى اللام المكسورة

وكقول البوصيرى فى مدح الرسول ﷺ :

كيف ترقى رقيك الأنبياء ... ياسماء ما طاولتها سماء

وفائدة التصريع فى الشعر: إنه قبل كمال البيت الأول من القصيدة، يُعلمَ قافيتها، وشُبِّه البيت المُصَرَّع بباب له مصراعان متشاكلان، وقد فعل ذلك القدماء والمحدثون، وفيه دلالة على سعة القدرة فى أفانين الكلام.

ويحسن التصريع إذا قلَّ وجرى مجرى الغرة من الوجه، أو كان كالطراز من الثوب، أما إذا تواتر وكثر، فيكون فيه من أمارات الكلفة ما يأباه الطبع.

---

(١) العروض: هى آخر تفعيلة فى الشطر الأول من البيت، الضرب: هو آخر تفعيلة فى الشطر الثانى من البيت.
انظر الايضاح ٦/١١١.

الموازنة والمماثلة [1]

الموازنة: أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية، والمراد بالفاصلتين الكلمتان الأخيرتان من الفقرتين أو المصراعين.

كقوله تعالى:

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ الغاشية ١٥، ١٦.

النمارق: الوسائد الصغيرة، الزرابي: البسط الفاخرة، مبثوثة: مفروشة. فلفظا "مصفوفة"، و "مبثوثة" متساويان في الوزن لا في التقفية، لأن الأول على الفاء، والثاني على الثاء، ولا ينظر إلى تاء التأنيث، لأنها لا تعد من حروف القافية لإبدالها هاء في الوقف.

يقول ابن يعقوب: فالفاصلة في الفقرة الأولى مصفوفة، وفي الثانية "مبثوثة" وهما متفقتان في الوزن الشعرى دون التقفية، ضرورة مخالفة الفاء في الأولى للثاء في الثانية، ولا عبرة بهاء التأنيث في التقفية على ما تقرر ذلك في علم الشعر [2].

المماثلة: وإذا كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خص باسم المماثلة.

كقوله تعالى:

﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الصافات ١١٧، ١١٨.

فالكتاب من القرينة الأولى، موازن للصراط من الثانية، والمستبين من الأولى موازن للمستقيم من الثانية، والمفعول "هما" من الأولى متفق مع المفعول "هما" في الثانية وكذلك الفاعل "نا" في الأولى متفق مع الفاعل "نا" في الثانية ولاخلاف إلاّ في الفعل.

---

(١) انظر: الايضاح ٦/١١٢، ١١٣.

(٢) انظر: مواهب الفتاح ٤/ذ٤٥٦.

وقول أبي تمام:

مهـا الـوحـش إلاّ أن هـاتـا أوانـــس قنـا الخـط إلاّ أن تلـك ذوابـــل

فإن مها فى الشطر الأول موازن لقنا فى الشطر الثانى، وأوانس من الشطر الأول موازن لذوابل من الشطر الثانى، وقوله إلا أن متفق فى الشطرين، وأما "هاتا" فى الشطر الأول، "تلك" فى الشطر الثانى فهما غير متوازيين.

وقول البحترى:

فـأحجـم لما لـم يجـد فيـك مطمعـا وأقـدم لمـا يجـد عنـك مهـربـا

فإن "أقدم" فى الشطر الثانى، موازن "لأحجم" فى الشطر الأول، و "لما يجد" فى الشطر الثانى موازن لنظيرتها فى الشطر الأول، "عنك" موازن لـ "فيك" و"مهربا" موازن لـ "مطمعاً" وليس فى البيت موافقة فى التقفية.

يقول ابن يعقوب: "ولاشك أن كل لفظ من المصراع الأول، موازن لما يقابله من المصراع الثانى.

والمعنى أن هذا الأسد لما لم يجد فيك لقوتك عليه طمعا فى تناولك فأحجم، ولّما عرف أنه لا ينجو منك أقدم دهشاً، فإقدامه تسليم منه لنفسه، لعلمه بعدم النجاة لا للشجاعة، وهذا النوع وهو تساوى الكل هو الأحسن، والترفه فى أكثر مديحه[1].

هذا وأسلوب الموازنة يضفى على الأسلوب الجمال والبهاء، وقد أثنى عليه ابن الأثير وجعله مما يرتفع به قدر الكلام، فيقول:

"وللكلام بذلك طلاوة ورونق، وسببه الاعتدال لأنه مطلوب فى جميع الأشياء. وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان وهذا لامراء لوضوحه[2].

(١) مواهب الفتاح ٤/٤٥٩.
(٢) المثل السائر ١١١.

القلـــب

وهو أن يكون الكلام بحيث لو عسكت قراءته الأولى بأن بدأت بحرفه الأخير، ثم بما يليه، ثم بما يلي ما يليه، وهكذا إلى الحرف الأول كان الحاصل من ذلك العكس، هو هذا الكلام بعينه، وهذا القلب يجرى فى النظم والنثر ولا يضر فى القلب المذكور تبديل بعض الحركات والسكنات، ولا تخفيف ما شدد أولاً، ولا تشديد ما خفف أولاً، ولا قصر ممدود، ولا مدّ مقصور، ولا تصيير الألف همزة ولا الهمزة ألفا، فكل ذلك يصح معه القلب، وهذا فى القلب الذى يكون فى مجموع البيت، ويلزم من كونه يرجع بالقراءة من الأخير إلى ما قرأ أولاً كون مقلوب الشطر الثانى نفس قالب الأول ومقلوب الأول هو نفس قالب الثانى ليلزم عود البيت كما كان أولاً [1].

وهذا غير القلب السابق فى التجنيس وغير القلب السابق فى عالم المعانى[2]

وهذا القلب يجرى فى النظم والنثر، وما جاء منه فى قول ا لله عز وجل:

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ الأنبياء ٣٣.

فلو عكست قراءة هذه الجملة وقرأتها من آخرها كانت مثل قراءتها من أولها.

ومثل ذلك[3] قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ المدثر ٣.

ولا ثالث لهاتين الآيتين فى القرآن الكريم [4].

وكقول عماد الدين الكاتب للقاضى الفاضل "سر فلا كبابك الفرس"

وردّ القاضى "دام علا العماد".

وكقول القاضى الأرجانى:

مودته تدوم لكل هول ... وهل كل مودته تدوم

(١) انظر: مواهب الفتاح ٤/٤٥٩ ، بتصرف.
(٢) انظر: عروس الأفراح ٤/٤٥٩.
(٣) انظر: الايضاح ٦/١٣٣،
(٤) الألوان البديعية ص ١٧٠.

الهول: المخافة من الأمر، والاستفهام في البيت للإنكار، والمراد وصف صاحبه بالوفاء من بين الأصحاب.

فيمكن أن يقرأ البيت من آخره لأوله كما يقرأ من أوله لآخره، ولا يخفى علينا ما في هذا اللون من تكلف.

وقد يكون القلب في المفرد مثل: سلس، باب.

وقد يكون القلب في الكلمات كقول الشاعر:

عدلوا فما ظلمت لهم دول سعدوا فمازالت لهم نعم
بذلوا فما شحت لهم شيم رفعوا فمازلت لهم قدم

فهذا مدح لهم ودعاء لهم أيضاً بألاّ يظلمون ولا تزول عنهم النعم وحسن الأخلاق، وألاّ تزل أقدامهم.

وإذا قلبت كلماته صار دعاء عليهم، وهو:

نعم لهم زالت فما سعدوا دول لهم ظلمت فما عدلوا
قدم لهم زلت فما رفعوا شيم لهم شحت فما بذلوا[1]

ومن ذلك نرى أن هناك فرق بين تجنيس القلب، وبين القلب من وجهين:

- أن تجنيس القلب يجب أن يذكر فيه اللفظ الذى هو المقلوب مع مقابله.
- أن تجنيس القلب لا يجب أحد المتجانسين فيه نفس مقلوب الآخر.

إذا قرئ من آخره، كالقمر والرقم، فإن الجمع بينهما تجنيس القلب ولو قرئ أحدهما على الترتيب لم يكن نفس الآخر بخلاف القلب هنا، فيذكر اللفظ المقلوب وحده، وحيثما قرئ من آخره كان نفسه كسلس[2] وهذا النوع يدل على المهارة في صف الكلمات والتلاعب بالألفاظ.

(١) عروس الأفراح ٤/٤٦٠.
(٢) مواهب الفتاح ٤ / ٤٦٠.

التشـــريـــع

التشريع: تقرير أحكام الشرع. وليس المقصود به هنـا هـذا المعنـى، لأن ذلـك وصف للبارى عز وجـل أصالـة، ووصـف لرسـوله ﷺ نيابـه وهنـاك اعـتراض على تسمية هذا المحسن اللفظى بهذا الاسم [1].

والأوجب أن يطلق عليـه اسـم التوشـيح أو ذو القـافيتين، والتسـمية الأخـيرة اصرح فى معناه، والتوشيخ فى الأصل التزبين باللآلى ونحوها.

وتعريفه: بناء البيـت على قـافيتين أو أكـثر بحيـث يصـح المعنـى والـوزن عنـد الوقوف على كُلٍّ منهما أى كـل مـن القـافيتين اللتـين بنـى البيـت عليهمـا، علـى أن يكون الوزن مع خصوص كل من القافيتين من بحر غير الأخرى، أو مـن ضـرب غـير ضرب الأخرى مع كونهما من بحر واحد، أو يبنى الأبيات على قواف متعـددة وهـو قليل، والموجود كثير، وعليه تبنى القصائد ما يكون من قافيتين.

وأبلغه ما يكون فى جميع القصيدة:

ومثال ما بنى على قافينين كقول الحريرى:

يـــا خـــاطب الدنيـــا الدنيـــة إنهـــا	شـــرك الـــردى وقـــرارة الأكـــدار
دار متـــى أضحكـــت فـــى يومهـــا	أبكـــت غـــداً تبـــاً لهـــا مـــن دار
غـــاراتها لا تنقضـــى وأسيـــرهـــا	لا يفتـدى بجـــلائـــل الأخطـــــار

فقد جعل لهذه الأبيات، وكذا سائر أبيات القصيدة قافيتين: إحداهمـا صاحبـة الروى الذى هو الدال فتكون الأبيات هكذا:

يـــا خـــاطب الدنيـــا الدنيـــ	ـــة إنهـــا شـــرك الـــردى
دار متـــــــــى أضحكـــــــت	فـــى يومهـــا أبكـــت غـــدا
غاراتهـــــــــا لا تنقضـــــــــى	وأســـــــيرها لا يفتــــــدى

(١) انظر: مواهب الفتاح ٤ / ٤٦١.

وقد يتصرف الشاعر فيجعل لشعره أكثر من قافية كقول الحريرى:

جودى علـى المستهنز الصب الجـوى وتعطفـــى بوصالـــه وترحمـــى

ذا المبتلى المتفكـر القلـب الشجـى ثم اكشفى عن حـاله لا تظلمـــى(١)

فهذه الأبيات مبنية على قواف متعددة:

الأولى: رائية فى المستهتر والمتفكر فيقال من منهوك الرجز:

جـــــودى علـــــى المستهتـــــر ذا المبتلـــــــى المتفكـــــــر

الثـانيـــة:

بائية فى الصب والقلب، فيقال من مشطور الرجز الأحدُ:

جـــــودى علـــــى المستهتـــــر ذا المبتلـــى المتفكـــر القلـــب

الثـالثـــة:

بائية فى الجوى والشجى فيقال من مشطور الرجز:

جودى على المستهتر الصب الـجوى ذا المبتلى المتفكـر القلـب الشجى

الرابعـة:

فائية فى تعطفى واكشفى فيقال من مجزوء الرجز:

جودى على المستهتر الصب الجوى وتعطفى

ذا المبتلـــى المتفكـــر القلـــب ثـــم اكشفـــى

الخـامسـة:

هائية فى وصاله وحاله فيقال:

جودى على المستهتر الصب الجوى وتعطفى بوصاله

ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى ثم اكشفى عن حاله

---

(١) المستهتر: المولع الذى لا يبالى بما قيل فيه،
الصب: العاشق،
الجوى: هو المحروق بنار العشق أو الحزن.

لزوم مالا يلزم [1]

هو ضرب من السجع وإن وقع فى الشعر، ولا يخفى مافيه من التكلف، وأما ما جاء منه فى القرآن الكريم فهو غير مقصود ولا متعمد، وإنما جاء تابعا للمعنى، ومطلوباً للمقام، واستدعى للمناسبة.

والأديب يتصرف فى أدبه تصرفا يكشف به عن مهارته وتأنقه، فيلتزم قبل حرف الروى ـ وهو الحرف الذى تبنى عليه القصيدة، أو قبل الحرف الذى وقع فى آخر فواصل الفقرات ما ليس بلا زم فى السجع.

فمن التزام الحرف والحركة قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾ الضحى ٩ ، ١٠.

فالروى فى "تقهر ـ تنهر" بمنزلة الروى من القافية من حيث الختم بهذا الحرف وهو كاف فى "باب الفواصل" ولكن إلتزام "الهاء" قبل "الراء" منهما التزام لما لا يلزم. وقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ، فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ، وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ الطور ١، ٥.

ويقول الله عز وجل: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ القمر ١ ، ٢.

فالراء فى "القمر ومستمر: بمنزلة الروى كذلك من حيث الاعتماد على هذا الحرف فى الختم به، ولكن جيء قبل كل منهما بميم، والتزام هذه "الميم" التزام لما يلزم، وهى مثال عل الالتزام فى الحرف وحده.

ومن التزام حرفين وحركتين قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ، وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ القلم ٢ ، ٣.

وقوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ، وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ، وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ، وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ القيامة ٢٦ ، ٣٠.

---

(١) انظر: الايضاح ١١٥/٦.

وكقول الشاعر:

سلم على قَطَن إن كنت نازلَه | سلامَ من كان يهوى مرة قطِنا
أحبه والذى أرسى قواعِدَه | حُبًّا إذا ظهرت آياته بطنا
مامن غريبٍ وإن أبدى تجلده | إلاّ تذكر عند الغربةِ الوطنا

ومن التزام أكثر من حرفين وحركتين قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ، وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾ الأعراف ٢٠١ ، ٢٠٢.

ومن الشعر قول الشاعر:

سأشكر عُمَراً إنْ تراخت منيتى | أيادِيَ لم تُمْنَن وإن هى جلَّت
فتى غيرُ محجوب الغِنى عن صديقه | ولا مُظْهر الشكوى إذا النعل زلَّتَ
رأى خَلَّتىَ من حيث يخفى مكانُها | فكانت قذى عينه حتى تجلَّت

أيادى: جمع يد بمعنى النعمة وهي مجاز مرسل، لم تمنن: لم تخلط بمنة أو لم تقطع، إذا النعل زلت: كناية عن نزول الشر، زلت: زلقت.

فى هذه الأبيات ــ الروى هو حرف "التاء" الذى بنيت عليه القصيدة، ولكن الشاعر جاء قبلها بلام مشددة مفتوحة، وليس ذلك بلازم فى القافية، إلاّ أن الشاعر ألزم نفسه باللام المشددة، والتزامها لزوم لما لا يلزم.

وقد يكون فى الحركة وحدها كقول ابن الرومى:

لما تُؤْذِن الدنيا به من صروفها | يكون بكاءُ الطفل ساعة يولد
وإلا فما يبكيه منها وإنها | لأوسعُ مما كان فيه وأرغدُ

ويقول أبو العلاء المعرى:

يقولون فى البستان للعين لذةٌ | وفى الخمر والماء الذى غير آسن[1]
إذا شئت أن تلقى المحاسن كلها | ففى وجه من تهوى جميع المحاسن

(١) الآسن: المتغير، تهوى: تحب.

الآسن: المتغير، تهوى: تحب.

فحرف الروى هو "النون" المكسورة، وهو الذى بنيت عليه القصيدة، ولكن الشاعر لم ينته عند هذا الحدّ، ولم يكتف بالتقيد بحرف الروى، بل ألزم نفسه قبل ذلك الحرف بحرف السين، والتزام ذلك التزام لما لا يلزم.

ويسمى ابن المعتز هذا المحسن اللفظى" اعنات الشاعر نفسه فى القوافى "وهو من أفراد ابن المعتز واصطلاحه(١).

هذا وأسلوب لزوم مالا يلزم من محاسن الكلام إذا وفق فيه الأديب فجاء عفو الخاطر، وكان المعنى هو الذى يقود إليه ويستدعيه.

يقول ابن الأثير: هو من أشق هذه الصناعة مذهبا، وأبعدها مسلكا، وذاك لأن مؤلفه يلتزم مالا يلزمه، فإن اللازم فى هذا الموضع وما جرى مجراه إنما هو السجع الذى هو تساوى أجزاء الفواصل من الكلام المنثور فى قوافيها، وهذا فيه زيادة على ذلك، وهو أن تكون الحروف التى قبل الفاصلة حرفا واحداً، وهو فى الشعر أن تتساوى الحروف التى قبل روى الأبيات الشعرية،

وقد جمع أبو العلاء كتاباً فى ذلك وسماه كتاب "اللزوم" فأتى فيه بالجيد الذى يُحمد والردىء الذى يذم(٢).

---

(١) انظر الايضاح ١١٥/٦ الهامش.
(٢) انظر: المثل السائر ١٩٦.

المحسنات اللفظية وشرط حسنها

ويرجع أصل الحسن في المحسنات اللفظية أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني، وليست المعاني توابع للألفاظ بأن يؤتى بالألفاظ متكلفة مصنوعة فيتبعها المعنى كيف ما كانت، كما فعله بعض المتأخرين الذين لهم شغف بايراد المحسنات اللفظية، فيجعلون الكلام كأنه غير مسوق لإفادة المعنى، ولا يبالون بخفاء الدلالات وركاكة المعنى، فتترك المعاني على سجيتها، فتأتي الألفاظ التي تليق بها، وبهذا تظهر البلاغة والبراعة، ويتميز البليغ والفصيح عن غيرهما، وفي ذلك قال عبدالقاهر الجرجاني:

"هو أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني، فإن المعاني إذا أرسلت على سجينها، وتركت وما تريد، طلبت الألفاظ، ولم تكتس إلاّ ما يليق بها، فإن كان خلاف ذلك كان كما قال المتنبي:

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقد يقع في كلام بعض المتأخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ماله اسم في البديع على أن ينسى أنه يتكلم ليفهم، ويقول ليبين، ويخَيّل إليه أنه إذا جمع عدة من أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء، وأن يوقع السامع في خبط عشواء"(١).

هذا وقد عنى البلاغيون والنقاد باستخلاص فنون البديع، وإضافة الجديد إلى فنونه، وقد يكون من بينها المتكلف الذى لا يؤدى رسالته في رقي الأسلوب وجمال العبارة، كما اشتغلوا بتجويد التعاريف، وذكر الأقسام، وتحكيم العقل في عدّها، وتكلفوا في الأمثلة، فلما لم يجدوا له مثالا عمدوا إلى وضع مثال صناعي له، لا ينبع من عاطفة، ولا يصدر عن إحساس.

---

(١) انظر: الأسرار ١٣ - ١٦ ،
الايضاح : ١١٦/٦.

وقد شغلتهم التعاريف والأقسام عن الوقوف أمام المحسن البديعى يبينون أسرار جماله، ويظهرون للدارسين هذه الأسرار، مما جعل دراسة البديع جافة لا تؤثر فى النفس، ولا تستولى على الوجدان، مع أنها الوان قصدها الشعراء ليملكوا بها القلوب ويؤثروا بها فى عواطف الناس، وذلك لشرف معانيها وحسن ألفاظها.

الخـــاتمـــة

وبهذه اللآلى التى زينت الأسلوب وحسنته اتضحت أهمية البديع ومكانته التى لا يستطيع أن يغفلها كل ذى لب وذوق أدبى رفيع، ومنذ أن وجدت البلاغة وكل باحث يحاول الوصول إلى هذه اللآلى، وعلى قدر المشقة يكون الحصول على نفائس المعانى التى زينت بالمحسنات المعنوية أو اللفظية، والفوز بجيد الأساليب.

وستظل موضوعات علم البديع بحرا بعيد الغور، ولكن السباح الماهر هو الذى يغوص إلى الأعماق فيظفر بهدفه ومبتغاه، وبرغم عمَّا فى دراستها من تعب وعناء ومشقة، إلاَ أن دراستها كانت جذابة عذبة لشعور الباحث فيها بلذة الحصول على ما يريد بعد المشقة والتعب، ففيها حياة نابضة، وتجدد مستمر، والنفس تميل إلى كل جديد، ولهذا كانت هذه الدراسة البديعية المفعمة بالمعانى الجيدة، والزينة المحببة إلى النفس.

ولقد اعتمدتُ على الشواهد القرآنية أولا لأن القرآن الكريم يحتل الطبقة العليا من البلاغة ولا منازع، فهو مصدرها الأول، ومعينها الدائم، فيشعر القارئ بعذوبة الأسلوب، فينمو ذوقه البلاغى، وتتحرك مشاعره الإيمانية، ويصبح مرهف الحس يستطيع أن يفرق بين الغث والسمين.

كما راعيت أن تكون الشواهد الأدبية منتقاة ليظهر فيها روعة البلاغة العربية وسحرها، ولتعين القارىء على حاجته إلى أى موضوع أو موقف من مواقف الحياة، فالأساليب العربية الأدبية مرآة للحياة تعكس حلوها ومرها على اختلاف عصورها وأزمانها كما اتضح ذلك من دراسة هذه الأساليب وتأثيرها فى النفس ومعرفة دقة التعبير بها، وجمال الاستشهاد بنصوصها، وجليل قدرها، وفائدتها فى تكوين الذوق الأدبى الرفيع، وتنحية ملكة النقد على أسس علمية سليمة، ومعرفة أهمية وجودها فى الأسلوب حيث احتلت مكانة عالية لوجودها فى القرآن الكريم وحديث سيد المرسلين؛ مما يبين هذه القيمة ويثبت بالدليل القاطع ما راينا من كونها من أسباب إعجاز القرآن الكريم الذى ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ

حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1] كما اتضحت بلاغة سيد المرسلين، لأنه عُلِّم من رب العالمين، ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾[2].

والله أسأل أن ينتفع القارىء بهذه الدراسة، و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[3] وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) فصلت ٤٢.

(٢)النجم ٥ ، ٦.

(٣) الأعراف ٤٣.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

* الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٩٩٥م.

* أسرار البلاغة في علم البيان عبدالقاهر الجرجاني ـ تعليق محمد عبدالعزيز النجار ـ مكتبة صبيح ١٩٧٧م.

* أسرار البلاغة في علم البيان عبدالقاهر الجرجاني ـ تعليق محمد رشيد رضا ـ مطبعة الترقي ١٣١٩هـ.

* الإعجاز البياني للقرآن د. بنت الشاطيء دار المعارف بالقاهرة ١٩٧١م.

* الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ـ شرح وتعليق الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي ـ الطبعة الثانية ـ الكليات الأزهرية ـ القاهرة.

* الإيضاح مع البغية ـ عبدالمتعال الصعيدى ـ المطبعة النموذجية ـ مكتبة الآداب القاهرة.

* الألوان البديعية للدكتور حمزة الدمرداش زغلول ـ دار الطباعة المحمدية الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

* البديع في ضوء أساليب القرآن للدكتور عبد الفتاح لاشين ـ دار المعارف ـ الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

* البديع لابن المعتز ـ محمد بعد المنعم خفاجي ـ رابطة الأدب الحديث مكتبة النجاح الطبعة الثانية ١٩٥٨م.

* البديع في نقد الشعر لأسامه بن منقذ ـ مطبعة الحلبى ـ.

* البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبعه الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٥٧م.

* بلاغة العرب بين أرسطو واليونان للدكتور إبراهيم سلامة.
* البيان والتبيين للجاحظ تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة.
* تحرير التحبير لابن أبي الإصبع المصرى تحقيق وتقديم الدكتور حفنى محمد شرف ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامى بالقاهرة ١٣٨٣هـ.
* ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، والأستاذ محمد خلف الله ـ الطبعة الثانية بدار المعارف بالقاهرة.
* جوهر الكنز "تلخيص كنز البراعة فى أدوات ذوى البراعة" لابن الأثير تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام ـ منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨٠م.
* حاشية الدسوقى على شرح السعد ضمن شروح التلخيص دار السرور بيروت لبنان.
* خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموى شرح عصام شعيتو دار ومكتبة الهلال بيروت لبنان الطبعة ١٩٨٧م.
* دلائل الإعجاز ـ عبد القاهر الجرجاني ـ نشر رشيد رضا الطبعة السادسة ـ صبيح سنة ١٩٦٠م.
* ديوان البحترى تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفى الطبعة الثانية ١٩٧٢ ـ دار المعارف بمصر.
* ديوان الصنوبرى ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت . لبنان سنة ١٩٧٠م.
* روضة الفصاحة ـ زين الدين محمد بن أبى بكر الرازى ـ تحقيق وتعليق الدكتور أحمد النادى شعلة ـ دار الطباعة المحمدية.
* سر الفصاحة ـ لابن سنان الخفاجي ـ صبيح سنة ١٩٦٩م.
* شروح التلخيص: وهى مختصر العلامة سعد الدين التفتازانى على تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى ومواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح لابن

يعقوب المغربى وعروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكى. وقد وضع بالهامش كتاب الإيضاح لمؤلف التلخيص جعله كالشرح له وحاشيه الدسوقى على شرح السعد ـ دار السرور بيروت ـ لبنان.

* الصبع البديعى للدكتور أحمد إبراهيم موسى ـ دار الكتاب العربى ـ القاهرة سنة ١٩٦٩م.

* صفوة التفاسير ـ محمد على الصابونى ـ دار الرشيد سوريا حلب.

* الصناعتين الكتابة والشعر لأبى هلال العسكرى ـ تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢م عيسى الحلبى.

* الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوى ـ راجعه لجنة من العلماء بإشراف الناشر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

* عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص. دار السرور بيروت ـ لبنان.

* العمدة لابن رشيق تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ـ المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٩٦٣م.

* فن البديع للدكتور عبد القادر حسين. المطبعة الإسلامية الحديثة الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

* فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت.

* قواعد الشعر لأبى العباس أحمد ثعلب شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجى الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨م ـ الحلبى بمصر.

* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ـ للزمخشرى ـ مطبعة البانى ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٢م.

* كفاية الطالب فى نقد كلام الشاعر والكاتب لابن الأثير تحقيق الدكتور النبوى عبد الواحد شعلان ـ الزهراء للإعلام العربى ١٩٩٤م.

* لسان العرب لابن منظور.

* المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تحقيق الدكتور بدوى طبانه، والدكتور أحمد الحوفى ـ نهضة مصر ـ الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ.
* مختصر سعد الدين التفتازانى على تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص دار السرور بيروت لبنان.
* مطول على التلخيص مؤلفه خطيب دمشقى شارحه علامة تفتازانى ـ مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ.
* معاهد التنصيص على شواهد التلخيص عبدالرحيم العباسى ـ حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد محى الدين عبدالحميد ـ المكتبة التجارية ١٩٤٧م عالم الكتب بيروت.
* معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى تحقيق على محمد البجاوى ـ دار الفكر العربى سنة ١٩٧٣م.
* ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان محمد عبدالمنعم خفاجى ـ دار العهد الجديد ـ مكتبة النجاح.
* مفتاح العلوم للسكاكى ـ ضبطه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.
* المنزع البديع فى تجنيس أساليب البديع للقاسم السجلماسى تحقيق علال الغازى ـ مكتبة المعارف الرباط ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م.
* المنهاج الواضح للبلاغة ـ حامد عونى ـ مكتبة الجامعة الأزهرية .
* مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربى ضمن شروح التلخيص دار السرور بيروت ـ لبنان.
* نقد الشعر لقدامة بن جعفر تحقيق كمال مصطفى الطبعة الثالثة مكتبة الخانجى بالقاهرة.
* النكت للرمانى ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام والأستاذ محمد خلف الله ـ الطبعة الثانية بدار المعارف بالقاهرة.

الفهرس

المقدمة ٧
تمهيد ٩
علم البديع ١٦

الفصــل الأول

المحسنات المعنوية

الطبــاق ١٨
أقســام الطبــاق ٢٤
١ ـ طباق الإيجاب ٢٤
٢ ـ طباق السلب ٢٥
التدبيج ٢٧
المقابلة ٣٠
مراعاة النظير ٣٦
تشابه الأطراف ٣٩
التفويف ٤٣
الإرصاد أو التسهيم ٤٨
المشاكلة ٥٤
الاستطراد ٦٠
المزاوجة ٦٣
العكس والتبديل ٦٦
الرجوع ٧٠
التورية ٧٢
الاستخدام ٧٨
اللف والنشر ٨١

الجمع ٨٥
التفريق ٨٨
التقسيم ٩٠
الجمع مع التفريق ٩٤
الجمع مع التقسيم ٩٦
الجمع مع التفريق والتقسيم ٩٨
التجريد ٩٩
المبالغة ١٠٣
١ ـ التبليغ ١٠٧
٢ ـ الاغراق ١١٠
٣ ـ الغلو ١١٢
المذهب الكلامى ١١٨
حسن التعليل ١٢٢
التفريع ١٢٧
تأكيد المدح بما يشبه الذم ١٣٠
تأكيد الذم بما يشبه المدح ١٣٥
الاستتباع ١٣٨
الإدماج ١٤١
التوجيه ١٤٤
الهزل الذى يراد به الجد ١٤٧
تجاهل العارف ١٥٠
القول بالموجب ١٥٥
الإطراد ١٥٩

الفصـــل الثانى

المحسنات اللفظية

١ ـ الجنـــاس ١٦١
الجناس التام ١٦٢
الجناس التام المماثل ١٦٣
الجناس التام المستوفى ١٦٥
الجناس التام المركب ويشتمل على : ١٦٦
أ ـ الجناس التام المركب المرفو ١٦٧
ب ـ الجناس التام المركب المتشابه ١٦٨
جـ ـ الجناس التام المركب المفروق ١٦٩
الجناس الناقص ١٧٢
الجناس المحرف والمصحف ١٧٥
جناس القلب أو الجناس المقلوب ١٧٧
الجناس المضارع واللاحق ١٨٠
الجناس المزدوج أو المكرر أو المردد ١٨٢
ما يلحق بالجناس ١٨٣
بلاغة الجناس ١٨٦
٢ ـ رد العجز على الصدر ١٩٠
بلاغة رد العجز على الصدر ٢٠١
٣ ـ السجع ٢٠٢
أ ـ التشطيـــر ٢٠٩
ب ـ التصريـــع ٢١١
٤ ـ الموازنة والمماثلة ٢١٢

٥ ـ القلب ٢١٤
٦ ـ التشريع ٢١٦
٧ ـ لزوم مالا يلزم ٢١٨
المحسنات اللفظية وشرط حسنها ٢٢١
الخاتمة ٢٢٣
المصادر والمراجع ٢٢٥